



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشك

أسبابه وآثاره وعلاج الإسلام له

دراسة مقدمة لقسم العقيدة لنيل درجة
الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب / أحمد بن إبراهيم محمد سامه عسيري

إشراف الاستاذ الدكتور / يحيى ربيع

الفصل الدراسي الثاني

٢٠٠٧ - ١٤٢٨ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فهذا ملخص للرسالة المقدمة لقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى للحصول على درجة الماجستير بعنوان :-

الشك أسبابه وآثاره وعلاج الإسلام له .

مقدمه الطالب : أحمد إبراهيم محمد عسيري .

هدف الدراسة

معرفة أسباب الشك وآثاره وعلاج الإسلام له .

الباب الأول :- بيان الشك وما يضاده .

الفصل الأول تعريف الشك وما يتعلق به

وفي مبحثان :-

المبحث الأول : تعريف الشك .

المبحث الثاني : تعريف اليقين .

الفصل الثاني : أنواع الشك .

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول / الشك المنهجي .

المبحث الثاني / الشك الهادم .

المبحث الثالث / الشك الاعتقادي .

الفصل الثالث - الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول / الشك عند اليونان.

المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .

المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث .

الباب الثاني الشك عند الفرق الكلامية والطوائف المنتسبة للإسلام

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول / الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية .

الفصل الثاني / الشك عند الفرق الباطنية والصوفية .

الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين .

الباب الثالث : أسباب الشك وآثاره

الفصل الأول : أسباب الشك .

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول / أسباب الشك المنهجي .

المبحث الثاني / أسباب الشك الاعتقادي .

الفصل الثاني :- آثار الشك في أصول الدين والشريعة وفيه مبحثان.

المبحث الأول / آثار الشك في أصول الدين .

المبحث الثاني / آثار الشك في الشريعة .

الباب الرابع : علاج الإسلام للشك:-

وفيه ثلاثة فصول :-

الفصل الأول / تأسيس اليقين .

الفصل الثاني / دحض حجج الشكاك .

الفصل الثالث / حكم الإسلام في الشك في المسائل الاعتقادية .

وأخيرا الخاتمة والنتائج وأبرز النتائج التي توصلت اليها .

١- فضل منهج السلف على غيرهم من المذاهب الأخرى وموافقته

للفطرة وللعقل وأثاره على الفرد والمجتمع .

٢- التأثير الكبير للفلسفة اليونانية على الكثير من الفرق الكلامية

الإسلامية فقد جاءت مناهجها وتقريراتها مستمدة من الفلاسفة

اليونان وخاصة أرسطو .

٣- التكامل والشمول الذي جاء به هذا الدين في مجال اليقين وهداية

الناس وعدم تركهم عرضة للأهواء والحيرة التي تصرفهم عن

وظيقتهم العظمى وهي عبادة الله سبحانه وتعالى .

٤- الجناية العظمى التي اقترفها أهل الكلام ومن سلك مسلكهم حين

أقحموا العقل في المسائل الغيبية المحضة التي يكون فيها العقل

تابعاً ومؤيداً للنقل وليس حاكماً عليه .

٥- البرهان الساطع والحجة الداحضة التي قررها الإسلام وأهل السنة

والجماعة على وجه الخصوص في ردودهم ومناقشتهم للمخالفين .

التوصيات :-

أوصي بمزيد من الاهتمام بدراسة الظواهر الفكرية المنحرفة وتبيين
خطرها وتناقضها وتبيين منهج الإسلام الذي أتى متكاملًا ومنهجياً في
تعاطيه مع هذه الظواهر المنحرفة .

Abstract

Praise be to Allah Lord of the Universe. Prayers ad peace be among the Most honored prophet Muhammad, his family and companions.

This is an abstract for M.A. thesis presented to the Faculty of Islamic Creed, College of Da'wa and Fundamentals of Islam. Om al-Qura University.

Title: The Doubt, it Reasons, Influence, and the Islamic Cure.

Presented By: Ahmad Ibrahim Mohammad Aseeri

Objective: Stating the Concept of Doubt, its Impact and the Islamic Cure.

Part One: Doubt and its Contrast

First Chapter : Definition of the Doubt and what is relevant to it. It covers two points:

- ١- Definition of the Doubt.
- ٢- Defection of Conviction.

Second Chapter: Historical roots of the Doubt and its development in the modern age. It includes three points.

- ١- Doubt as known in the Greek Age.
- ٢- Doubt as known in the Middle Ages.
- ٣- Doubt as known in Modern Ages.

Third Chapter: Types of Doubts. It includes three points:

- ١- The Formal Doubt.
- ٢- Destructive Doubt.
- ٣- Conviction Doubt.

Part Two: Doubt according to Al-Kalamiyeen and The groups relating themselves to Islam. It includes three chapters:

First Chapter: Doubt as known by *Al-Kalamiyah* group and the Philosophers.

Second Chapter: Doubt as known by *Batinyah* and Sophism.

Third Chapter: Doubt as known by the Muslim Scholars and *Al-Muhadethien*.

Part Three: Causes of Doubt and its Impact.

First Chapter: Cause of the Doubt. It includes two points:

- ١- Causes of the Formal Doubt.
- ٢- Causes of the Conviction Doubt.

Second Chapter: Impact of Doubt according to the Fundamental of Islam and the Islamic Legislation. It includes two points:

- ١- Impact of Doubt according to the Fundamental of Islam.
- ٢- Impact of Doubt according to the Islamic Legislation.

Part Four: Islamic Cure against Doubt and how to avoid it. It include three chapters.

First Chapter: Establishing the Belief.

Second Chapter: Refutation of doubters evidences.

Third Chapter: Islamic Rules with regard to the issues of Belief.

Conclusion and Results:

- ١- Superiority of Al-Salaf Approach over the other sects. It is agreeable with the human nature and the mind and its impact on the individual and the society at large.
- ٢- The great affection of the Greek Philosophy over Al-Kalamiyeen Islamic sect. Their beliefs and reports are driven from the Greece Philosophers especially Aristotle.
- ٣- Inclusiveness of this religion with regard to belief and guiding people and preventing them from following their own desires which drive them away from the main task which is worshipping Allah the Al-Mighty.
- ٤- The greatest betrayal of Al-Kalamiyeen and those who followed their way when they started using their minds to explain issues related to the unseen. The mind is follower for what is in the Qur'an and Sunah not a justifier.
- ٥- The complete and clean evidence approved by Islam and Ahal Al-sunnah wal Jamaa (the follower of the Sunnah of Prophet Muhammad p.b.u.h) in replying to these false approaches.

Recommendations:

The researcher recommends for carrying out more studies in the false rational concepts to explain their dangers and conflict. On the other hand, he asks scholars to explain the clear Islamic approach that come as complete source dealing with theses aspects.

الباب الأول

الباب الأول

الشك مفهومه وجذوره وأنواعه

الفصل الأول : مفهوم الشك وما يتعلق به وفيه مبحثان :

• المبحث الأول / تعريف الشك .

• المبحث الثاني / تعريف اليقين .

الفصل الثاني : أنواع الشك وفيه ثلاثة مباحث :

• المبحث الأول / الشك المنهجي.

• المبحث الثاني / الشك الهادم.

• المبحث الثالث / الشك الاعتقادي.

الفصل الثالث : الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر

الحديث وفيه ثلاثة مباحث :

• المبحث الأول / الشك في العصر اليوناني .

• المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .

• المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث .

الفصل الأول : مفهوم الشك وما يتعلق به

المبحث الأول : تعريف الشك لغة واصطلاحاً :

أولاً : الشك في اللغة :

لفظ " الشك " مأخوذ من شك يشك شكاً ويجمع على شكوك وفي معاجم اللغة توجد معانٍ كثيرة لمادة (الشين والكاف) منها :-

١ - **الشك بمعنى التداخل** : قال ابن فارس^(١) : (الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض وهو يدل على التداخل ، من ذلك قولهم شككته بالرمح وذلك إذا طعنته فدخل السنان جسمه)^(٢) .
ومنه قول **عنتره** :-

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

٢ - **الشك بمعنى نقيض اليقين** : فالشك يستخدم كمقابل لليقين فنقول شككت في الأمر وتشككت فيه : أي ذهب يقيني (وإنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد وهو لا يتيقن واحداً منهما ، فمن ذلك اشتقاق الشك تقول : شككت بين ورقتين ، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما)^(٣) .

(١) هو ابو الحسين أحمد ابن زكريا القزويني الرازي ، كان إماماً في علم اللغة ومشاركاً في علوم شتى ، من أبرز مؤلفاته : معجم مقاييس اللغة ، الفصيح وقام الفصيح ، انظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان : أبو

العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (١٠٠/١) تحقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

- الاعلام: خير الدين الزركلي (١٩٣/١) دار العلم للملايين بيروت ، ط السادسة ١٩٨٤م.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (٣ / ١٧٣) تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية.

(٣) المرجع السابق : (٣ / ١٧٣)

٣ - الشك بمعنى التردد : ويأتي الشك بمعنى " التردد " كأن
يتردد الإنسان بين شيئين دون أن يتيقن بأحدهما ، وفي المصباح : (هو
التردد بين شيئين سواء استوى طرفاهما أو رجح أحدهما على الآخر ،
قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُنَزِّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ أَشْجَارًا وَمِمَّا يَخْرِجُ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَمِمَّا يَخْرِجُ بِهِ نَخْلًا لَكُمْ فِيهَا لَمَسَاتُ فَاغْرَبْتُمْ بِهَا بِرَاسِكُمْ وَأَنْتُمْ بِهَا صَالِحُونَ ﴾ (١)

قال المفسرون : أي غير مستيقن (٢) .

كما أكد هذا المعنى مجمع اللغة العربية في القاهرة فعرف
الشك بـ : حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن
الحكم (٣) .

٤ - الشك بمعنى الريب : يقال : شك في الأمر وغيره ، أي
ارتاب ومنه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٤) . أي لا شك ،
وهو يأتي بمعنى الشك مع التهمة (٥) يقول الجرجاني : (وقد تكرر
ذكر الريب وهو بمعنى الشك مع التهمة تقول: رابني الشيء وأرابني
بمعنى شككني وأوهمني الريبة به) (٦)

(١) يونس آية (٩٤) .

(٢) المصباح المنير (١٦٧) لأحمد المغربي ط : دار الكتب العلمية : بدون تاريخ انظر أيضا : تفسير القرآن
العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير(١/٢٣٤) . دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

(٣) المعجم الوسيط : (١ / ٤٩٠) اخراج ابراهيم مصطفى وزملائه ، ط : مجمع اللغة العربية بدون تاريخ

(٤) البقرة آية (٢) .

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (١٥٧) تحقيق : محمود الطناحي وطاهر الزواري : دار إحياء
الكتب العربية ، مصر ط : الأولى ١٩٩٣ - ١٩٦٣ م

(٦) التعريفات : الجرجاني (١٢٣) .

٥ - الشك بمعنى الاتباس : فيقال (شك في الأمر ، يشك شكاً إذا التبس لعدم وضوح الأمر) (١).

٦ - الشك بمعنى الاضطراب في القلب والنفس وذلك باعتبار مايعتري القلب من التردد المصاحب لمن يشك (٢)

٧- الشك بمعنى الحرج كما في قوله تعالى (﴿لَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَن يُحْسِنُوا وَالْيَاثِرِينَ﴾ (٣)
﴿لَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَن يُحْسِنُوا وَالْيَاثِرِينَ﴾ (٣)
﴿لَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَن يُحْسِنُوا وَالْيَاثِرِينَ﴾ (٣)
قال ابن عباس أي لا تكن في شك منه وروي عن مجاهد وقتاده مثله (٤)

٨- ويأتي الشك أيضا بمعنى الحسبان كما في قوله تعالى:
(يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) (٥).

فهؤلاء الفقراء يظن البعض أنهم أغنياء لما يبدو على ظاهرهم من التعفف ، والحال أنهم فقراء في الحقيقة.

وجاء في قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام انها لما دخلت قصره ظنت أنها تقف على بركة ماء عندما شاهدت تموجات صورتها على أرضية القصر المكسوة بالزجاج، قال تعالى (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) (٦)

(١) المصباح المنير (١٦٧) و المعجم الوسيط : (١ / ٤٩٠)

(٢) المصباح المنير (١٦٧) .

(٣) الأعراف (٧) .

(٤) تفسير الطبري (١٥٣/٤) .

(٥) البقرة (٢٧٣) .

(٦) (النمل: ٤٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١١٤).

٩- ويأتي الشك بمعنى **التخمين** يقال خمن الشيء اذا قال فيه بالحدس أو الوهم والعامّة تستعمل (خمن) بمعنى ظن تقول خمنتها صادقاً أي ظننته^(١)

١٠- وأخيراً يرد الشك بمعنى **الخرص** فيقال خرص فيه أي حدس وقال بالظن ومنه قوله سبحانه وتعالى (قتل الخراصون)^(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه (أي لعن المرتابون)^(٣) وقال مجاهد : (الذين يقولون لانبعث ولا يوقنون)^(٤)

ويلاحظ على هذه التعريفات اتفاقها جميعاً على أن موضوع المعرفة أو الحقيقة مبهم أو غائب أو متردد فيه ولم يصل فيه الباحث إلى اليقين أو العلم بل لم يتجاوز حتى إلى الظن الراجح . وهذا ما ينصب على الموضوع المشكوك فيه أو الذي نقصت المعرفة عن الوصول إلى اليقين فيه وهو ما تعرضت له التعريفات التي تصف جهل أو انعدام المعرفة في الموضوع نفسه دون صاحبه (كتعريفه بنقيض اليقين والوهم والحسبان والتخمين والخرص) وفي هذه الحالة تكون الحقيقة ذاتها غائبة عند الشاك أو تكون المعرفة معدومة أو ناقصة نقصاً جلياً لا يصل الباحث فيه إلى هدى ونور وهذا القدر من السلبية يكون في مرتبة قريبة من الجهل وعدم العلم وهو ما سيعود بحالة نفسية على الباحث وهو ما تعرضت له بقية التعريفات مثل (التردد والريب والالتباس والاضطراب والهرج) التي تجعل الشاك متردداً مرتاباً

(١) انظر : القاموس المحيط : الفيروزآبادي (٢٣٦) .

(٢) سورة الذاريات آية (١٠)

(٣) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (١٦٤/٤)

(٤) المرجع السابق (١٦٤/٤)

وبعد هذه التعريفات يمكننا أن نرتب المستوى المعرفي على النحو التالي :-

جهل: وهو عدم الادراك للمعلوم اصلا

شك: وهو التردد بين النقيضين بلا مرجح

ظن وهو التردد بين النقيضين مع وجود مرجح لا يصل لحد اليقين

يقين: وهو الاعتقاد الجازم في الحقيقة وسيأتي له مزيد بيان في المبحث القادم

وبهذا نختم الكلام على التعريف اللغوي لمصطلح الشك والذي تبين لنا أنه يحتل معن كثيرة ومتنوعة ولكنها جميعا تدور حول معنى الغموض والالتباس وعدم وضوح المعرفة بالاضافة للأوصاف والأعراض التي تعترى من يشك في أمر ما .

ثانياً : الشك في الاصطلاح :

توجد تعريفات عديدة لمصطلح الشك ولكنها في مجموعها تدور حول المعنى اللغوي للمصطلح ، وإن كان المفهوم يختلف من ناحية المجال العلمي والمعرفي الذي يستخدم فيه .

والذي يعيننا هنا هو تعريفه من الناحية المعرفية والفلسفية لكون الشك له تعلق كبير بهما من ناحية مناقضته لها .

فقد عرفه الجرجاني^(١) بأنه : التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك^(٢) .

وذكر أيضاً في تعريفه أنه ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشئيين لا يميل القلب إلى أحدهما^(٣) .

أما الجويني^(٤) : فذكر في تعريف الشك فحوى التعريفين السابقين وزاد عليها بقوله: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتمدة^(١) .

(١) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني ويعرف بالسيد الشريف اهتم بكثير من العلوم وخاصة اللغوية والعقلية ومن أبرز مؤلفاته : "التعريفات" ، "شرح المواقف" للإيجي ، متكلم ، ماتريدي ، جمع بين فلسفة وعلم الكلام ، - توفي سنة ٨١٦هـ .

انظر: الاعلام : خير الدين الزركلي (٧/٥) وانظر أيضا : معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (٢١٠/١) : مطبعة الترقبي دمشق ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

(٢) التعريفات : تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي (١٤١)

(٣) المرجع السابق : (١٤١)

(٤) أبو المعالي : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بـ " إمام الحرمين " ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩هـ وهو من أئمة الاشاعرة الكبار ، تتلمذ عليه الغزالي ، ودرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي من أبرز مؤلفاته " الإرشاد الى قواطع الأدلة " و " الشامل في أصول الدين " .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥) تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٣٨هـ - ١٩٦٤م .

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن البعض منها يتجه إلى وصف حال الإنسان الشاك والبعض الآخر يصف حال الأمر المشكوك فيه وجميعها تصفهما بالتردد والإبهام وغموض الجانب المعرفي بالنسبة للشاك أو للموضوع المشكوك فيه .

وقد اتخذ مفهوم الشك بعداً كبيراً ومؤثراً في المجال المعرفي عموماً فتتوعدت مجالاته ومفاهيمه وصارت له مدارس تتخذه منهجاً وطريقاً لأفكارها واعتقاداتها فصار مصطلح الشك أو الشكاك في المجال المعرفي والفلسفي له مدلوله الخاص الذي يميزه عن بقية المذاهب والاتجاهات الأخرى .

فبداية كان مصطلح (الشك) " Sceptien " في اليونانية يعني في المقام الأول تساؤلات ، كما يعنى من ينظر بإمعان أو من يتفحص باهتمام قبل أن يصدر حكماً أو يتخذ قراراً (٢) .

ولكن هذا المفهوم للشك — الذي هو مطلب مهم لكل صاحب عقل ووعي — قد تغير ، ولم يعد مفهوم " الشاك " يعني أنه أحد الباحثين الذين يتخذون اتجاهات نقدية غير مثقل بأحكام سابقة وإنما أصبح يعني أن الشاك هو : أحد المفكرين الذين ينكرون امكان المعرفة سواء كان هذا الإنكار جزئياً أو كلياً شاملاً لكل معرفة (٣).

انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي (٣/٣٥٨) المكتب التجاري ، بيروت.

(١) المرجع السابق : (٢/٥٣٠)

(٢) انظر الموسوعة الفلسفية : عبد الرحمن بدوي : (٢/١٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط الأولى ١٩٨٤ م .

(٣) انظر الفلسفة ومشكلة الشك : حمدي زقزوق (١١٧) دار المعارف ط : الخامسة ١٩٩٤ م

وهكذا انحدر معنى الشك من معناه الأصلي إلى هذا التصور السلبي الذي يهدم المعرفة هدماً ويشكك في الحقائق من ناحية وجودها ومن ناحية يقينيتها إن وجدت عندهم .

وارتبط الشك الفلسفي أساساً بنظرية المعرفة حيث يستخدم هذا الشك للتعبير عن الشك في قدرة العقل البشري على الوصول إلى معرفة يقينية وحقيقة موضوعية ، كما يتصل بمبحث الوجود كوجود العالم وطبيعته^(١) .

والشاك يتوقف عن إصدار حكم ما استناداً إلى أن كل قضية تقبل السلب والإيجاب بقوة متعادلة^(٢) .

ويبدل الشك في العلوم المختلفة ففي العلوم الطبيعية بمعنى أن كل معرفة تعتبر موضع اختبار وفحص وتحليل من أجل توافر الأسس والأسباب لقبولها دون أدنى شك^(٣) .

وفي علم النفس يكون الشك صحيحاً وهاماً لحياة الإنسان إذا كان لتمحيص وعدم قبول كل ما يصادفه من أفكار وآراء دون أن يمعن النظر فيها^(٤) ، بينما ينقلب شكاً مرضياً عندما ينتقل إلى المبالغة في القلق والتوهم والظن^(٥) .

(١) انظر ديكارت :عثمان أمين : (١٠٢) دار المعرفة الجامعية - القاهرة - ١٩٩٤م
(٢) الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف (١١١) دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ .
(٣) الموسوعة الفلسفية : د / معن زيادة (٥٢٤/١) دار الطليعة - بيروت - بدون تاريخ .
(٤) سيكولوجية الشك: يوسف ميخائيل (ص٢٢ / ص٢٤) دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
(٥) المعجم الفلسفي : جميل صليبا (١ / ٧٠٦) .

وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن هناك نوعين من الشك ،
أحدهما إيجابي يتوصل به إلى اليقين ويكون مؤقتاً ينتهجه العالم الباحث
للشك في الأفكار والافتراضات حتى يتضح صحتها .

وشك آخر سلبي يهدم المعرفة ويجعل من الإنسان عاجزاً عن
إدراك الحقيقة وغير متيقن منها ، وهذا ما سيتضح بيانه في المباحث
القادمة .

المبحث الثاني : تعريف اليقين

أولاً : تعريفه في اللغة :

هو مأخوذ من يقن الأمر يَبَيِّنُ إذا ثبت ووضح (١).

يقال : يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه ويستعمل متعدياً بنفسه ، وبالباء ، يقال : يقنته ، ويقنت به ، والذي يظهر من تتبع استعمال هذه المادة أنها تفيد الاستقرار والثبات وإزاحة الشك وتحقيق الأمر (٢) وسكون النفس وتلج الصدر به (٣) كما أنه يطلق على طمأنينة القلب على حقيقة الشيء (٤) .

ثانياً : تعريفه في الاصطلاح

وهو يختلف بحسب العلوم المختلفة وسنشير إلى تعريفه عند المناطقة والفلاسفة لتعلق ذلك بموضوعنا .

فقد عرف الرازي (٥) اليقين بأنه : اعتقاد الشيء بأنه كذا ، مع اعتقاده بأنه لا يمكن أن يكون إلا كذا ، اعتقاداً مطابقاً لنفس الأمر ، غير ممكن الزوال (١) .

(١) المصباح المنير (٩٨٠) .

(٢) لسان العرب : لابن منظور (٩٨ / ٤) دار صادر ، بيروت .

(٣) الفروق اللغوية : ابن العربي (٦٣) ضبط وتحقيق: حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٠٩ .

(٤) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر : احمد بن محمد الحنفي (١ / ١٩٣) . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥

(٥) هو محمود بن محمد الرازي الشافعي الملقب بقطب الدين توسع في علوم الكلام والفلسفة من مؤلفاته : تحرير القواعد المنطقية ، لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار توفي عام ٧٦٦هـ راجع في ترجمته شذرات الذهب (٦ / ٢٠٧) ، الأعلام (٧ / ٣٨) .

وقد اشتهر هذا التعريف عند الرازي ولذا سنعتمد عليه هنا ونذكر أهم
المحترزات التي ذكرها من شرح هذا التعريف :

فقولهم (اعتقاد الشيء) خرج به الشك لخلوه من الاعتقاد بسبب استواء
طرفيه.

وقولهم (مع اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا) خرج به الظن فإن
فيه تجويز الطرف المقابل المرجوح .

وقولهم (اعتقاداً مطابقاً) خرج به الجهل المركب الذي هو اعتقاد جازم
غير مطابق للواقع .

وقولهم (غير ممكن الزوال) خرج به اعتقاد المقاد ، وأرادوا بذلك المقاد
المصيب ، أما المقاد المخطئ فقد خرج بقيد المطابقة .

وبإيرادنا هذا التعريف المشهور وذكر محترزاته يكون قد اتضح الفرق
بين اليقين والشك والظن والجهل .

واليقين أقوى من العلم لأنه يأتي بعد نظر واستدلال وقد يأتي بعد
حيرة وشك فيقال : شك ويقين وقلما يقال شك و علم . (٢)

أما درجات اليقين فقد ذكرت في القرآن :

— علم اليقين : كما في قوله سبحانه وتعالى {

﴿ قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ مَا يَكْتُمُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

(١) تحرير القواعد المنطقية: قطب الدين الرازي (١٦٦) دار احياء الكتب العربية طباعة عيسى الباي الحلبي ،
مصر وقد تابعه على هذا التعريف الجرجاني في التعريفات (٢٣١) والثهانوي في كشف اصطلاحات
الفنون (١٥٤٧) تصحيح: محمد وجيه وزملائه ، ط ١٩٧٢ الهيئة المصرية للكتاب وغيرهم .

(٢) الفروق اللغوية لابن العربي (٦٣)

(٣) التكاثر آية (٥)

أن يثير اللغظ والشبه في قلوب المؤمنين واتهموا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالشك في قدرة الله على إحياء الموتى .

القضية الأولى : قوله صلى الله عليه وسلم " نحن أحق بالشك من إبراهيم " وقد اختلف العلماء في تفسير وتوضيح هذه العبارة على عدة تفسيرات منها:-

١/ أن يكون المعنى : نحن أشد اشتياقا ورغبة من إبراهيم في رؤية إحياء الموتى (١)

٢/ أن يكون المعنى : إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى ألا يشك ولو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أحق به منهم (٢)

وفي هذا يقول الإمام السيوطي " فان الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك " (٣)

٣/ أن تكون هذه العبارة تواضعا منه صلى الله عليه وسلم أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم وهو كقوله في حديث أنس في صحيح مسلم " أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا خير البرية قال : ذلك إبراهيم "

٤/ أن يكون المقصود ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئا قال : مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي ، ومقصوده لا تقل ذلك .

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٢٦)

(٢) انظر: المرجع السابق (١٠/٢٦)

(٣) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي (٤٧/٢)

٥/ وقيل : أراد بقوله "نحن" أمته الذين يجوز عليهم الشك وأخرجه هو منه بدلالة العصمة .

٦/ وقيل : معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان . (١)

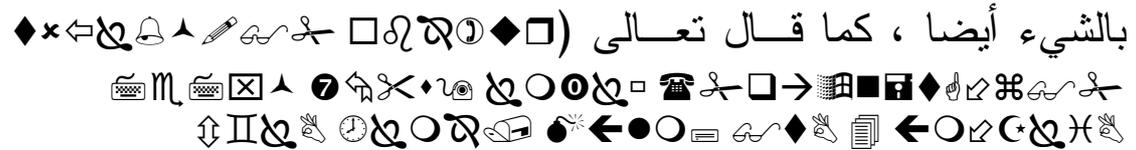
وبعد استعراض هذه الأقوال يتبين لنا أن مخرج هذه العبارة ليس فيه ما يدل على وقوع الشك من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وليس فيها أي دعوة للشك ومسوغ له بل هي عبارة مما تحتملها لغة العرب وقد رأينا تأويلات أهل العلم لها والتي تدور جميعا على معنى واحد ألا وهو نفي أن تكون هذه العبارة داعية أو محرضة للشك في الله أو في قدرته سبحانه وتعالى ، إضافة إلى إجماع الأمة على عصمة الأنبياء والرسل من الكفر والشك ومن تسلط الشيطان عليهم وهذا أصل لا يخالف فيه إلا جاهل لا يعلم أصول الشريعة ودلالات النصوص .

القضية الثانية : هل شك إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قدرة الله سبحانه وتعالى حين سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى ؟

والذي نؤكد به بداية عطفنا على ما سبق تقريره في القضية الأولى أن هذا الاستفهام من إبراهيم لم يكن شكاً بل هو خارج مخرج السؤال عما جهله العبد وعن كيفية الإحياء والإمامته بحثاً عن الاطمئنان القلبي الذي لا يحصل إلا حين الرؤية والمشاهدة وهذا ما بحث عنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام واتاحه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين عرج به إلى السماء ورأى ملكوت الله سبحانه وتعالى والجنة والنار حتى تتحقق له هذه الطمأنينة القلبية ويبلغ هذا الدين عن يقين جازم بوعد الله ونصره .

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٢٦)

وقد أورد الامام مسلم بعض التوجيهات والتفسيرات لهذا الاستفهام من إبراهيم فقال : (وأما سؤال إبراهيم صلى الله عليه وسلم فنذكر العلماء في سببه أوجها أظهرها أنه أراد الطمأنينة بعلم كيفية الإحياء مشاهدة بعد العلم بها استدلالا فان علم الاستدلال قد تتطرق اليه الشكوك في الجملة بخلاف علم المعاينة فانه ضروري وهذا مذهب الامام أبي منصور الأزهري وغيره والثاني أنه أراد اختبار منزلته عند ربه في إجابة دعائه وعلى هذا قالوا: معنى قوله تعالى (أولم تؤمن) أي تصدق بعظم منزلتك عندي واصطفائك وختلك والثالث سأل زيادة يقين فسأل الترقى من علم اليقين الى عين اليقين فان بين العلمين تفاوتا قال سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا والرابع أنه لما احتج على المشركين بأنه ربه سبحانه وتعالى يحي ويميت طلب ذلك منه سبحانه وتعالى ليظهر دليله عيانا) (١) .

والذي أختره وتميل إليه النفس في توجيه استفهام إبراهيم عليه الصلاة والسلام - وذلك من خلال الدراسة اللغوية والاصطلاحية لمعنى الشك - هو أن الشك في لغة العرب أوسع معنى منه في الاصطلاح ، فهو في الاصطلاح ما تساوى فيه كلا الاحتمالين ، ولم يترجح فيه أحد الطرفين أما لغة العرب واستخدامات القرآن فهي أوسع استعمالا ، كما اشرنا لذلك إذ الشك خلاف اليقين ، وقد يطلق على الجهل وعدم العلم بالشيء أيضا ، كما قال تعالى ()

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية (الشك كما يطلق على ما لا يرجح أحد طرفيه ، يطلق على مطلق التردد، وعلى ما يقابل العلم ، ولذلك أكده بقوله ما لهم بذلك من علم ، ويجوز أن يفسر الشك بالجهل)^(١). وقال تعالى أيضا عن الكافرين ($\text{﴿﴾$) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (أي لم يتتابع علمهم ، بل غاب علمهم وضل ، فلم يبلغوه ولم يدركوه ، بل هم في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت)^(٢). وكذا قوله تعالى على لسان رسوله مخاطبا المشركين ($\text{﴿﴾$) فليس الشك هنا بمعنى التردد فإنهم كانوا جاحدين كافرين به وبدينه ، وكذا قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ($\text{﴿﴾$) أي إن كنت يا محمد لا علم عندك بما جاء في التوراة والإنجيل من صفاتك وشأنك ، فأسال أهل الكتاب عن ذلك ، فإنهم

(١) النساء (١٥٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/٢٩) مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٣) النمل (٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٤/١١٥)

(٥) يونس (١٠٤).

(٦) يونس (٩٤).

على علم بك لما ورد في كتبهم من خبرك وصفاتك ، فإنهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم ، وهذا كقوله تعالى (﴿ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾)

(١) فإذا ثبت كل ذلك وأن الشك يطلق على ما سوى اليقين ، فيصدق على ما تردد في شيء وحار فيه ، وكذا يصدق على من لا علم عنده فيه ، ولمن تردد فلم يترجح عنده فيه شيء ولذلك فإبراهيم حين سأل الله عن كيفية إحياء الموتى ، لا لأنه لا يؤمن بقدرة الله - بل لأنه لا علم عنده أصلا عن كيفية إحياء الله للموتى ، فسأل الله عن ذلك طلبا للعلم والمعرفة ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربي أرني كيف تحيي الموتى) إذ السؤال في الأصل إنما يكون لطلب العلم بالشيء ، ولم يكن عند إبراهيم علم في كيفية حصول ذلك ، ويؤكد قوله تعالى (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فقد ثبت أن إبراهيم مؤمن لا يشك في قدرة الله على إحياء الموتى وإنما سأل عن كيفية ذلك طلبا للعلم الذي تطمئن به النفس ، إذ انه جاهل لا علم عنده عن كيفية تحقق ذلك . وبهذا أرى أن المعنى قد اتضح والمقصود قد تم ولم يبق شبه أو منطلق لمن يدع أن الشك قد حصل من سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وقبل أن نختم الكلام في هذا الحديث ننبه إلى ما قد ورد من نصوص عن ابن عباس من أن هذه أرجى آية في كتاب الله على اعتبار أن إبراهيم شك ولم يعاقبه الله والى ما ورد أيضا عن عطاء قوله " دخل

قلب إبراهيم بعض ما يدخل في قلوب الناس " (١) وقد تولى ابن عطية الرد على هذه الأقوال وتوجيهها بقوله (ومحمل قول ابن عباس عندي " أنها أرجى آية " لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الأحياء في الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفي فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث . ومحمل قول عطاء " دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس " أي من طلب المعاينة . وأما الحديث فمبني على نفي الشك ، والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت ، وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعاً لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة) (٢)

– **حق اليقين** : كما في قوله سبحانه { ◻◆◊◌◎●◐◑◒◓◔◕◖◗◘◙◚◛◜◝◞◟◠◡◢◣◤◥◦◧◨◩◪◫◬◭◮◯◰◱◲◳◴◵◶◷◸◹◺◻◼◽◾◿ⓀⓁⓂⓎⓏⓐⓑⓔⓕⓖⓗⓘⓙⓜⓝⓞⓟⓠⓡⓢⓣⓤⓥⓦⓧⓨⓩ⓪⓫⓬⓭⓮⓯⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿ } (٣) .

وهذه الدرجات هي بحسب اعتقاد وقوة إيمان الشخص والعارف بالله سبحانه وتعالى فكلما كان الدليل والاعتقاد أقوى ترقى في هذه المراتب وكل ما وجد من تصنيف لمراتب اليقين وجعلها في مراتب متسلسلة وبيان لوصف كل حالة وتعلقاتها وأحوالها فهو من كتب أهل التصوف الذين يعتمدون في بيان ذلك على الكشف والذوق وغيرها من المصادر التي يعتمدون عليها وهي غير معتبرة عند السلف فعلى هذا نكتفي بكلام الله سبحانه وتفسير سلف الأمة له من دون الدخول في هذه المراتب والأحوال الصوفية.

(١) انظر : فتح الباري (٢٧/١٠) .

(٢) تفسير ابن عطية (٥٤/٢)

(٣) الحاققة آية (٥٠)

وقد ورد اليقين على معان :

١- وردت كلمة اليقين في آيات قرآنية بمعنى الموت ، مثل

قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (١)

وقد فُسر اليقين في

هذه الآية بالموت ومقدماته ، وأيضا في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٢).

٢- وجاءت كلمة اليقين بمعنى التوحيد ، وذلك في قوله تعالى :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٣)

أي الموحدين الذي سلكوا الطريق

السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة ، فهم نظارون بعين باصرة وأفهام

نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانا

إلى إيقانهم (٤).

٣- وجاء كلمة اليقين بمعنى العلم والمعرفة على أنه نقيض

الشك مثل قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)

﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)
 ﴿لَا يَسْتَوِي السُّعْيَةُ وَالْبَعِيَّةُ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَاءَ مَا يَحْكُمُهُ يَوْمَ يَحْكُمُهُ﴾ (٥)

(١) الحجر ، الآية : (٩٩) .

(٢) التكاثر ، الآية : (٥) .

(٣) الذاريات ، الآية ٢٠ .

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزجاجي (٤ / ١٦)

• المبحث الثالث / الشك الاعتقادي .

الفصل الثالث أنواع الشك

تمهيد :

من خلال تعريفنا الشك عبر العصور المختلفة وما تعرضنا له من خلال السرد التاريخي لهذه الظاهرة ، قد اتضح لنا أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه ومنهجيته والنتائج التي يوصل إليها وفي هذا المبحث سنتناول أنواع الشك الرئيسية وما يتفرع عن هذه الأنواع من الصور والتقسيمات وسيكون ذلك في ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : الشك المنهجي :

وهو منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولاً بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب ومغالطات ، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية^(١)

والإنسان بطبيعته له بعض الأحكام والتصورات الخاطئة يقول الدكتور/ توفيق الطويل " وهذا الشك المنهجي خير طريقة لاتقاء هذه الأخطاء ، إنه خطوة تسلم إلى اليقين أو تؤدي إلى المعرفة الصادقة ، فهو وسيلة وليس غاية في ذاته ، يزاوله الباحث بإرادته ومحض رغبته ومن ثم يستطيع التحرر منه ، إنه نتيجة عزم من الباحث على أن يشك بنظام وبمقتضى مبدأ في أي فكرة يمكن أن تكون مثاراً للشك " ^(٢).

ويؤكد هذا المعنى **هملتون** (١٧٨٨-١٨٥٦م) ^(٣) بقوله :

"إننا نزاول الشك مؤملين أن ينتهي بنا الشك إلى الاعتقاد" ^(٤) .

ويرى أصحاب هذا المنهج أن المعرفة الموضوعية ممكنة وأن في استطاعة العقل الوصول إلى اليقين والحقيقة ، وذلك عن

(١) الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة (١ / ٥٢٤) .

(٢) أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣١٤) .

(٣) فيلسوف أسكتلندي اهتم بالمنطق من رواد المثالية ومن أهم مؤلفاته : "الميتافيزيقيا والمنطق"

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديميين الروسيين (٥٥٦)

(٤) المرجع السابق : (٣١٦) .

طريق الشك في كل ما اكتسبناه من أفكار وعادات في الماضي ،
فالشك في نظرهم هو الوسيلة الناجحة للوصول إلى اليقين^(١) .

وكانت بدايات هذا النوع من الشك عند اليونان وبالأخص
عند **سقراط** وذلك عن طريق المنهج الذي نهجه في مناقشة محدثيه
وهو **التهكم** : الذي يؤدي إلى تخليص العقل من الأخطاء و**التوليد**
الذي يرشد إلى الحقيقة ، ففي مرحلة التهكم يبدو مع محدثيه وكأنه
يتعلم منهم فيسلم بأقوالهم مصطنعاً الجهل ثم يأخذ في التساؤل
والاستفسار وإثارة الشكوك في صحة ما يقولون حتى يتم تحرير
عقولهم من الأخطاء والاهتداء للحق^(٢) .

وقد تنبه **أرسطو** إلى هذا النوع من الشك وفرق بينه وبين
الشك الحقيقي الهادم ، وأوصى بمزاولته عند البدء بدراسة أي بحث
علمي ، حيث إنه وجد علاقة ضرورية تقوم بين الشك والمعرفة
الصحيحة ، وكشف عن عنصر الإيمان الذي يقوم مطموراً في ثنايا
الشك النزيه ، ورأى أن من يريد أن يكسب ملكة تحصيل المعرفة
يجد في الشك الذي يقوم على التروي والتبصر تحقيقاً لغايته ، لأن
المعرفة التي تعقب الشك تكون أقرب إلى الصواب يقول الدكتور/
مصطفى النشار " إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه
بشك يزاولونه، يشبهون الذين يسيرون على غير هدى فلا يعرفون
الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه " فيما يقول هو نفسه " إن كل حكم
يصدره باحث ينبغي أن يسبقه نظر في الأسباب التي تؤيده

(١) انظر المرجع السابق : (٣١٩) .

(٢) انظر : قصة الفلسفة : ول ديورانت (١١٥) مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥ .

والمبررات التي تعارضه " (١) .

وفي القرون الوسطى استخدم القديس " أوغسطين " الشك كمنهج للوصول الى الحقيقة وذلك عن طريق استبعاده الحواس كمصدر للمعرفة حيث أنه وجد أنها كثيراً ما تخدعنا ثم وجه النظر إلى العقل فوجد أنه يستطيع إصدار أحكام صادقة علاوة على وجود بعض الحقائق التي لا سبيل للشك فيها كالقوانين المنطقية وحقيقة وجودنا وفكرنا (٢) وهنا نجد ان أوغسطين قد نبه الى وجود حقائق وقوانين ليست موضعاً للشك بكل صورته وأشكاله.

وفي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في نشر وتأصيل هذا النوع من الشك فقد قال الجاحظ في ذلك : " اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك تعلماً " (٣) .

ويمكن اعتبار الغزالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر الإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله حيث رأى أن الشك هو الذي يجعل الوصول إلى الحقيقة ممكناً ، ويقول في ذلك : " الشكوك هي الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال " (٤) .

وقد مر الغزالي في أثناء شكه بخطوات يمكن ترتيبها على النحو التالي :

(١) انظر : نظرية العلم الأرسطية : مصطفى النشار (٩٢) دار المعارف ط: الثانية ١٩٩٥ .

(٢) انظر : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم (٢٨) دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .

(٣) الحيوان للجاحظ : (٦ / ٣٥)

(٤) ميزان العمل: للغزالي (٤٠٩) .

أولاً : الشك في التقليد

وقد أراد بهذه الخطوة التشكيك في المعارف التي تأتي عن طريق التقليد، وأول ما أثار انتباهه هو التقليد في العقيدة وفي ذلك يقول: " انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا ، إذ رأيت : صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصير ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على اليهود : وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه "(١) فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين التقليدات ، وأوائلها تلقينات، وفي تميز الحق منها عن الباطل اختلافات "(٢) .

فالغزالي ينفي صدق والتلقينات لأنها قائمة على تقليد الأشخاص، وقد دله الحس على أن الأشخاص يختلفون فيما يقولون إنه الحق ، وإلا كيف نعلل وجود أشخاص على أديان مختلفة يعارض بعضها البعض الآخر ، ولو أن جميع الأشخاص وصلوا إلى الحق لما اختلفوا في الأديان "(٣) .

ولذلك : " فإن التقليد كان عند الغزالي مقياساً لقبول الحق

(١) سيأتي تخريج الحديث هذا في الفصل الأول من الباب الرابع .

(٢) المنقذ من الضلال : للغزالي مع أبحاث في التصوف ، ودراسات عن الإمام الغزالي بقلم عبد الحليم محمود ،

(٨٧) . دار الكتب الحديثة ، ط الثامنة ، ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م .

(٣) انظر المرجع السابق: (٨٧).

... فأصبح التقليد الآن قضية، وأصبح الحس مقياساً للتقليد " (١) .

ثانياً : الشك في الحسيات

وبعد أن هدم التقليد بالحس اتجه إلى الحس فيقول " فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكن أن أشك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع الشك فيها " (٢) .

ويقول أيضاً مبرراً الشك في الحس " من أين الثقة بالحواس وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل ، فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة - تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغته ، بل على التدرج ذرة ، ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف ... " (٣) .

وانتهى به الأمر إلى أن بطلت ثقته بالمحسوسات .

ثالثاً : الشك في العقليات

وبعد أن فقد الغزالي منهجين كانا محل ثقته واطمئنانه لم تتوقف شكوكه عند هذا الحد بل بادره الشك من جديد في العقليات وذلك عن طريق الحس ويصور ذلك بقوله " فقالت الحواس : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات : كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي : فجاء حاكم العقل فكذبني ؟ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على

(١) أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده - مهرجان الغزالي في دمشق (٢٧-٣١) مارس

١٩٦١ - بحث بعنوان رجوع الغزالي إلى اليقين .

(٢) المنقذ من الضلال : للغزالي (٨٩).

(٣) المرجع السابق : (٨٩) .

تصديقي ، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلّى كذب العقل في حكمه، كما تجلّى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته " (١) .

وتعزز هذا الشك عنده بقضية النوم والرؤيا ويقول في ذلك: " أما تراك تعتقد في النوم أموراً وتتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فيم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك ، بحس أو عقل ، هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك : كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة ، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها " (٢) .

وفي الفلسفة الحديثة نجد أن الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون^(٣) (١٥٦١-١٦٢٦م) ممن استخدموا الشك المنهجي للوصول إلى الحقيقة ، والذي دعا بيكون لذلك هو وجود ذلك العدد الكبير من الأوهام التي تلقيناها من المجتمع واستقرت في عقولنا دون انتباه منا ، ولكي يتم لنا الوصول إلى الحقيقة - من وجهة نظره - يجب التخلص من هذه الأوهام والأفكار قبل القيام بأي عملية فكرية وقد لخصها بيكون في هذه الأوهام :

(١) المرجع السابق : (٩٠) .

(٢) المرجع السابق : (٩٠) .

(٣) فيلسوف ومحامي انجليزي اهتم بالفلسفة العملية والتجريبية من أبرز مؤلفاته " الأورغانون الجديد "

انظر : اعلام الفلسفة : روني الفا (٣٥٥/١) .

١ - أوهام القبيلة

ويقصد بها الأوهام التي رسخت في الذهن البشري ولا يوجد لها أساس لمجرد أنها صادفت هوى أو رغبة خاصة .

٢ - أوهام الكهف

وهي عبارة عن الأوهام التي تنشأ عن الظروف المحيطة بالفرد ، فتحصر عقليته في إطار معين من التفكير وتفرض عليه نوعاً من العزلة.

٣ - أوهام السوق

وهي الأوهام التي تنشأ من ميل الذهن إلى الانبهار بالألفاظ المستعملة في التجارة واجتماع الناس بعضهم ببعض .

٤ - أوهام المسرح

وهي الأوهام التي انحدرت إلينا من مذاهب الأقدمين وعقائدهم ويتم تقديسها لمجرد أنها قديمة دون العناية باختبار مدى صحتها^(١) .

وهكذا يرى بيكون أن الشك المنهجي يقتضينا أن نتوقف وقفة محدودة نتأمل فيها الأوهام الشائعة التي نشأنا على احترامها وتصديقها لمجرد أننا وجدنا من سبقونا قد اعتقدوا صحتها ، وبذلك نخلص العقل من القيود التي تكبله ونجعله صفحة بيضاء قابلة لاستقبال المعرفة الجديدة^(٢) .

أما الفيلسوف ديكارت فهو أول من تناول الشك المنهجي

(١) انظر : الفلسفة الحديثة عرض ونقد أحمد السيد رمضان (٨٨) . مكتبة الإيمان المنصورة.

(٢) انظر : مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٩٦) .

صراحة في العصر الحديث ورأى ضرورته في حياتنا عموماً لأجل الوصول إلى الحقيقة واليقين .

وقد اتخذ ديكارت خطوات في الشك تكاد تتطابق في أجزاء كثيرة منها مع الخطوات التي استخدمها الغزالي ^(١) وهي كالتالي :

أولاً الشك في التقليد :

وهو بهذه الخطوة يهدف للشك فيما تلقاه في صباه وطفولته مما كان يظنه من المسلمات والبديهيات ويقول في ذلك " ليس بالأمر الجديد ما تبينت من أنني منذ حداثة سني قد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة وكنت أحسبها صحيحة ؛ وأن ما بنيته منذ ذلك الحين على مبادئ هذا حالها من الزعزعة والاضطراب ، لا يمكن أن يكون إلا شيئاً مشكوكاً فيه جداً .. فحكمت حينئذ بأنه لا بد لي مرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل ، ولابد لي من بناء جديد من الأسس إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم شيئاً وطيداً مستقراً " ^(٢) .

ثانياً : الشك في الحواس

وقد كانت المعرفة الحسية موضع ثقة وتصديق عنده ثم لم يلبث بعد المعاينة والتجريب انعدمت ثقته بها وفي ذلك يقول : " كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه من أصدق الأشياء وأوثقها ، قد

(١) انظر : المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت محمود زقزوق (١٥) ،

وانظر أيضاً : المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري : زكي نجيب محمود (٣٢٠) ، دار الشروق .

(٢) التأملات في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت (٥٣) ترجمة عثمان ، أمين مكتبة القاهرة الحديثة ، ط

الثانية ، ١٩٥٦ م .

اكتسبته من الحواس أو بواسطة الحواس غير أنني جربت هذه الحواس في بعض الأحيان فوجدتها خداعة ومن الحكمة ألا نطمئن بحل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة" (١) .

ثالثاً : الشك في العقلية

ولم ينته به الشك عند الحواس بل تجاوز به إلى التشكيك في الأمور العقلية ويصور ذلك بقوله لما كنت أرى أحياناً أن أناساً يغلطون في الأمور التي يحسبون أنهم أعلم الناس بها فما يدريني لعله قد أراد أن أغلط أنا أيضاً كلما جمعت اثنين إلى ثلاثة أو أحصيت أضلاع مربع ما" (٢) .

وعزز هذا الشك كما فعل الغزالي بجانب الرؤى والمنامات فيقول : " ولكن عندما أطيل التفكير في الأمر ، أتذكر أنني كثيراً ما انخدعت في النوم بأشياء هذه الرؤى، وعندما أقف عند هذا الخاطر أرى بغاية الجلاء أنه ليس هناك إمارات يقينية نستطيع بها أن نميز بين اليقظة والنوم تمييزاً دقيقاً، فيساورني الذهول وأن ذهولي لعظيم ، حتى يكاد يصل إلى إقناعي بأنني نائم" (٣) .

وكان خروج ديكارت من شكه الافتراضي مختلفاً عن الغزالي فقد كان عن طريق إثبات الذات المفكرة وهو أنه كلما أمعن في الشك ازداد يقيناً بأنه موجود ويشك أو بالأحرى موجود ويعرف أنه يفكر ويشك ، ومن هنا وصل ديكارت إلى حقيقة أولية مفادها أنه

(١) المرجع السابق : (٥٤) .

(٢) المرجع السابق : (٥٥) .

(٣) نقد العقل بين الغزالي وكانت : عبدالله الفلاحي (٨٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط: الأولى

لا مجال للشك على الإطلاق في حقيقة وجوده كإنسان يشك ويفكر" (١).

ويعتبر منهج " هوسرل " (٢) (١٨٥٩ - ١٩٣٨ م) شبيهاً بمنهج ديكارت حيث يدعو إلى التخلص من التقليد والآراء السابقة لأجل الوصول إلى اليقين والحقيقة بعيداً عن تأثيرها ويقول في ذلك : (يجب التحرر من كل رأي سابق ، باعتبار أن ما ليس متبرهنناً ببرهان ضروري فلا قيمة له " (٣).

وهو يمتنع عن إطلاق أي حكم على الموجودات التي تتناول وجود العالم، بل ووجود الله أيضاً ، إلا أن التوقف يكون مؤقتاً بحيث يتيح للعقل الإنساني النظر في القضية أو الموضوع المراد بحثه نظراً خالياً من أي تأثير (٤) .

ومن خلال هذا العرض التاريخي لبعض نماذج الشك المنهجي يتضح الفرق الكبير بينه وبين الشك المذهبي (الهادم) وكيف أن أصحاب الشك المنهجي في غاية الحرص للوصول إلى الحقيقة واليقين وأنهم قصدوا به أن يكون وسيلة صحيحة وسليمة للوصول إلى المعرفة الحقيقية الصحيحة .

والشك المنهجي عند أصحابه وسيلة كبيرة لتخليص العقل

(١) فلسفة ديكارت ومنهجه : مهدي فضل الله (٩٢)، دار الطليعة ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٩٩٦ م.

(٢) فيلسوف الماني مؤسس المدرسة الظواهرية اهتم بالمنطق والرياضيات ومن مؤلفاته "الفلسفة الأولى" انظر : الموسوعة الفلسفية : عبدالرحمن بدوي (٢/٤٦٠).

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم (٤٦٠) .

(٤) انظر : فلسفة الشك ، أطروحات العقل الفينومينولوجي وشواهداها في الفكر العربي المعاصر : محمد بن

سعود البشر (٢٥) ، دار عالم الكتب ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

من الأوهام والأفكار الناقصة أو المستعجلة التي اكتسبها الإنسان من المجتمع دون أن تتاح له فرصة لتمحيصها وعرضها على الأسس الدينية والعقلية المسلم بها سلفاً .

وهذا ما جعلنا نشير إلى أن أصحاب الشك المنهجي ينطلقون دائماً - أو - من أفكار وأسس دينية وعقلية لا يمكن التشكيك فيها وجعلها تحت مظلة الشك وإلا لأدى بهم الأمر إلى الخروج بهذا الشك إلى الجانب الهادم أو الإلحادي . وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء الإسلام عندما تكلم عن المبادئ الأولية فقال "لأن غاية البرهان أن ينتهي إليها ، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث " (١) .

وإذا طبق الشك المنهجي على الأسس العلمية المعتمدة فهو مرحلة عقلية مهمة للتفكير الصحيح فهو يجعلنا نبدأ بحثنا حذرين من أن تكون أفكارنا الأولى خاطئة أو منحازة أو شخصية . وهذا هو الذي يساعد التفكير الصحيح والنهضات الفكرية والبحث عن احتمالات وفروض جديدة مستندة للأفكار الأصيلة .

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/٣١٠). تحقيق محمد رشاد سالم ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ

المبحث الثاني : الشك المطلق

وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة ، وانعدام الثقة في أدواتها ، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة فيبدأ صاحبه شاكاً وينتهي شاكاً ، وهو يتفادى الخلافات التي تنور بين العلماء والفلاسفة فيلجأ للأمان ويؤثر الترجيح أو الاحتمال أو التوقف عن إصدار الحكم وذلك حسب التوجه الفلسفي المنبثق منه هذا الشك (١) .

وقد تعرضنا فيما سبق لنشأته التاريخية وذلك من خلال استعراضنا للعصر اليوناني والعصر الوسيط والعصر الحديث وسيأتي بيان لتأثيراته في الفلسفة الحديثة في المباحث القادمة . وهذا

(١) انظر : أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣٠٧) .

النوع من الشك يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسيين يندرج تحت كل قسم بعض الصور المتعددة المتفرعة منه وأبرز أقسامه ما يلي :-

القسم الأول : الشك الكلي :

وهو الشك الهادم المتطرف الذي يكون الشك فيه عاماً شاملاً وهو على صورتين :

الصورة الأولى : الشك الكلي في المعرفة :

وهو الشك الذي ينكر كل صورة من صور المعرفة أو وسائلها ، والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة على أوسع معانيها دون مراعاة لنوعية العلم أو المعرفة التي يسعى المرء للحصول عليها، أي بدون مراعاة لما إذا كان هذا العلم المطلوب علماً مطلقاً قاطعاً بصورة واضحة أو علماً قابلاً للتصحيح يمكن تعويضه بعلم آخر إذا اقتضى الأمر^(١).

وتتمثل هذه الصورة من الشك في الشك البيروني الذي سبقت الإشارة إليه. وهو الشك الذي يتوقف عن الإيجاب والسلب، وينكر إمكان المعرفة باطلاق.

وهذه الصورة من صور الشك هي الذي يطلق عليها العرب مصطلح (اللاأدرية) ووصفوهم بأنهم من يقدحون في كل من الحس والعقل ويتوقفون عن الحكم ، لأنه ليس بعد الحس والعقل من حاكم إلا النظر، والنظر فرع الحس والعقل فباطل ببطلانهما، وأنه لا

(١) انظر : مجلة الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، شوال ١٣٩٦هـ ، أكتوبر ، ١٩٧٦م ، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة الشك : محمود زفروق (١٣٤) .

ضرورة، فيجب التوقف في الحكم بوجود كل شيء وفي علمنا به^(١).
وهذا التوقف عن الحكم من شأنه أن يورث حالاً من عدم
القابلية للتأثر والسكينة الكاملة في النفس والتحرر من العاطفة
وضرباً من اللامبالاة بالأشياء الخارجية^(٢). وهذا ما سيكون له مزيد
إيضاح في الحديث عن آثار الشك على الفرد والمجتمع في الباب
الثالث .

الصورة الثانية : الشك الكلي في الحقيقة :

وهو الشك الذي لا ينكر إمكان معرفة الحقيقة وحسب بل ينكر
الحقيقة ذاتها.

ويمكن جعل " الشك في الحقيقة " على وجهين :

١- إنكار وجود حقيقة موضوعية مستقلة عن اعترافنا
الشخصي وكل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتوضيح مفهوم
الحقيقة كانت محاولات قاصرة^(٣) .

وهو ما عبر عنه السوفسطائي جورجياس بقوله " إنه لا يوجد

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل : علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري : (١ / ١٨) ، ط دار
الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) انظر: تاريخ العلم : جورج سارتون ترجمة توفيق الطويل وآخرين : (٣ / ٣٦٠) ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٦١ م.

(٣) مجلة الحكمة : (١٣٥) .

شيء... «(١)» .

وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب (العنادية) وهم الذين يذهبون إلى أن إدراك حقيقة أي شيء - على فرض وجودها - فوق مقدور البشر، وأن كل ما ندركه من الأشياء إنما هو ظواهرها المتغيرة في كل آن «(٢)» .

وهم يعاندون في المعرفة ويدعون أنهم جازمون بأن لا موجود أصلاً وإنما نشأ مذهبهم من الإشكالات المتعارضة عندهم ؛ إذ ما من قضايا بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة مثلها في القوة تضادهما «(٣)» .

٢- استبقاء مفهوم الحقيقة ، ولكن ليس باعتباره مفهوماً موضوعياً ، وإنما يؤخذ على أنه مفهوم نسبي له اعتباره للفرد المفكر «(٤)» .

وهو ما عبر عنه بروتاجوراس السوفسطائي في عبارته المشهورة " الإنسان مقياس كل شيء " «(٥)» .

وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب اسم (العنديّة) " وهم الذين يذهبون إلى القول بأن كل شيء إنما هو

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية .

(٢) تمهيد للفلسفة : محمود زقروق (١٢٦) ، دار المعارف ، ط الخامسة ، ١٩٩٤ م .

(٣) نظرية المعرفة : بين القران والفلسفة : راجع الكردي (٨٥) مكتبة المؤيد ط: الأولى ١٤١٢-١٩٩٢ م .

(٤) مجلة الحكمة : (١٣٥) .

(٥) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد عبد الرحمن مرحبا (١٧٠) .

بالنسبة إلى من عنده علم بذلك الشيء ، أي بحسب نظره فيه : إن حقاً فحق وإن باطلاً فباطل" (١) .

وهناك نوع من أنواع الشك يقترب من مذهب الشك الكلي ألا وهو الشك المنطقي الكلي " وهو الذي ينكر صحة أي نوع من أنواع قواعد الاستنباط التي بواسطتها يمكن أن يحصل المرء على أحكام جديدة من أحكام معينة ، وهو اتجاه خال من التناقض من حيث المبدأ طالما أنه لم يعط تعليلاً أو تأسيساً لوجهة نظره ، وذلك لأنه إذا أعطى مثل التعليل فسيكون ذلك بالنسبة له بمثابة تناقض ذاتي" (٢) .

القسم الثاني : الشك الجزئي :

وهو لا يتضمن إنكار المعرفة أو الحقيقة بإطلاقها أو بمعناها الكلي ، بل هو يختص ببعض الصور والاتجاهات دون البعض الآخر .

وهذا النوع من الشك يتطرق إلى إثبات جزء من الحقيقة ويكون من خلال إثباته وتعصبه لهذا الجزء رافضاً ومشككاً في الجزء المقابل والمضاد لما أثبتته .

(١) تمهيد للفلسفة : محمود زقروق (١٢٥) .

(٢) مجلة الحكمة : (١٣٦) .

ويندرج تحت هذا العنوان صور من الشكوك يمكن الإشارة إلى أهمها وهي كالتالي :

الصورة الأولى : الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس :

وهذه الصورة من الشك تنفي وبكل بساطة كل شيء خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد وتعتبر الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وكل معرفة جاءت من غيرها فهي مرفوضة وغير صحيحة، ويسمون كل شيء خارج عن نطاق الحس " ميتافيزيقيا"، وحتى نفهم هذه الصورة من صور الشك يجدر بنا أن نعرف الميتافيزيقيا

فعند العودة إلى المصادر اللغوية نجد أنها مكونة من كلمتين هما :

ميتا = Meta تعني ما بعد .

فيزيقيا = Physice وتعني الطبيعية .

وقد بدأ استخدام هذا المصطلح في القرن الأول قبل الميلاد وبالتحديد عند أرسطو طاليس الذي كان يعني به الإلهيات أو الفلسفة الأولى ومنه انتقل هذا التعريف إلى تلاميذه وشراحه سواء في اليونان أو من العرب، فنجد أن الكندي يسميها الفلسفة الأولى ، والرازي يطلق عليها العلم الإلهي ، أما ابن سينا^(١) فيسميها الفلسفة الإلهية .

(١) أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا من "بلخ" إحدى قرى بخارى ولد عام ٣٧٥هـ طبيب وفيلسوف من القرامطة الباطنيين من أبرز مؤلفاته (الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتنبيهات) . انظر الأعلام للزركلي (٢/٢٤١)

وظلت الميتافيزيقيا تنمو في هذا النطاق الذي حدده أرسطو طوال العصور الوسطى وفي أوائل العصر الحديث كما هو الحال عند "ديكارت" و"سينوزا" وغيرهم إلى أن جاء "كانت" فأشار إلى مشكلة الميتافيزيقيا وإمكانية قيامها من عدمه، وهذا ما سنعرض له في هذا المبحث (١) .

والشك الميتافيزيقي يتجه إلى الإنكار والتشكيك في كل معرفة خارجة عن نطاق المحسوس ، وعلى هذا فهم يجعلون الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وأن ما لا يدرك بالحواس فليس بموجود و لا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به، ويجعلون كل معارفنا مكتسبة من الحس وحده .

أما ما سوى الحس فهو عندهم وهم وخيال ولا يمت للحقيقة واليقين بأي صلة .

ومن هنا كان الهجوم الكاسح الذي شنّه أتباع المذهب الحسي على الأفكار الميتافيزيقية أو ما وراء المحسوس .

ففي العصور القديمة تعرضت الميتافيزيقيا في كثير من مباحثها إلى الهجوم خاصة من أصحاب الشك المطلق كما هو عند الشكاك البيرونيين ومن سبقهم من السوفسطائيين وذلك من حيث رفضهم للوجود بإطلاق أو في جعل الوجود قائماً على وجود

(١) للمزيد من تعريف الميتافيزيقيا انظر :

— موسوعة لالاند الفلسفية : (٢ / ٧٩٠) ، منشورات عويدات ، بيروت — باريس ، ط الأولى ١٩٩٦ م .

— الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء الروس (٥١٤) .

— موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي : (٢ / ٤٣٩) . — الموسوعة الفلسفية العربية: معن زياد: (١ /

الإنسان نفسه وجعله هو المحور الحقيقي للحقيقة ، وكذلك في رفضهم للعقل واعتبار الحس هو المقياس الوحيد الذي تقوم عليه المعرفة وكذلك رفضهم للذات الإلهية وما يتعلق بعالم الغيب والتشكيك فيما هو خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد ، والأصل في الشك أنه تعليق للحكم أو توقف عن إصداره ويكفي هذا لهدم المعرفة بكليتها (١) .

ونحن عندما نعتبر السوفسطائية هم أول من تصدى للميتافيزيقيا فإنما نعني اتجاههم إلى إنكار مواضيعها وبعض أجزائها وإلا ففي عهدهم لم يكن لهذا المصطلح وجود كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وفي العصور الوسطى كان توجيه النقد العنفي للتفكير الميتافيزيقي الذي ارتضته الكنيسة تأييداً للعقيدة المسيحية أمراً محرماً ومع هذا لا يشك المؤرخون في وجود حركات قوية خفية معادية للتفكير الميتافيزيقي في هذه العصور (٢) .

أما في العصر الحديث فقد اشتد الهجوم على الميتافيزيقيا أو ما وراء الطبيعة وذلك من خلال العديد من المدارس الفلسفية التي تختلف من حيث الدعوى والمنطلق وتتحد جميعاً في نفي عالم ما بعد المحسوس (٣) .

(١) انظر : أسس الفلسفة: توفيق الطويل (٢٥٦).

(٢) المرجع السابق (٢٥٧).

(٣) انظر : المعرفة في الإسلام: د . عبدالله القرني (٤٩١) دار عالم الفوائد ط : الأولى ١٤١٩هـ .

ويأتي في المقدمة المدرسة التجريبية الحسية التي تعتبر الحواس المصدر الوحيد للمعرفة وأنه لا يمكن تصور شيء خارج نطاق المادة المحسوسة وعلى هذا فهم يجمعون على أن الإنسان إذا فقد إحدى حواسه فإنه بالتالي يفقد المعرفة المتعلقة بتلك الحاسة التي فقدها ، فكأن الحواس بمثابة النوافذ للإنسان للوصول إلى المعرفة الخارجية ولعل في عبارة جون لوك زعيم الحسين التي يقول فيها : " إذا سألك سائل : متى بدأت تفكر ؟ فيجب أن تكون الإجابة : حينما بدأت أحس " (١) أصدق مثال على توضيح مذهب الحسين وهو يقول في موطن آخر يعظم فيه من أهمية التجربة وكونها مصدراً أساسياً للأفكار ويقدم فيه صياغة كاملة للمذهب الحسي : " لنفترض أن العقل صفحة بيضاء خالية من كل صورة أو فكرة فكيف له أن يمتلئ إذن ؟ من أين له كل مواد الفهم والمعرفة التي نجدها فيه؟ على هذا أجيب بكلمة واحدة : التجربة . ففيها تقوم كل معرفتنا ومنها تشتق كلياً " (٢) .

وإذا عرفنا مذهبهم القائم على الحس وحده نفهم هجومهم الشديد على ما وراء الطبيعة حيث يقول فولتير (٣) (١٩٩٤- ١٧٧٨م) : " إذا رأيت اثنين يتناقشان في موضوع ولا يفهم أحدهما الآخر فاعلم أنهما يتناقشان في الميتافيزيقيا (٤)" ويشبهه **وليم جيمس** (١)

(١) ما هي الفلسفة للدكتور : حسين علي ، (٢٣) دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م القاهرة .

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة (٢/٥١١) .

(٣) فيلسوف فرنسي من أبرز الفلاسفة التجريبيين ومن مؤلفاته " مقالات حول الإنسان " .

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (٢/١٧٠) .

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢/٢٠١) .

(٤) أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٢٥٦) .

(١٨٤٢-١٩١٠م) الفيلسوف الميتافيزيقي بالأعمى الذي يبحث في حجرة مظلمة عن قطة أو قبعة سوداء لا وجود لها^(٢) .

ولم يختلف كثيراً موقف **الوضعية المنطقية الحديثة** ^(٣) عن الوصفية التجريبية السابقة فقد اتخذت موقفاً معادياً لما بعد الطبيعة وذلك بناء على منهجهم الذي كما يقول الدكتور/ عبدالله القرني (يعتمد على تحليل اللغة على أساس أن كل عبارة لا بد أن يقابلها حقيقة محسوسة ليكون لها معنى ، وأن كل كلمة لا يتحقق فيها هذا الشرط فليس لها معنى ، فضلاً عن أن تكون كاذبة) ^(٤) .

وقد جعلت المدرسة الوضعية المنطقية من أهم أسسها استبعاد الأحكام الميتافيزيقية من كافة العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية أن لم نقل من المعرفة البشرية بصفة عامة^(٥) .

ويعبر عن ذلك **كارناب** ^(٦) (١٩٨١-١٩٧٠م) بقوله : (ان قضايا العلوم الرياضية والعلوم التجريبية هي وحدها التي تحمل

(١) فيلسوف امريكي برجماتي نفعي من أبرز مؤلفاته " الذرائعية " .

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديمين (١٧٣) .

(٢) انظر : أسس الفلسفة (٢٥٦) .

(٣) ضرب من الوضعية الجديدة نشأت من خلال جماعة فينا ومن أبرز علمائها كارناب وتحاول الربط بين التجريبية والتحليل .

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديمين السوفياتيين (٥٨٤) .

(٤) المعرفة في الإسلام للدكتور : عبدالله القرني (٤٩٨) .

(٥) انظر : دراسات في الفلسفة المعاصرة : د . زكريا إبراهيم (٢٨٥) ، مكتبة مصر بدون تاريخ .

(٦) فيلسوف عاش في الولايات المتحدة وهو من أبرز زعماء الوضعية المنطقية الحديثة من أبرز كتبه " المعنى والضرورة " و " مقدمة إلى نظرية المدلولات اللفظية " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢٢٣/٢) .

معنى أما غيرها من قضايا العلوم المزعومة الأخرى فإنها عديمة
المعنى^(١).

وهم يركزون ويبنون منهجهم المعرفي على المحسوس
والمجرب وما وراء ذلك فهو وهم وخيال كما يؤكد ذلك كارنب
نفسه بقوله: (سأخلع صفة ميتافيزيقي على كل تلك القضايا التي
تدعي تمثيل المعرفة بشأن شيء يفوق أو يتجاوز أي خبرة)^(٢) .

وبما أن الماورائيات أو الغيب أو الميتافيزيقا تقوم أصلاً
على مبادئ تفوق مجال الخبرة الحسية ، كان من المستحيل-عندهم-
التحقق من صحتها وعلى هذا فهي مرفوضة لا لشيء إلا لكونها
فارغة من المعنى .

بل إنهم يعتبرون كل ما هو خارج عن نطاق المحسوس من
باب العبث والعواطف الانفعالية التي لا تستند على العلم والمعرفة
فيقول الفيلسوف آير (١٩١٠ -)^(٣) " وإنما تنشأ الميتافيزيقيا عن
رغبة الناس في الامتداد بعواطفهم وانفعالاتهم إلى ما وراء حدودها
المشروعة فنراهم يعبرون عنها على صورة نظريات ويقدمونها
على شكل وقائع موضوعية ... ولكنهم عندئذ لا يقررون في الواقع
أي شيء " ^(٤) .

(١) أسس الفلسفة: توفيق الطويل (٢٧٦).

(٢) المادية في الفكر الفلسفي: د . أحمد السيد رمضان (١٥٣) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط الأولى ،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(٣) فيلسوف إنجليزي لم أفد على تاريخ وفاته وهو ممن ينتسب للوضعية المنطقية الحديثة ومن أبرز مؤلفاته :
أسس المعرفة التجريبية " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/١٦٥).

(٤) أسس الفلسفة: السيد عبد الرحمن (١٤٦) دار الحكمة ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٢م.

وهذا ما يؤكد زكي نجيب محمود بقوله " يزعم لنا الميتافيزنفي أنه قد جاءنا بعلم عن الحقيقة التي لا تدخل في نطاق الطبيعة المحسوسة المشهودة ، إذ هو يحدثنا عن أشياء تجاوز عالم الشهادة والحس ، فنسأله من أي المقدمات استخلصت نتائجك التي انتهت إليها ؟ أليس يتحتم عليك أن تبدأ بشهادة الحواس ؟ وإن كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن تستنبط من مقدمات حسية نتائج عن حقيقة أخرى خارجة عن نطاق الحواس ؟ إنك إذا بدأت بمقدمات تجريبية وحصرت نفسك فيما تنبئك به فيستحيل أن تستدل على وجود شيء أو صفة مما يخرج عن نطاق التجربة " (١) .

وعلى ما سبق فقد اتضح لنا موقف الوضعية المنطقية الرافض والمشكك في عالم الغيب أو ما وراء الطبيعة على أنهم في واقعهم العلمي التجريبي لم يصلوا إلى مرحلة اليقين بصحة النتائج التي يتوصلون إليها، فما هو كارنب والذي يعتبر من أهم دعاة الوضعية المنطقية يعلق على تجربة القضيب المغناطيسي حول كونه جاذباً للحديد أم لا فيقول : " وكلما كانت نتائج هذه الطرق إيجابية في صالح إثبات صحة القضية تأكدنا من صحتها أكثر وزاد يقينها إلى درجة كافية لجميع الأغراض العلمية أما اليقين المطلق فلا يمكن أن نبلغه أبداً " (٢) .

الصورة الثانية : الشك في الواقع الخارجي للأشياء :

(١) موقف من الميتافيزيقيا للدكتور: زكي نجيب محمود (٧٨). دار الشروق ١٩٨٠ .

(٢) المادية في الفكر الفلسفي: د . أحمد السيد رمضان (١٥١).

وهذا النوع من الشك يستند إلى نظرية أن الحواس تخطئ باستمرار أو تكون غير سليمة في كثير من أحوالها وعلى هذا فلا يمكن الوثوق بها أو تأسيس معرفة يقينية مبنية على الحواس .

ورتبوا على هذه المقدمة أمراً آخر ألا وهو أن المعطيات التي نأخذها من الحواس كاللون والحرارة والبرودة وغيرها هي مجرد إدراكات فقط ولا يستلزم من هذه الإدراكات وجود واقع خارجي مستقل لهذه الأشياء .

فعندما يحس الإنسان ببرودة شيء أو بحرارته فإنه لا يمكنه التيقن إلا بهذه البرودة أو هذه الحرارة وفي هذا يقول باركلي :

" الإحساس هو المعطى الوحيد الذي يمكنكم الوصول إليه ، فبأي حق إذن تبحثون خلف هذه الإحساسات عن ضمانة مادية ، الوجود هو الإدراك ، وليس العالم شيئاً آخر سوى الإحساسات التي تتكون لديه عنه"^(١).

ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله " كل ما يتردد عن وجود مطلق للأشياء لا صلة بينه وبين وجودها المدرك يبدو مجرداً تماماً من المعقولية ، فوجود الأشياء قائم في إدراكها ، ومن المستحيل أن يكون لها وجود مستقل عن العقول أو الطبائع المدركة التي تقوم بإدراكها"^(٢).

(١) النظرية المادية في المعرفة روجية جاروي (٧) ، ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

(٢) باركلي : يحيى هويدي (١٤٢) ، دار المعارف ، مصر .

ويأتي ديفيد هيوم فيتابع القول على هذا الإنكار ويقول " بأي حجة تدلل على أن إدراكات الذهن يجب أن تكون حادثة عن أشياء خارجة ، وأنه لا يمن أن تحدث عن قوة الذهن نفسه ؟... إن الذهن لا يجد في نفسه سوى إدراكات كافلاً يستطيع أن يتحقق من ارتباط هذه الإدراكات بأشياء لا يبلغ إليها"^(١).

وهم لا يقضون في استدلالهم على نفي الوجود الخارجي للأشياء على عدم سلامة الحواس فقط بل هم يكابرون ويقولون إنه لا يمكن الاستدلال على وجودها، وفي النص السابق الذي ذكرناه عن هيوم ما يؤكد ذلك، وقد تابعه على ذلك الكثير من التجريبيين^(٢) وسيأتي مناقشة لهذا النوع من الشك في الردود على الشكك ونقض حججهم في الفصل الثاني من الباب الأخير.

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم (١٧٧-١٨٧).

(٢) انظر : المسائل الرئيسية في الفلسفة أير (٨٣-٨٤) ، ترجمة : محمود زيدان ، الهيئة العامة لشئون المطابع

الأميرية مصر (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

الصورة الثالثة : الشك التجريبي

وهذا النوع من الشك ينحصر ويتركز في العلوم التجريبية العلمية المعتمدة على الحس والتجربة والمشاهدة .

فكما هو معلوم أننا نستقي المعرفة من الحس كما هو العقل وهذه المحسوسات يطبق عليها نظام التجربة والمشاهدة وعلى ضوء ملاحظتنا وإدراكاتنا نستنبط منها المعرفة والقوانين الطبيعية ولا شك أن هناك أسساً وقواعد عقلية يقينية النتائج هيأها الله سبحانه وتعالى للإنسان بها يستنبط ويقايس حتى يصل إلى معرفة ونتيجة مطمئنة. وهذه الأسس والقواعد موثوقة وأثبتت التجارب والمشاهدات صدقها وصحة نتائجها.

والصورة الشكوية التي نعرض لها الآن تنصب على هذه الأسس والقواعد فتشكك فيها وفي صحة نتائجها أو ترفضها جملة وتنتفي كونها قانوناً ومنهجاً يتوصل به إلى إثبات أي شيء .
ومن أهم القوانين التي تعرض لها بالنفي والشك ما يلي :

١ - إنكار السببية أو العلية :

وقبل أن نشرح في بيان هذه الصورة الشكوية أو الإنكارية يجب أن نعرف ما هي السببية ؟

فنجد أنها مأخوذة من السبب وهو في اللغة الحبل ثم استعير لمعنى الحادثة، التي يتولد عنها حادثة أخرى، فكأنما هي حبل موصول إليها، والمقصود بالسببية في الاصطلاح : هي ضرورة أن

يكون لكل حادثة سبب أو هي الصلة والعلاقة بين الحادثتين
المطردتين بانتظام (١).

وهذه الصورة الشككية ترفض هذه العلاقة بين السبب
والمسبب أو بين العلة والمعلول وتجعل الأمر وكأنه اقتران وتجاوز
لحادثتين جعلنا طول تكرارها واقترانها سوياً أن نفهم أن بينها علاقة
سببية وإلا فعندهم أنه ليس بينهما أي علاقة ولا سبب أبداً.

وهذا الإنكار لمبدأ السببية بدأ عند الأشاعرة من أمثال
الباقلاني والجويني وأبي حامد الغزالي (٢).

وفي هذا يقول الغزالي : " إن جميع أحداث الكون أفعال
مباشرة لله سبحانه بدون تلك الأسباب ، فاحترق الخشب الذي جمعه
قوم إبراهيم لإحراقه بالنار وكونها برداً وسلاماً عليه لا فرق بينهما
فيما عدا التداعي الذهني- ومن هنا : فلا تحتوي السببية على أي
تأثير متبادل بين السبب والمسبب، وليست بالتالي مبدأً فطرياً" (٣).

والأشاعرة ينفون السببية ويجعلون إثباتها قدحاً في توحيد
ربوبية الله سبحانه وتعالى باعتبار أنها تجرد الله من الفعل وتنسبه
للسبب بل إن دحلان (٤) قد جعل إثباتها شركاً أو ابتداءً حين يقول :
"ومن أصناف الشرك : إضافة الفعل لغير الله سبحانه وتعالى ، ومنه
ما أضيف من أفعال البعض من أن النار تحرق ، والطعام يشبع

(١) انظر : التعريفات للجرجاني (٨١) انظر ايضا : المعجم الفلسفي جميل صليبا (١/٤٣٣) وما بعدها .

(٢) انظر : لن تلحد : أبو عبد الرحمن الظاهري (٣٩)، الكتاب العربي السعودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ -
١٩٨٣ م .

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي (١٨٧) ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، المكتبة الحديثة.

(٤) أحمد بن زيني ، فقيه شافعي ، ومتكلم أشعري توفي عام ١٣٠٤ انظر : الأعلام : للزركلي (١/٨٢) .

والثوب يستر ... فمن قال بطبعها تفعل فلا خلاف في كفره ، ومن قال بقوة جعلها الله فيها كان مبتدعاً وقد اختلف في كفره" (١).

وقد تابع التجريبيون الأشاعرة في نقدهم وإنكارهم لمبدأ السببية وكان من أوائل من أنكر العلية من الفلاسفة التجريبيين في العصر الحديث الفيلسوف الفرنسي **مالبرانش** (٢) (١٦٣٨-١٧١٥) الذي قدّم بحثاً كثيرة في نفي العلية وإرجاع كل الحوادث إلى الله مباشرة دون ترتيب أسباب للحوادث وفي هذا يقول " لا علة إلا ما أدرك العقل بينها وبين معلولها علاقة ضرورية والله جل جلاله هو العلة الحقيقية للأشياء" (٣).

وتابعه **هيوم** على ذلك فيقول: " كل ما هنالك أن العلة شيء كثر بعده تكرار شيء آخر حتى إن حضور الأول يجعلنا دائماً نفكر في الثاني" (٤).

وهؤلاء المنكرون متذبذبون فنجد البعض منهم لا يستطيع طرد الضرورة الحتمية للسببية فيحاول إثباتها ولكن ينسبها إلى التجربة والاستقراء وعلى هذا فهي عنده لا تدل على الضرورة وإنما تدل على الاحتمال والإمكان فقط ومنهم الفيلسوف **ستوارت مل** الذي يقول في ذلك " إن قانون السببية نفسه الذي تكون معرفتنا به هي العمود الرئيسي ، ليس إلا الصدق المؤلف المعتاد عن

(١) نقلا من كتاب مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزبيدي (٥٥٢) .

(٢) فيلسوف فرنسي ، تخرج من جامعة السربون ثم صار كاهناً من أبرز مؤلفاته " بحث عن الحقيقة " تأملات مسيحية وميتافيزيقية " انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني الفا (٤٤٢/٢).

(٣) لن تلحد : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، (٣٩) .

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم (١٧٥) .

التتابع أو التوالي الثابت الذي لا يتغير والذي نجده عن طريق الملاحظة بين كل واقعة في الطبيعة وواقعة أخرى غيرها تكون أسبق منها"^(١).

٢ - إنكار الاستقراء والتشكيك فيه وفي نتائجه:

والاستقراء الذي ينكره الشكاك هو : استنتاج قضية كلية من مقدمات جزئية والاستقراء من خلال الدراسة للجزئيات يصل إلى فرض القوانين الكلية وإصدار التعميمات فإذا رأينا مثلاً هذه القطعة من الخشب تحترق إذا عرضت للنار والقطعة الثانية والثالثة... الخ فإننا سنجزم بالاستقراء أن الخشب يحترق كلما وضع على النار.

وهؤلاء الشكاك يرفضون هذا الاستقراء واطراد الحكم فيه وذلك أنهم يقولون إننا وضعنا حكماً كلياً عاماً على جزئيات وعندهم لا يمكن الانتقال من حكم جزئي إلى حكم كلي ففي المثال الذي ذكرناه سابقاً فإنهم يقولون ما أدراكم أن يأتي يوم لا تكون النار محرقة فيه للخشب حتى وإن كانت خبرتنا الحاضرة تؤكد إحراق النار للخشب^(٢).

ويعتبر هـيوم من أكثر المنظرين لهذا النوع من الشك وهو مبني عنده على رفض السببية في الأصل فهو يرى أن الأحكام التجريبية لا يمكن أن تكون ضرورية ولا يمكن اعتبار الاطراد في

(١) مدخل إلى الميتافيزيقيا : عزمي إسلام (١٩١) مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ط: الأولى ، ١٩٧٧م .
(٢) انظر: الاستقراء والمنهج العلمي : محمود فهمي زيدان (٥٨) دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، ط : الأولى ، ٢٠٠٢م .

التجربة والاستقراء ، لأن الاستقراء لا بد له من أساس حتى نحكم بضرورة الأطراد فيه ، ومجرد التابع بين الأسباب والمسببات لا يدل على ضرورة الأطراد بينها ، وعلى هذا لا يكون للاستقراء أساس^(١).

ويتابعه برتراندرسل فيقول " مبدأ الاستقراء ليس فقط مشكوكاً فيه بل وأيضا باطل " ^(٢).

ويقتفي زكي نجيب محمود رأي من سبقه من الشكاك فيقول " لا استحالة أن يكون الحكم نقيض ماهو الآن ، لأنه لا استحالة في أن يتصور العقل أن تكون خصائص الأشياء على غير ما هي عليه هل هناك استحالة عقلية في أن أتصور الشجر وقد أورق في الشتاء وذوت أوراقه في الصيف ؟ وما دام الأمر في حدود التصور الواضح إذن فهو عند العقل ممكن الوقوع ، وإذن فلا استحالة فيه ولا تناقض، ولا يمكن البرهنة على بطلانه برهاناً يقوم على العقل المجرد إن تكرارك للخبرة المعينة آلاف المرات ، ووصولك في كل هذه المرات إلى النتيجة عينها لا يجعل استدلالك للخبرة الجديدة التي من نفس النوع استدلالاً تعينياً ، لأن هنالك دائماً الإمكان العقلي بأن تغير الطبيعة مجراها فلا تأتي الأشياء على غرار ما أتت وما دام هذا الانحراف ممكناً أحياناً فلماذا لا يمكن دائماً " ^(٣).

(١) انظر : الأسس المنطقية للاستقراء :محمد باقر الصدر (١٠٠)، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة.

(٢) موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي (١ / ٥٢٣).

(٣) ديفيد هيوم :زكي نجيب محمود (٧٥ - ٧٧).

وكما صنع ستوارت مل في السببية عندما أثبتتها وأرجعها للحس والتجربة وهذا من تذبذبه واضطرابه فإنه هنا أيضا يثبت نتائج الاستقراء ويجعلها مطردة ولكنه يرجع ذلك إلى الاستقراء نفسه وليس لأنه مبدأ عقلي ضروري فيقول عن الاطراد: " هذه الروابط دائمة ، أي تكون دائماً هي هي إذا توافرت نفس الظروف ، والمثابرة التي تربط بين الظواهر والمتواليات الدائمة التي على أساسها تتوالى المقدمات والتوالي هي ما نسميه قوانين"^(١).

(١) مدخل جديد إلى الفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، (١٦٧).

المبحث الثالث : الشك الاعتقادي :

وهذا النوع من الشك هو الذي يستهدف العقائد الدينية التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى وجاء بها الوحي المنزل على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم .

والشاك في هذا النوع إما أن يتجه إلى إنكار الدين بذاته فيرفض الوحي جملة وينكر بعث الأنبياء والكتب المنزلة عليهم من السماء أو يكون شكه جزئياً في بعض الأحكام والاعتقادات التي تضمنتها الشرائع والديانات ، فنجده ينكر الملائكة أو عذاب القبر أو يرد بعض النصوص النبوية الصحيحة ويجعل له حججاً وبراهين إما عقلية أو حسية ترد كل هذه الاعتقادات الصحيحة .

وهذا النوع من الشك يتخذ عدة صور يمكن الإشارة إليها هنا باختصار ومن ثم نورد الأمثلة عليها عند حديثنا عن وجود هذا الشك عند الفرق الكلامية والصوفية والباطنية وغيرها وذلك في الباب الثاني من هذا البحث الذي أفردناه لهذه الفرق ومن أهم الصور ما يلي :

الصورة الأولى : الشك الذاتي في المعتقد:

وفي هذا الصورة يكون الشاك متشككاً في ذاته وفي اعتقاده الفردي حول هذه العقيدة فهو لم يصل إلى مرحلة الإنكار الكلي لها ولم يصل أيضاً إلى مرحلة التسليم واليقين التام بهذه العقيدة فيبقى فيها حائراً متذبذباً لم يصل إلى نتيجة نهائية فيما يتعلق بالقبول أو الرفض لها فيؤثر الصمت حولها أو إيراد الحجج المتقابلة دون

ترجيح أو إعلان الشك التام الصريح في هذه المسألة، وتتكافأ الأدلة لديه ولا يصل إلى معتقد واضح فيها .

الصورة الثانية : تشكيك الناس في العقائد :

وهذه الصورة ينهجها أعداء الدين؛ وذلك أنهم في سعيهم للقضاء على الدين ومحاربتهم لأهله ورغبتهم الشديدة في زعزعة اليقين لدى أصحابه يلجأون للتشكيك في الدين ذاته وفي كل مصادره بداية من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالتشكيك في النبوة والكتاب ونهاية ببعض العقائد الدينية الشرعية التي جاء بها الدين .

وهذه الصورة هي التي ينهجها الكفار والمشركون وأعداء الدين منذ عهد النبوة إلى عهدنا الحاضر كما قال الله سبحانه وتعالى عنهم : {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ زِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}{^(١) .

فهم في الأصل منكرون للدين أو لبعض العقائد التي جاء بها، ولكنهم يشككون الناس ويحققون بهذه الوسيلة التشكيكية صرف الناس عن دينهم واعتقادهم وزعزعة مصادرهم الدينية الربانية .

(١) النجم (٢٧ - ٢٩) .

الصورة الثالثة : الإنكار للدين أو بعض العقائد:

وهذه الصورة هي الظاهرة فأصحابها لا يتشككون بل ينكرون ولا يتوقفون بل يجزمون بالإنكار ويجاهرون به ونحن نضعهم في مصاف الشكاك لعدة اعتبارات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١- أن الملحد أو المنكر للاعتقادات الدينية يعارض أمراً صحيحاً فطرياً يجعلنا نجزم يقيناً بخطأه ، وهو عندما ينكر كل هذه الأمور الفطرية الضرورية والتي هي في الواقع مملوكة لديه ونعني بها فطرية الإيمان بالله والمحسوسات والمعقولات وكل ما يتعلق بها من اعتقادات، فهو على هذا متذبذب بين ما وهب له من ضروريات وفطرة وبين إنكاره الصريح لها فيكون شاكاً بهذا الاعتبار^(١).

٢- أن المنتبِع لأحوال هؤلاء المنكرين وخاصة لبعض العقائد الدينية يجدهم ينكرون أمراً معيناً ومن ثم يتناقضون فيثبتون نقيضاً لها مما يتساوى معه في مبرراته ، ولأنهم لم يقيموا أسساً منهجية واضحة فكل هذا جعلهم يضطربون ويتحيرون، فلأجل ذلك فهم في الأصل متشككين، وليس لديهم قناعة واضحة بما ينكرون .

٣- أن كثيراً من هذه الإنكارات جاءت عند فلاسفة مذهبهم العام هو الشك، ولكنهم في بعض الاعتقادات يجتهدون في نفيها نفياً مباشراً صريحاً لكي تخدم مذهبهم الشكي العام، سواء كان شاكاً كلياً أو جزئياً معيناً في نوع معين من المعرفة الإنسانية .

(١) انظر : لن تلحد : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (٩٩) .

الفصل الثالث :الجدور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

- تمهيد .
- المبحث الأول/ الشك في العصر اليوناني .
- المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .
- المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث.

تمهيد :

لم يحفظ لنا التاريخ الإنساني وجوداً لمشكلة الشك وما يتعلق به من مشاكل المعرفة والوجود قبل الحضارة اليونانية حيث كان اهتمام الحضارات الأخرى منصباً على البحث في ماهية الكون وما يتعلق به كالموت والحياة الأخرى، ولم تول الجانب المعرفي الاهتمام الكافي والعناية الكبيرة^(١).

إضافة إلى أنه لم يكن هناك اهتمام بجوانب التدوين والتأريخ ، بعكس حضارة اليونان التي نقل إلينا الكثير من مدوناتهم ومؤلفاتهم مع ما حصل في عهدهم من اهتمام بقضايا المعرفة ومشكلاتها والتي لها تعلق كبير بالشك الذي هو محور حديثنا وفي هذا يقول الدكتور فيصل بدير عون (فكما هو معروف أن أول من تفلسف هم اليونان ، صحيح أنه كانت آراء متناثرة وحكم شعبية وأساطير وغيرها لدى الصينيين والآشوريين والبابليين والهنود ، لكن كل ذلك لم يضم في نسيج واحد)^(٢) . ولذا فإننا في تناولنا للجذور التاريخية للشك سنبدأ بالعصر اليوناني للأهمية التي أشرنا إليها ولما ناله هذا العصر من اهتمام وتأثير في تاريخ الفلسفة قديماً وحديثاً .

(١) انظر: الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين : أبقار السقاف (١٦-٢٠) دار الانتشار العربي لبنان ، ط : الأولى ٢٠٠٤م

(٢) محاضرات في الفلسفة القديمة : فيصل بدير عون (٢٥٨) ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣م .

-انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي : مصطفى النشار (١ / ٦٧) ، دار قباء ، ١٩٩٨م .

- انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها : أميرة حلمي (٢١) ، دار قباء ، ١٩٩٨م .

المبحث الأول : الشك في العصر اليوناني:

وسنتناول في هذا المبحث خمس مراحل مر بها الشك اليوناني نوردها مرتبةً كالتالي :-

أولاً : الشك قبل السوفسطائية :

كان أول ظهور للشك في الحضارة اليونانية عبارة عن مقولات حفظت عند بعض الفلاسفة المتقدمين ولكنهم في الجملة لم ينادوا بالشك المطلق أو لم يكن لهم تراث فلسفي يعتمد على الشك بشكل واضح .

ويأتي " أكسينوفان ^(١) " (٥٧١-٤٧٥ ق.م) على قائمة هؤلاء الفلاسفة فقد أثر عنه قوله : " اليقين الكامل فوق إدراك الإنسان لأن فوق الأشياء ظاهراً يخفي حقائقها ^(٢) " .

ومثله ما وجد عند " هيراقليطس ^(٣) " (٥٣٥-٤٧٥ ق.م) من آراء تدل على أن المعلومات التي تأتي عن طريق الحواس لا تكفي للوصول إلى الحقيقة ، وأنه لا بد من ضرورة التعمق فيما وراء الظواهر المحسوسة من علاقات ومعان ، وأن حقيقة الأشياء تخفى علينا ، لأن

(١) ورد في بعض المصادر " كزبنوفانس " وقد أثبتنا الذي عليه الأعم الأغلب من المصادر التي أرخت لهذه الفترة وهو فيلسوف يوناني ولد في آسيا الصغرى واستقر في مدينة " إيليا " جنوب إيطاليا وينسب إليه البعض تأسيس الفلسفة الإلييائية انظر : " تاريخ الفلسفة اليونانية " : ماجد فخري (٣١) دار العلم للملايين ط : الأولى ١٩٩١ م .

(٢) ديكارت والفلسفة العقلية: راوية عبد المنعم (١٠٧) . دار المعرفة الجامعية بدون تاريخ.

(٣) فيلسوف يوناني ومن أبرز شعرائها ولد في أفسوس في آسيا الصغرى وهو من أسرة أرستقراطية ينسب إلى الفلاسفة الطبيعيين ومما ورد من مؤلفاته " في الطبيعة " و " في الكل " .

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية د / محمد مرجبا (١٠١-١٠٢)

مؤسسة عز الدين للطباعة ، ط : الأولى ١٤١٤-١١٩٣ م .

ظاهرها غير باطنها (١) .

وكان يقول " إن كل الأشياء في تغير مستمر ، فأنت لا تنزل في النهر الواحد مرتين لأن مياهاً متجددة تجري من حولك باستمرار " (٢) . وعلى هذا فهو ينفي معرفتنا بالأشياء على وجه اليقين والدقة لأنها في تغير واستمرار كما أنه في الوقت الذي تتيقن فيه أنك نزلت النهر مرتين ينهار هذا اليقين عندما تعلم أنك نزلت نهريين في المرتين أو نزلت في كل مرة نهراً جديداً.

يقول الدكتور/ أحمد السيد رمضان " وإذا كانت الأشياء عنده في تغير متصل فلا يوجد شيء واحد في ذاته، ولا يوجد شيء يمكن أن يسمى أو أن يوصف بالضبط ، فما نحسه فهو موجود على النحو الذي نحسه وما ليس في حسنا فهو غير موجود . وعلى ذلك لا يوجد عنده مطلق أو ثبات بل كل ما هو موجود يعتبر نسبياً ، إذا فمعارفنا نسبية " (٣).

أما " بارميندس" (٤) " (٥٣٠-٤٤٠ ق.م) فقد أتت شكوكه منصبية على المعرفة الحسية حيث يرى أن طريق الحق واليقين هو النظر العقلي

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٣٧) .

- انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية أميرة حلمي : (٦٢) .

(٢) مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية : عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٥) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى ، ١٩٧٦م .

(٣) الفلسفة اليونانية عرض ونقد : أحمد السيد رمضان (٤٥) ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م

(٤) فيلسوف يوناني ولد في إيليا جنوب إيطاليا وفد على أثينا وهو في سن الخامسة والستين ومن أبرز مؤلفاته كتاب " في طبيعة الأشياء "

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة إعداد روني ألفا (١/١٨٢) مراجعة جورج نحل دار الكتب العلمية لبنان ،

ط : الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م

انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٣٨).

أما الحسي فهو طريق اللايقين واللاحقيقة (١) .

" وهو كما يقول فلان يرى أن الحس يدل على الظاهرات المتغيرة التي لا تفيد غير الظن ولا تغني من الحق شيئاً " (٢) .

وجاء " ميلسيوس " (٣) ولم يزد آراء تذكر على آراء استاذة " بارميندس " بل استمر في " نقد مذاهب الطبيعيين الأوائل باعتبار أن سبيلهم في الحكم على الأشياء هو الحس ، والحس خادع " (٤) .

وهكذا وجدت هذه الآراء الموثقة في أفكار فلاسفة اليونان الأوائل ولكنها لم تكن تشكل مذهباً شكياً قائماً على أسس الشك التي سيأتي الكلام عنها لاحقاً ، ولكن هذه الأقوال شكلت أساساً ومستنداً قوياً هياً لظهور حركة شكية قوية أثرت تأثيراً كبيراً في الحياة اليونانية وما بعدها ألا وهي حركة السوفسطائية وهو ما سنتعرض له في الأسطر القادمة .

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (١ / ١٩٠) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية : محمد عبد الرحمن مرحبا (٩٢) . مؤسسة عز الدين ، ط الأولى ، ١٩٩٣ م .

(٣) لم تعرف سنة ولادته ووفاته على التحديد ولكنه كان مشهوراً في عام (٤٤١-٤٤٢ ق.م) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (١ / ٢٠٧) .

(٤) الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية : حربي عباس عطيتو (١٧١) ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ م .

ثانياً : الشك عند السوفسطائية :

أصل هذا لفظ السفسطة في اليونان (سوفيسطا) وهو مشتق من لفظ " سوفوس " بمعنى حكيم حاذق ، والسفسطة هي الحكمة المموهة حيث أن " سوفاس " يعني : العلم و " أسطاس " يعني الغلط ، فسوفسطا يعني : علم الغلط^(١).

وقد ظهرت في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد على يدي مجموعة من المعلمين الذين استغلوا الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من الحضارة اليونانية حيث يقول نديم الجسر " كانت تغطي فيها على البلاد موجة من الشك والكفر بآلهة الأساطير ، وموجة فتحت للناس أبواب المناصب ، من طريق التلاعب بالجماهير ، فمهرروا في تعليم الناس فنون البيان ، والخطابة ، والجدل ، وتزويق الكلام. وكانوا يفخرون بأنهم يستطيعون أن يؤيدوا الرأي ونقيضه ... " ^(٢) وكان ذلك نظير أجر مالي يأخذونه من المتعلمين .

والذي يؤكد أكثر المؤرخين أنهم لم يكونوا أصحاب مذهب فلسفي مشترك ، ولم يكونوا فيما بينهم مدرسة فلسفية ، كما لم يشيد أي منهم مذهباً للفكر ، فلا يوجد بينهم سوى بعض الأفكار المفككة ، ولم تجمع بينهم أية رابطة شخصية ، وإنما كانوا فئة محترفة متناثرة في أنحاء

(١) انظر : المعجم الفلسفي : جميل صليبا (١ / ٦٥٨) ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ م .

وانظر أيضاً : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٥٧) ، طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ م .

(٢) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن : نديم الجسر (٣٦) ، دار الأمد البحري إخوان طرابلس

اليونان ينشرون تعاليمهم بين الشباب (١).

وتبرز أهميتهم في الحضارة اليونانية أنهم انتقلوا بالفلسفة من البحث في قضايا عامة كالوجود والطبيعة ، وأنزلوا الفلسفة للجانب الإنساني على مستواه الفردي فقد جاءت فلسفة السوفسطائيين تعبر تعبيراً قوياً عن النزعة الفردية يتجلى هذا بخاصة في نظرياتهم السياسية والأخلاقية والتربوية (٢) .

وقد استغل السوفسطائية الآراء المتناثرة عند الفلاسفة الذين سبقوهم وبخاصة الآراء التي تقدر في الحس أو العقل أو فيهما معاً إضافة إلى آرائهم في التغير والتحول (٣) ومنها خرجوا بمذهبهم في المعرفة الذي سنعرض له من خلال تتبع أبرز زعمائهم .

ومن أبرز من يمثل هذه النزعة :

١- بروتاجوراس: (٤٨٠ - ٤١٠ ق م) وهو يعتبر أقدم السوفسطائيين ، وتتركز آراؤه في الآلهة (٤) ، والمعرفة ، والأخلاق والفضيلة . ويمكن إجمالها على النحو التالي:

(١) انظر : " أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوروبا في العصر الحديث " (٣٥) . رسالة مقدمة من دعاء وجدي محمد فهيم للحصول على درجة الماجستير في الآداب عين شمس (مصر) تخصص فلسفة إشراف : سعد عبد العزيز حباتر ، ١٩٩٥ م .

وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية: مصطفى النشار : (٢ / ٤١) .

(٢) انظر الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (١١٨) .

(٣) انظر مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٦) .

(٤) والمقصود هنا موقفة من آلهة اليونان ولا يقصد به قضية الألوهية الشرعية فالإيونانيين كانوا وثنيين يعبدون الكواكب وغيرها .

❖ موقفه من الآلهة :-

كان يرى تعليق الحكم على وجودها فهو يقول في كتاب له أسماء (الحقيقة) : (١) " لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ، فإن أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة " (٢) .

يقول الدكتور/ مصطفى النشار " وهذا يأتي متسقاً مع نظريته في المعرفة فما دام الإنسان الفرد بحواسه هو معيار وجود الأشياء جميعاً ، فمسألة وجود الآلهة إذن ينبغي أن تخضع لهذه النسبية ولنفس المعيار ، وما دامت الحواس غير قادرة على إدراك هذا النوع من الوجود وجود الآلهة فالموضوع إذن غامض كما أن حياة الإنسان قصيرة لدرجة أنه لا يمكنه أن يأمل في أن تقع الآلهة في نطاق خبراته الحسية ذات يوم " (٣) .

وقد أدى به هذا القول في الآلهة إلى أن اتهم بالإلحاد وحكم عليه بالإعدام وأحرقت كتبه علناً ، ففر هارباً ومات غرقاً أثناء فراره (٤) .

❖ نظريته في المعرفة :-

وهي لا تختلف بالطبع عن النظرة السوفسطائية عموماً ، وقد عبر عنها بعبارة الشهيرة والتي أوردتها في كتابه السابق " الحقيقة " وهي " أن الإنسان مقياس الأشياء جميعها ، فهو مقياس وجود ما يوجد

(١) انظر في تأكيد صحة نسبة هذا الكتاب له : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٤٦) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٥٩) .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٤٩/ ٢) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٥٠/٢) .

منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها" (١).

وهو بهذه العبارات يوضح ويلخص مذهبه في المعرفة الإنسانية إذ يجعل الإنسان هو المعيار الوحيد للمعرفة ، فإن قال عن شيء إنه موجود فهو موجود ، وإن قال عن شيء إنه غير موجود فهو غير موجود.

وقد اختلف في تفسير عبارته السابقة ، هل يقصد بالإنسان أي الأفراد كمحمد وعلي ... ؟ أم يقصد الإنسان بمعناه الكلي ؟

فعلى القول الأول تصبح الحقيقة ذاتية نسبية متغيرة بتغير الأفراد حيث أن وجودها يكون من خلال الذات .

أما على القول الثاني فتكون الحقيقة كلية ، ليس لها وجود حقيقي في الخارج ، وإنما هي من وضع عقولنا فيما يبدو للبشر موجوداً فهو موجود ، وما يبدو غير موجود فهو غير موجود (٢) .

والتفسير الأول هو الذي عليه أغلب الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وهو ما رجحه أكثر المؤرخين للفلسفة ، وهو ما يتوافق مع مذهب السوفسطائية بشكل عام في قولهم بنسبية المعرفة (٣) .

وتبعاً لهذا القول عند بروتاجوراس فإن المعرفة (قائمة على أساس الخبرة ، فالحلو والمر والبارد والحار وغير ذلك من الإحساسات

(١) المرجع السابق : (٢ / ٤٦) .

(٢) انظر : موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي : (١ / ٥٩١) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط الأولى ، ١٩٨٤ م .

انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (١٢١) .

(٣) انظر : أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا: دعاء وجدي (٤٢) .

- انظر أيضاً ، تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٢ / ٤٧) .

لا تتنوع فقط بين الشخص والآخر ، وإنما عند نفس الشخص من لحظة إلى أخرى ، وعلى ذلك فإنه من غير الممكن أن يكون إحساس أصوب من إحساس ، فالإنسان هو الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدرك^(١) .

يقول الدكتور/ مصطفى النشار " وهذا الإقرار المطلق بنسبية الحقيقة ، واختلافها من شخص إلى آخر تبعاً لإدراكات كل منهما الحسية هو ما جعل بروتاجوراس يقول ببساطة وبدون أن يتصل من نتيجة فكرته الأساسية : إن القضيتين المتناقضتين يجب أن تكون كلتاهما صادقة^(٢) ." .

وعلى ما سبق فليس هناك خطأ أو صواب عنده وهو ما عبر عنه صراحة بقوله " ليس هناك خطأ ، بل مستحيل وجود الخطأ ، فكل ما تراه صواب فهو صواب، بل لفظ الخطأ والصواب لا معنى لهما ، فليس هناك شيء يسمى حقاً في ذاته أو الواقع أو نحو ذلك"^(٣)

وهكذا اتضحت لنا رؤيته للحقيقة والتي لا توجد لها عنده أي معيار ثابت بل هي خاضعة للاحاساسات الفردية المتغيرة مما يترتب عليه نسبيتها وعدم ثباتها .

❖ موقفه من الأخلاق :-

لقد تأثرت نظرتة للأخلاق بموقفه المعرفي يقول توفيق الطويل

(١) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية : أولف جيحن (٣٧) ، ترجمة عزت قربي ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦ م .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٢ / ٤٨) .

(٣) قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين وزكي نجيب محمود (٧١) ، ط الثامنة، مكتبة النهضة المصرية انظر: الحرية المسؤولة في الفكر الفلسفي : سامي نصر لطف (٢٠٩) مكتبة الحرية الحديثة بدون تاريخ

: " فالفرد مقياس الخير والشر كما كان عنده مقياس الصواب والخطأ ،
وإذا كانت الحقائق في مجال المعرفة نسبية متغيرة ، وليست مطلقة ثابتة
، كانت القيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية تتغير بتغير الزمان
والمكان ، وتختلف باختلاف الظروف والأحوال " (١).

بل إنه يرى أن القوانين والقيم الأخلاقية التي توضع لمجتمع
معين لا تكون صالحة لغيره من المجتمعات ، فلا تكون مطلقة وعامة بل
هي تعاقدية فكل مجتمع يسن له قوانينه الخاصة به ، دون مراعاة لقواعد
ثابتة ومحددة (٢) .

والملاحظ أن نظرتهم للآلهة والمعرفة والأخلاق متأثرة بنظرتهم
النسبية للحقيقة وهي إحدى صور الشك المهمة التي سيأتي الكلام عنها
لاحقاً .

٢- جورجياس (٣) : (٤٨٣ - ٣٧٦ ق.م) ويعتبر من أشهر
السوفسطائيين القدامى وأكثرهم جدلاً وشكاً ، وأكثر من نظر لرؤية
السوفسطائية للوجود والمعرفة وما يتعلق بها.

وتتلخص فلسفته في قضاياها الثلاث حول نفي الوجود ، وفيها
يبرز تطرفه وجدله ، وقد ضمنها كتابه " اللاوجود " وهي كالتالي :

- القضية الأولى : لا يوجد شيء ، فالموجود غير موجود واللاوجود
كذلك .

(١) الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : توفيق الطويل (٣١) ، دار النهضة العربية ط الثانية ، القاهرة ،
١٩٦٧م.

(٢) انظر الفلسفة القديمة : زين عباس عطيتو (٢٤٥) .

(٣) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار.

- القضية الثانية : إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته أو إدراكه.
- القضية الثالثة : إذا أمكن إدراكه أو معرفته ، فلا يمكن نقله للغير^(١)

ويسوق جورجياس حججاً كثيرة في محاولته للبرهنة على هذه القضايا يمكن إجمالها على النحو التالي :

الأولى : أن هذا الوجود إما أن يكون أزلياً أو محدثاً فإن كان أزلياً فهذا يعني أن ليس له مبدأ ، وأنه لا متناه ، ولكنه محوي بالضرورة في مكان ، فيلزم أن مكانه مغاير له وأعظم منه ، وهذا يناقض كونه لا متناهياً ، وإذن فليس الوجود قديماً .

أما إن كان حادثاً ، فإما أن يكون حدث بفعل شيء غير موجود وهذا واضح الامتناع ، أو أن يكون حدث بفعل شيء موجود وعلى هذا لا يصح أن يقال إنه حدث ؛ لأنه كان وجوداً في الشيء الذي أحدثه .

الثانية : يرجع السبب فيها إلى خداع الحواس وتركيبها صوراً متخيلة لا حقيقة لها في الواقع .

الثالثة : يرجع السبب فيها إلى أن وسيلة نقل المعرفة إلى الناس هي اللغة ، واللغة إشارات وضعية ورموز ليست مشابهة للأشياء المفروض علمها ، فالناقل ينقل الألفاظ ولا ينقل الأشياء ، فاللغة والوجود عنده دائرتان مختلفتان^(٢) .

(١) انظر المرجع السابق (٢٥٠ وما بعدها) وانظر أيضا : المدخل الى الفلسفة : فتح الله خليف (٤١) دار الجامعات المصرية ١٩٨٢ .

(٢) انظر بتوسع : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٤٨) .

- انظر : موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي (١ / ٥٩١) .

ومن خلال آرائه في الوجود يتضح موقفه من المعرفة الراض لها جملةً ، المحسوس منها والمعقول ، حتى إنه ينكر الإدراكات الضرورية كالحلم والتخيل والتفكير^(١) .

وبعد الحديث عن آراء بروتاجوراس وجورجياس وهما أبرز من يمثل السوفسطائية يمكننا تسمية آراء الأول بالعندية والثاني بالعنادية ، وهي التسمية التي يطلقها المسلمون على نفاة الحقائق أو المنادين بنسبيتها.

(١) انظر : أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا : دعاء وجدي (٥٣).

تعقيب :-

وبعد السوفسطائيين خف التيار الشكي عموماً ، وإن كانت بقيت له بعض الأفكار المبنوثة عند بعض الفلاسفة ولكنها لا ترقى إلى إنكار الحقيقة أو المناداة بنسبيتها كما كان يقول السوفسطائية ، فمن ذلك العبارة المشهورة التي قالها سقراط^(١) وفهم منها المؤرخون معنى شكياً وهي قوله : " أنا لا أعرف شيئاً ، بل لا أعرف أنني لا أعرف " (٢) .

كما اعتبر البعض أفلاطون^(٣) مبشراً بتعاليم الشك فقد اتخذ الشك من الجدل الأفلاطوني أداة من أهم الأدوات التي يستخدمونها حيث إن المحاورات الأفلاطونية لا تحسم القضايا بل تتركها عالقة دون أحكام وهذا ما أغرى البعض باتهامه بهذه التهمة^(٤).

ولكن هذا لا يعمم في منهج سقراط وأفلاطون الذين أسسا

(١) من أشهر فلاسفة اليونان ولد عام ٤٧٠ ق.م في أثينا واشتهر عنه الحوارات الكثيرة مع السوفسطائيين وعلى ضوءها وشي به واعدم عام ٣٩٩ ق.م

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد مرجبا (١٩٢) .

انظر : الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (٣٣) .

(٢) الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف (١١٣) ، مطابع الخليج ، ١٩٧٤ م .

انظر : مشكلة الفلسفة : زكريا ابراهيم (١٧٩-١٨٨) مكتبة مصر ، بدون تاريخ

(٣) من أشهر فلاسفة اليونان ولد بأثينا عام (٤٢٧ ق.م) ويعتبر من أهم طلاب " سقراط " اشتهر بمحاورته الكثيرة مع مخالفة وبنظرية المثل والجمهورية الأفلاطونية وكانت وفاته عام (٣٤٧ ق.م)

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ماجد فخري (٨٧) .

تاريخ الفلسفة اليونانية مصطفى النشار (١٥٢) .

(٤) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية : ليرتراندرسل (٣٥٠) ، ترجمة : زكي نجيب محمود ومراجعة أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط الثالثة ، ١٩٧٨ م .

وانظر أيضاً : الفلسفة ومباحثها : محمد علي أبو ريان (٢٠٩) .

مذهبهما على دحض حجج السوفسطائيين، وتبعهم أرسطو^(١) في ذلك والذي يعتبر عصرهم من أكثر العصور ازدهاراً معرفياً في الحضارة اليونانية.

ثالثاً : مدرسة بَيْرُون (الشكاك) (٣٦٥-٢٧٥ ق.م)

وفلسفته في الشك تقوم على : أن هدف الإنسان الأساسي من الحياة هو العيش في سعادة ، ولكي تتم له السعادة يجب أن يسأل نفسه ثلاثة أسئلة وهي :

١- ما حقيقة الموجودات وما طبيعة تكوينها ؟

٢- ما هو اتجاهنا الذي ينبغي أن نتخذه حيالها ؟

٣- ما النتيجة التي تنشأ عن هذا الاتجاه ؟

ويجيب نفسه بنفسه فيرى أولاً أنه لا يمكن أن نعلم حقيقة الموجودات لأن المعرفة العقلية مردها إلى الحس ، والحواس تبدي الأشياء كما تظهر لا كما هي في الحقيقة ولذلك لا يصح قولنا : بأن هذا هو كذا ، وإنما نقول : هذا ما يبدو لي كذا .

أما الاتجاه الذي يتخذ حيالها فهو : التوقف عن إصدار أي حكم بصدد حقيقتها بل يجب الوقوف عند ظواهرها وأن نعلق الحكم.

وذلك لأننا لا نطمئن لوجود مقياس دقيق نميز به بين حقيقة الصواب والخطأ ، وبين السلب والايجاب .

(١) من أشهر فلاسفة اليونان ولد في شمال اليونان عام (٣٨٤ ق.م) ثم انتقل إلى أثينا وتلمذ على يد أفلاطون

اهتم بالخطابة والمنطق والإلهيات وأكثر من التأليف وكانت وفاته عام (٣٢٢ ق.م)

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٩٨).

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد مرجبا (٢٢٣).

والنتيجة التي يصل لها الإنسان من هذا الاتجاه هو راحة العقل
وطمأنينة النفس وعدم الاكتراث بهذا العالم الذي لا نعرف إلا ظاهره
دون حقيقته^(١) .

وكان دائماً يقول : " لا أدري ولا أدري أنني لا أدري " ^(٢) .
ويؤثر عنه أيضاً قوله : " يجب أن نعيش من غير رأي أو حكم ، فلا تثبت
ولا تتفي ، أو تثبت وتتفي معاً " ^(٣) .

" وقيل إن حياته كانت مطابقة لشكها المطلق ، فكان لا يحذر مهالك
الطريق ، ولذلك كان يترك قيادته لتلاميذه " ^(٤) .

والذي تجدر الإشارة إليه أن بيرون لم يكتب شيئاً من فلسفته.

وهذا من بالغ خبثه فلو أنه دون شيئاً منها لكان قد أدان نفسه باعتبار
المؤلف يسيطر ما توصل اليه من حقائق ومعارف من خلال بحثه ونقاشه
للقضايا المختلفة.

وأغلب ما وصل منها كان مقولات متناثرة لمن أرخ للفلسفة بعده ^(٥)

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٦١) .

موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي (٢ / ١٧) .

(٢) الفلسفة الخلقية : توفيق الطويل (١١٩) .

(٣) الفلسفة الإغريقية : محمد غلاب (٢ / ١٢٢) مطبعة البيت الأخضر ، ط ١ ، سنة ١٩٣٨م .

(٤) مدخل إلى الفلسفة : أحمد السيد رمضان (٣٥) الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م

(٥) انظر الفلسفة اليونانية وبعض مشكلاتها : عزت قرني (٢٨) دار قباء للطباعة والنشر ١٩٨١م .

رابعاً : الأكاديمية الأفلاطونية :

وهي التي أنشأها أفلاطون عام ٣٨٧ ق.م في أثينا وكانت تعلم الرياضيات والمنطق والفلك والموسيقى وغيرها وتولى التدريس فيها أفلاطون أربعين سنة واستمرت الأكاديمية على فلسفة مؤسسها أفلاطون حتى تولى رئاستها (أركسيلاس)^(١) (٣١٦ - ٢٤١ ق.م) عام ٢٦٨ ق.م فأحدث فيها تطوراً هائلاً وتاريخياً^(٢) .

وكان " أركسيلاس " معاصراً لبعض من تلاميذ بيرون وهم الذين أثروا فيه وجعلوه ينحو بالأكاديمية إلى المنحى الشكي^(٣) وذلك ما جعله هو ومن أتى بعده من أتباع الأكاديمية في طورها الثاني والثالث يرفضون ميتافيزيقيا أفلاطون وتصوفه ، ويتابعون قول سقراط: " إنني أعرف شيئاً واحداً وهو أنني لا أعرف شيئاً " ^(٤) . وأغفلوا كل معارفه الأخرى وردوده ومحاوراته مع السوفسطائية .

يقول الدكتور/ محمد علي ابو ريان " وهم يقولون بالأحكام الاجتماعية ، فكل حكم أو قضية - في نظرهم - من الممكن أن تكون أكثر احتمالاً من قضية أخرى ، أي أدنى إلى الصواب منها ، ولكنهم لا يفسرون معنى الصواب ومعياره ، فيصبح الاحتمال ضرباً من الظن الذي لا يثمر ولا يؤدي إلى أي قدر من المعرفة"^(٥) .

(١) وقد ورد اسمه عند البعض باسم (ارسيلاس) وأحياناً (أركيسلاوس) .

(٢) انظر : الخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون : محمد غلاب (٥٣) الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢م .

(٣) انظر : نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين : محمود زيدان (٣٣) دار النهضة العربية ، بيروت .

(٤) انظر : المرجع السابق (٣٣) .

(٥) الفلسفة ومباحثها : محمد علي أبو ريان (٢١٠) .

وقد انصب اهتمام " أركسيلاس " في بداية ترأسه للأكاديمية على نقد كل المذاهب والتوكيدية السابقة والمعاصرة . وقرر أن المعرفة اليقينية لا يمكن اكتسابها بأي صورة ، وعلى هذا رفض شهادة الحس والعقل ، وإن كان يميل في أحكامه إلى الترجيح والاحتمال ولكن ليس على سبيل اليقين (١) .

ويأتي " كارينارس " (٢١٤ - ١٢٨) ق.م زعيماً للأكاديمية في طورها الثالث واستمر حاملاً للآراء الشكية التي بدأت تنهجها الأكاديمية ومن أقواله :

١- لا يمكن البرهنة على شيء ؛ لأن النتيجة يجب أن يبرهن عليها بالمقدمات، والمقدمات تحتاج إلى برهان وهكذا، وذلك يؤدي إلى التسلسل.

٢- لا يمكن أن نعرف إن كان رأينا في شيء حقاً أو لا ، لأننا لا نستطيع المقارنة بين الشيء ورأينا ، لأن ذلك يتطلب أن نخرج من عقولنا ، فنحن لا نعرف عن الشيء إلا رأينا فيه ، فكان من المستحيل المقارنة بين الشيء وصورته في ذهننا ، لأننا لا ندرك إلا الصورة (٢) .

وكان " كارينارس " يرفض القول بوجود معيار للحقيقة يمكن الرجوع إليه ، ويرى عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى أي شيء يؤكد الاتفاق أو الاختلاف بين التصورات والموضوعات الخارجية؛ وذلك لأن حقيقة الموضوع الخارجي في ذاته مجهولة بالنسبة لنا(٣).

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٣١٣).

(٢) انظر قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين - زكي نجيب محمود (٢٥٨).

(٣) انظر: خريف الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي (٦٥) مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ م .

وفي آخر طور للأكاديمية ظهر (أناسيداموس) المتوفي (٤٣ ق.م) وتلميذه (أجريبا^(١)) وفيها نحو بالشك منحاً جدلياً فميزوا بين الشكاك وبين الأكاديميين ، فالأكاديميون " يقولون أن لا شيء محقق ثم يفرقون بين المحتمل وغير المحتمل ، والخير والشر ، والحكمة والحماسة ... ، أما الشكاك فلا يوجبون ولا يسلبون أصلاً " (٢) .

وقد أتى (أناسيداموس) بعشر حجج تجمع حجج الشكاك ويمكن تلخيصها في الآتي :

- أولاً : اختلاف الإحساس بين الحيوانات .
- ثانياً : اختلاف الإحساسات باختلاف الأفراد .
- ثالثاً : اختلاف الإحساسات باختلاف أعضاء الحس .
- رابعاً : اختلاف إحساس الإنسان تبعاً لتنظيم الأشياء ومكانها .
- خامساً : اختلاف إحساس الإنسان تبعاً لحالته .
- سادساً : اختلاف المزاج الشخصي من شخص إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر .

سابعاً : اختلاف إحساسات الأفراد إزاء الأشياء .

ثامناً : الاحتمالية .

تاسعاً : اختلاف الأحكام تبعاً للمألوف والنادر .

عاشراً : اختلاف الأحكام باختلاف العادات والتقاليد والقوانين (٣) .

(١) لم أقف على تحديد سنة وفاته أو ولادته .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٣١٥) .

(٣) انظر أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوروبا : دعاء وجدي (٦٦) .

وهذه الحجج أنواع يمكن ردها إلى واحدة هي حجة النسبية التي تعتبر جنساً عالياً تحته أجناس ثلاثة : جنس خاص بالشخص المدرك يشمل الحجج الأربع الأولى ، و جنس خاص بالموضوع المدرك يشمل الحجتين السابعة والعاشرة ، و جنس خاص بالشخص والموضوع جميعاً يشمل الخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة (١) .

وعند بسط هذه الحجج تكون كالتالي :

١- يترتب على اختلاف الأعضاء الحاسة في الحيوان عنها في الإنسان انفراد كل نوع منها باحساسات خاصة به ، فحاسة السمع مثلاً تختلف باختلاف نوع الحيوان، كما تختلف عنها عند الإنسان ، فإحساس الإنسان بالأصوات غير إحساس كل نوع من أنواع الحيوانات بها ، وكذلك في سائر الحواس .

٢- يترتب على اختلاف الناس جسماً ونفساً أن تختلف إحساساتهم وأحكامهم، وعند الاختيار لا نستطيع أخذ رأي الأغلبية ؛ لأنه لا يمكن الاتصال بجميع الناس، ثم إن الأغلبية تختلف بين بلد وبلد وبين عصر وعصر، فيتعين العدول عن الاختيار والامتناع عن الحكم .

٣- تتعارض الحواس إزاء الشيء الواحد فالبصر يحس بالصورة بارزة واللمس يحس بها مستوية .

٤- تختلف إدراكات الحس الواحد باختلاف الظروف ، فلا يكون هو نفسه في حالات الجوع والشبع ، والرضا والغضب ، والصحة والمرض ، فالعسل في فم الصحيح غيره في فم المريض .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٢١٧).

٥- تختلف الأشياء باختلاف المسافات والأماكن والأوضاع ،
فالشئ البعيد المتحرك يبدو صغيراً ثابتاً .

٦- تبدو لنا الأشياء بحسب ما عليها من ضوء أو حرارة أو
رطوبة أو هواء أو لون، فلون الشئ يختلف في ضوء المصباح عنه في
ضوء الشمس .

٧- تبدو لنا الأشياء بحسب كميتها أو حجمها أو شكلها أو موقف
الشخص منها ، فالشئ الواحد تختلف صورته إذا تغيرت كميته فحبة
الرمل غير حفنة من الرمل .

٨- كل شئ يكون نسبياً بالإضافة إلى الأشياء المدركة وإلى
الشخص المدرك ، فكل شئ يتحدد وضعه بالنسبة إلى شئ آخر ، إذ لا
شئ يدرك في ذاته ، وإنما هو قبل أو بعد أو أعلى أو أسفل شئ آخر
، والابن يكون ابناً بالنسبة إلى أب.

٩- تتوقف معرفتنا بالأشياء على درجة ألفتنا لها ، فالشئ
الجديد لا يكون إدراكه مثل شئ مألوف .

١٠- تختلف الشعوب في عاداتها وأخلاقها وتقاليدها وأديانها ،
فالمصريون يحنطون الموتى والرومان يحرقونهم وبعض الشعوب تلقىهم
في المستنقعات (١) .

وتكملة لمسيرة أستاذه جاء " جريبيا " بخمس حجج تؤيد حجج
أستاذه العشره يمكن تلخيصها كالاتي :

١- تناقض الفلاسفة فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين العامة .

(١) انظر : مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٨).

٢- أحكامنا نسبية بالإضافة إلينا ، وبالنسبة إلى بعضنا البعض .
٣- كل قضية تتطلب برهاناً، والبرهان يحتاج إلى برهان آخر
للحكم عليه، وهكذا تتداعى البراهين إلى ما لا نهاية .

٤- المبادئ العقلية التي يستند إليها أصحاب النزعة اليقينية
ليتفادوا تداعي البراهين مثل مبدأ الذاتية ، ومبدأ عدم التناقض وغيرهما
إنما هي فروض غير مبرهنة ، وليست بينة بذاتها ، فلا يجوز التوقف
عندها كبراهين يقينية .

٥- إذا أردنا تفادي التداعي ، فليس أمامنا سوى البرهان الدوري
الذي يبرهن على صحة المقدمة بالنتيجة التي تتوقف صحتها على
المقدمة^(١).

" والحجتان الأولى والثانية خاصتان بمادة المعرفة أو بالمعرفة
الحسية ، والحجج الثلاث الباقية خاصة بصورة المعرفة أو بأصول
المعرفة العقلية " ^(٢) .

يقول عبدالرحمن بدوي " وقد ظلت هذه الحجج الخمس الصورة النهائية
للشك في العصر القديم ، وأصبحت فيما بعد النموذج الأعلى لكل شك في
نظرية المعرفة " ^(٣) .

خامساً : الشك التجريبي :

وقد قام على يد مجموعة من الأطباء اعتنقوا الشك وأخذوا
بمذهبه الهادم السلبي ، يقول : يوسف كرم " زادوا عليه موقفاً إيجابياً

(١) مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٨٠) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩) .

(٣) موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي : (٢ / ٢٣) .

أوحت به صناعتهم هو عبارة عن تنظيم التجربة بالتجربة نفسها دون التجاء إلى العقل أو حكم على حقائق الأشياء" (١) .

يقول دعاء وجدي " كما اتجهوا إلى مناقشة عدة مفاهيم مثل مفهوم المعيار والحقيقة والبرهان ، كما بحثوا في أسباب اختلاف القيم ومدى إمكانية الوصول إلى المعرفة " (٢) .

وأهم من يستحق الذكر منهم " سكستوس أمبيرقوس " الذي قيل إنه عاش في القرن الثاني أو الثالث الميلادي (٣) .

وقد أعاد تلخيص البناء الكامل لنزعة الشك في كتبه الثلاثة:

١- الحجج البيرونية .

٢- الرد على الفلاسفة .

٣- الرد على العلماء (٤) .

وكان يرى أن ما نكتسبه هو بالتجربة فنحن نلاحظ الظواهر وتتابعها فنربط بينها بروابط تجعلنا نتوقع النتيجة عندما السبب المصاحب لها، وكل ذلك يكتسبه الإنسان سواء كان فيلسوفاً أو شخصاً عادياً ، نتيجة للتجربة اليومية دون حاجة إلى معرفة الحقيقة أو إدراك المبادئ الضرورية العقلية ، فالحياة تضطر الإنسان إلى طاعتها ، كما هي في مظاهرها ، ومن هنا يستوي الشاك والفرد العادي في موقفهما من المعرفة التي لا يمكن الجزم بصحتها أو الوصول إلى الأشياء في ذاتها ،

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩).

(٢) أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا: دعاء وجدي (٦٨).

(٣) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩).

(٤) انظر : مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٨٠).

وهي أمور لا تدعوا إليها ممارسة الحياة (١) .

ومما سبق يتضح أنه لم يأت بشيء جديد وإنما اقتصر دوره على توثيق وعرض لمذاهب الشكاك القدماء .

وبعد الحديث عن الشك في العصر اليوناني عموماً وبالأخص عند السوفسطائية والبيرونية والأكاديمية باعتبار الشك عندهم أساسياً ومنهجياً يمكننا القول إن الشك السوفسطائي كان شك المتطرف في شكه الذي يضيق بالقيم المألوفة ، أو يجعلها نسبية ، أما الشك البيروني فكان متخاذلاً متردداً لا يقوى على إصدار أي حكم سواءً كان إيجابياً أو سلبياً ، أما الأكاديمية فقد توسطت بين الطرفين ، فهي لم تتردد وتخرج إلى تعليق الحكم ولم تجزم في أحكامها ولكنها تستعرض الأحكام ثم تؤثر الترجيح ولا تتجاوزها إلى اليقين (٢) .

(١) المرجع السابق بتصريف (١٨١).

(٢) انظر : أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣١٠) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الحادية عشرة ،

المبحث الثاني : الشك في العصر الوسيط :

في هذا المبحث سنشير الى الشك بعمومه عند المسلمين وعند المسيحيين وننظر الى تأثيره ووجوده سواءً على المستوى العام أو عند الأفراد .

فأما العصور الإسلامية فلم يستطع التيار الشكي الهادم^(١) بتنوع اتجاهاته في الحضارة اليونانية أن يؤثر في هذه الحقبة عند المسلمين بل على العكس من ذلك فقد قامت موجة من ردة الفعل الطبيعية ضد السوفسطائية والشكاك ونفاة الحقائق .

وكان الرد عليهم يتم عن طريق إثبات الحقائق وإمكانية الوصول للمعرفة واليقين وكان هذا هو الأسلوب الأعم والأشمل .

والبعض الآخر استغل مبدأ الشك نفسه للوصول إلى اليقين والحقيقة وهذا ما يطلق عليه الشك المنهجي والذي سيأتي الكلام عنه في الفصل الثالث.

ففي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في بعث هذا النوع من الشك وإظهاره فقد ميز النظام^(٢) بين الشك المذهبي الذي يتجه للإنكار وبين الشك المنهجي الذي يستخدم للوصول إلى الحقيقة واليقين^(٣) .

وكان يرى أن العلماء والباحثين لديهم القدرة على النظر

(١) وهذا هو النوع الاول من أنواع الشك وسيأتي الحديث عنه وعن بقية الانواع في الفصل القادم.

(٢) إبراهيم بن سيار بن هانئ ، من أبرز زعماء المعتزلة ورث الاعتزال عن خاله توفي عام (٢٣١) ،

انظر : أعلام الفلسفة : روني الفا (٢/٥٠٦) .

(٣) انظر : الحيوان : للجاحظ (٦/٣٥) ، تحقيق : أبو العلاء عفيفي ، بإشراف : طه حسين ومراجعة إبراهيم

مذكور ، ط : دار الكتب ، ١٩٦٧ م .

والتحقيق قبل إصدار الأحكام ، وهم في ذلك يختلفون عن العوام من الناس الذين يتجهون إلى إصدار الأحكام دون نظر أو تحقق^(١) .

ويبرز الشك المنهجي أكثر في فكر الإمام الغزالي^(٢)

حيث اتخذ طريقاً للوصول إلى اليقين والحقيقة فكان يقول : " من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال " (٣) .

وسياتي بسط لجانب الشك في التفكير الإسلامي في الباب الثالث إن شاء الله .

أما عند **المسيحيين** فقد استخدم القديس أوغسطين^(٤) الشك كمنهج للوصول إلى الحقيقة واليقين ، فنظراً أولاً للحواس ووجد بعد طول تفكير أنها تخدعنا ثم توجه للعقل فوجد فيه ملاذاً آمناً لليقين ، كما وجد بعض الحقائق التي لا سبيل إلى الشك فيها^(٥) .

(١) المرجع السابق (٣٧/٦) .

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الملقب بحجة الاسلام فيلسوف ومتصوف ، ولد في طوس بخراسان سنة ٤٥٠ هـ وكان أبوه غزالا للصوف ، ومن هنا جاءت التسمية بالغزالي رحل في طلب العلم ، هاجم الفلسفة والفلاسفة بعدما قضى عمراً فيها ثم التزم التصوف مات سنة ٥٠٥ وله مؤلفات عديدة ومشهورة منها " احياء علوم الدين " " المنقذ من الضلال " وغيرها انظر شذرات الذهب لأبي الفلاح عبدالحى الحنبلي (١٠/٤) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (٣٥٤/٣) تحقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

(٣) ميزان العمل للغزالي (٤٠٩) تحقيق سليمان دنيا ط ١٩٦٤ م .

(٤) هو أوريليوس أوغسطين من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ولد عام (٣٥٤) في إيطاليا ثم استقر في "هيون" من أبرز مؤلفاته " الانحرافات " و " حرية الاختيار " انظر: أعلام الفلاسفة (١٥٦/١) .

(٥) تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط (٢٨) ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦ م .

وقد تابعه غيره من الفلاسفة الأوربيين في هذا الشك المنهجي وسنعرض لهم عند الحديث عن هذا النوع من الشك أما ما يتعلق بالشك الهادم فقد ظهرت بذور الشك السوفسطائي من جديد نتيجة لإحياء النصوص الشكية القديمة واكتشافها في عصر النهضة فرأى مونتاني^(١) (١٥٣٣-١٥٩٢م) ضرورة الشك في المعلومات المكتسبة عن طريق الأحكام والحواس العقلية ونسج من تقلب التجارب المعتمدة على الحواس ومن الظروف المختلفة والعجز عن إيجاد معيار للحكم الصادق طريقاً للشك

كما رأى أن العقل بمفرده لا يكفي للوصول إلى أية نتائج خاصة بالإنسان والعالم ، وإنما يحتاج إلى الاعتماد على الإيمان أكثر من اعتماده على القدرات الإنسانية لتوجيه الفكر^(٢) .

أما شارون^(٣) (١٥٤١-١٦٠٣ م) فقد كتب في مواجهة حركة الإصلاح الديني وهاجم الملحدين والديانات غير المسيحية على أسس شكية ورأى أن وظيفة الحكمة هي مساعدة الإيمان عن طريق الاعتراف بعجزها المطلق عن الوصول على أية حقيقة نظرية ، فالإنسان لا يستطيع الوصول إلى أية حقيقة يقينية ، ولكنه من الممكن الوصول إلى درجات مختلفة من الاحتمال العملي^(٤) .

(١) فيلسوف وعالم فرنسي درس الحقوق وترقى في المناصب السياسية من أبرز مؤلفاته " المحاولات " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/٤٨٥) .

(٢) انظر : الله في الفلسفة الحديثة (٦٥-٦٦) ترجمة فؤاد كامل ط الاولى بدون تاريخ .

(٣) فيلسوف فرنسي نشأ على المسيحية لكنه اتم أخيراً بالزندقة والكفر من أبرز مؤلفاته " الحكمة " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (٢/٤) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٧٠)

ويضيف شارون أن حواس الإنسان ذاتية مضللة إلى أبعد حد، علاوة على أن الأفكار المفطورة في العقل ، والتي يمتلكها الإنسان لا تتمتع بأية قدر من الصحة الموضوعية ، ولذلك فقد رأى شارون أن مذهب الشك هو الأفضل ، ذلك لأن أهميته تتمثل في القضاء على التصورات الزائفة عن الإله .

ويعد شارون نصير الدعوى القائلة : " إن الله قد خلق الإنسان لمعرفة الحقيقة ، غير أن الإنسان لا يستطيع أن يعرفها بنفسه أو بأية وسائل إنسانية ، لقد ولدنا للبحث عن الحقيقة أما امتلاكها فشيء تقدر عليه قوة أعلى وأعظم " (١).

ولذلك فقد رفض شارون كل الآراء والمعتقدات المشكوك فيها بحيث جعل العقل خالياً من أية شيء ومستعداً لتلقي ما يأذن الله في توصيله إليه ، كما رأى شارون أن الشك لا يمكن أن يكون آراء خاطئة ؛ ذلك لأنه لا يتجه الى تكوين أية آراء وإلى حين تلقي الوحي ، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعيش وفقاً للطبيعة ويظل شاكاً إلى أن يتلقى الوحي .

وبهذا يتبين لنا أن شك كل من مونتاني وشارون لم يكن بهدف التوقف عن إصدار الحكم ، وإنما بهدف التخلي عن البحث في المعرفة بالطرق العقلية والاكتفاء بقبول الحقيقة المبنية على الإيمان

(١) انظر : المرجع السابق(٧١).

والجدير بالذكر أنه على مشارف القرن السابع عشر أصبح الشك الديني مقبولا ومعترفا به من جانب علماء اللاهوت الكاثوليك في فرنسا^(١).

وبالإضافة إلى ما سبق فقد وجه **جاسندي**^(٢) (١٥٩٢-١٦٥٥م) شكه للفلسفة الأرسطية والفلسفات العقائدية الأخرى ، وذلك حينما أنكر كل معرفة بالمعنى الأرسطي ، وذهب إلى أنه إذا استحال الوصول إلى العلم فبالأخص يستحيل الوصول إلى علم أرسطو ، وقد حاول جاسندي وضع حل للازمة الشكية . فرأى أنه إذا استحال التغلب على الشك بالنسبة للمستوى المعرفي فيمكن تجاهله على المستوى العلمي.

وقد أدت هذه الآراء الشكية الجديدة إلى إضعاف الثقة في كل النظريات السابقة وخلق أزمة شكية حقيقية في عقول كثير من المفكرين . وبعد استعراض جذور الشك في العصر الوسيط والذي بدى منه أنه جاء في مقابلة الشك في العصر اليوناني حيث كان يتصف شك اليونان بالشك المطلق على الأغلب ، أما الشك في العصر الوسيط فهو في أغلبه شكاً منهجياً يبغى الوصول إلى اليقين سواءً على أيدي المسلمين أو المسيحيين والذين انحاز أكثرهم إلى تثبيت حقائق الإيمان، وسننتقل بعد ذلك لنقف على تطور الفكر الشكي في العصر الحديث .

(١) المرجع السابق ص (٧٣).

(٢) لاهوتي هولندي وأسقف مدينة إيبير اتسمت حياته بالنضال من أبرز مؤلفاته " أوغسطينوس " :

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/٣٧٤).

المبحث الثالث: الشك في العصر الحديث

هنا سنحاول أن نسلط الضوء على امتداد الشك بأنواعه وأشكاله المختلفة في الفكر الأوروبي الحديث وذلك باعتباره زاخراً وحافلاً بالفلسفة والآراء الفلسفية المتنوعة و يعتبر الفيلسوف ديكارت هو بدايته وانطلاقة فقد سعى للتغلب على إيجاد أساس للمعرفة وتأمين الفلسفة والعلم عن طريق الاستفادة من المنهج الشكى الخاص "بمونتاني" و "شارون" ورفض كل المعتقدات التي يمكن أن تكون خاطئة أو مشكوكاً فيها فعمق من مشكلة الشك ، وذلك حينما قال بإمكانية وجود شيطان ماكر يحرف الأحكام الإنسانية ، ولكن من خلال تفنيده للشكوك أثبت ديكارت أنه يمكن الشك في قضية " أنا أفكر " بصرف النظر عما ينوي أو يستطيع الشيطان أن يفعله ، وبصرف النظر عن أن حواسنا وأحكامنا لا يمكن الاعتماد عليها . فالشك الديكارتي حقيقي وصحيح وأي محاولة للشك فيه تكون دليلاً على صحته ، وبذلك يستطيع الإنسان اكتشاف معيار المعرفة الحقيقية وأن كل ما يدرك بوضوح وتميز يكون صحيحاً وحقيقياً^(١).

ويرى ديكارت أنه عن طريق استخدام هذا المعيار يستطيع الإنسان إثبات وجود الله ، وعن طريق إثبات وجود الله يضمن حقيقة هذا المعيار، وبهذا الانتصار على الشك من جانب ديكارت يستطيع إثبات العالم الخارجي .

ومنذ ذلك الحين أصبح أسلوب الأفكار الواضحة المتميزة هو الأسلوب الخاص بديكارت ، والذي يعتبر همزة الوصل بين الشك

(١) انظر : التأملات ديكارت ، ترجمة د/ عثمان أمين . (٧٤).

والمعرفة وبذلك يكون ديكارت قد حاول إقامة فلسفة جديدة على أنقاض الشك الذي انتشر في الفكر الأوربي ، وسيأتي مزيد بيان لطريقة ديكارت وتطور هذا النوع من الشك عنده عند استعراضنا لأنواع الشك.

إلا أن موقف ديكارت من الشك لم يشجع فلاسفة تلك الفترة على استخدام أسلوب ، بل شرعوا في محاولة إثبات فشل ديكارت فذهب معارضوا ديكارت من التوكيدين إلى أنه لا يزال أكثر الشكاك حضوراً على الرغم من اعتراضه .

فأكد كل من **جاسندى وميرسين**^(١) (١٨٥٩م-١٩٣٣م) على أن الحقائق التي ادعى ديكارت أنها مؤكدة ولا سبيل للشك فيها هي حقائق قابلة للشك ،ويمكن وصفها بالزيف ، واتجه جاسندى إلى تحليل أفكار ديكارت محاولاً بذلك إثبات أن ديكارت لم يحقق شيئاً^(٢).

وقد شرع **جون لوك**^(٣) (١٦٣٢-١٧٠٤م) في اختبار قدرة العقل البشري على اكتساب المعرفة الصحيحة إلا أنه أقر بعجز العقل البشري عن البحث في هذا الموضوع فيقول في ذلك : " لقد أربكنا أنفسنا حيناً من الدهر دون أن نخطو خطوة واحدة نحو حل ما صرنا فيه من شكوك ثم عنت لي بعد ذلك فكرة أننا نسير على غير

(١) فيلسوف فرنسي من أصل بولوني استقر في فرنسا اهتم بفلسفة العلوم من أبرز مؤلفاته " الهوية والواقع "

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٤٩٩).

(٢) انظر : الله في الفلسفة الحديثة جيمس كولينز، (٦٩-٧٠).

(٣) فيلسوف وسياسي انجليزي انتسب لجامعة أوكسفورد وتوظف فيها من أهم الفلاسفة التجريبية ومن أبرز

مؤلفاته " رسائل في التسامح " ومقالة حول الإدراك الإنساني .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني الفا (٢/٣٧٩).

موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢/٣٧٣).

هدى وأنه كان ينبغي قبل البدء في مثل هذه الأبحاث أن نختبر قوتنا لنرى أي الموضوعات تصلح عقولنا لمعالجتها ولأيها لا تصلح" (١).

ومن خلال عبارة لوك يتبين لنا أن لوكاً يدعونا إلى ضرورة اختبار ومعرفة قدراتنا العقلية قبل البدء في أية بحث أو دراسة من أجل معرفة ما إذا كان هذا الموضوع يقع في حدود قدراتنا العقلية أم لا .

وبذلك يكون لوك قد سلم بعجز العقل البشري وقصوره في معالجة الموضوعات التي تتجاوز حدوده ، كما أنكر معرفة وجود أفكار فطرية في العقل الإنساني ، علاوة على أنه رأى أن إدراك الإنسان للأشياء يكون مستمداً من التجربة التي هي الإحساس والتفكير اللذان تنشأ منهما المعرفة .

إلا أن الحواس عند لوك تعمل أولاً فتقدم للعقل مجموعة من الأحاسيس ثم يجيء بعد ذلك دور العقل فيقوم بالتأمل وما ينشأ عنه من أفكار ، ويقول لوك : " هذان وحدهما هما النافذتان الوحيدتان اللتان ينفذ منهما الضوء إلى هذه الحجرة المظلمة ، وأقول المظلمة لأنني أظن العقل شبيها بقاعة مغلقة لا ينفذ إليها الضوء " (٢).

(١) قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين ، د/ زكي نجيب محمود (١ / ٢٠١) .

(٢) المرجع السابق (١ / ٢٠٨) .

وهذا القول من جانب لوك يجعل وظيفة العقل تتحصر في إدراك ما تقدمه إليه أعضاء الحس ، وبهذا يكون لوك قد انتهى إلى أن الإحساس هو مصدر معرفتنا الوحيد .

ويرى **توماس هوبز** ^(١) (١٥٨٨-١٦٧٩م) أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة عند الإنسان ، وأن أي تصور في العقل الإنساني يكون عبارة عن ذرة حسية ذات طابع حسي مصدرها الإحساس ، ويأتي الإحساس نتيجة للضغط الذي يحدثه الشيء الخارجي على العضو الحاس ، إما بطريقة مباشرة كما هو في حاسة اللمس ، أو بطريقة غير مباشرة كما هو في حاسة البصر والسمع ، وعلى هذا فالمعرفة عنده قاصرة على الماديات المحدودة .^(٢)

ولهذا فقد اقترح هوبز حلاً للمشكلة الشككية عن طريق إيجاد معيار لمعرفة الحقيقة بحيث يمكن الرجوع إليه ، إلا أن هذا المعيار قد يكون سياسياً أكثر منه معرفياً بمعنى أن يتولى الحاكم اتخاذ القرارات وهو بهذا يعمق المسألة الشككية ولا يقدم أي حل معرفي يخدم الحقيقة^(٣).

(١) فيلسوف إنجليزي من أبرز الفلاسفة الماديين ، من أبرز مؤلفاته : " في الجسم " و " وفي الإنسان " .

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفار(٢/٥٥٠).

موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢/٥٦٢).

(٢) انظر : الفلسفة الحديثة : محمد علي أبو ريان (٥٤).

(٣) انظر : المرجع السابق (٥٤) .

وعلاوة على ذلك فقد عرض **سبينوزا**^(١) (١٦٣٢-١٦٧٧م) لمشكلة الشك ، ورأى أن سبب ظهور الشك يرجع إلى افتقار الإنسان إلى المعرفة ، وأنّ توصله إلى المفاهيم الواضحة المتميزة هو الذي يساعده في التغلب على المشكلات الشكية ، ذلك لأن المفاهيم الواضحة المتميزة هي المعيار الذي يضمن صحة المعرفة ويؤدي إلى الإستيقان بها ، ولهذا فقد وجد سبينوزا في السعي وراء الفلسفة بالأسلوب الهندسي كحل لمواجهة الشك .^(٢)

وقد بين **باركلي**^(٣) (١٦٨٥-١٧٥٣م) أن الإنسان يتلقى المعرفة عن طريق ثلاثة مصادر :-

المصدر الأول يتمثل في الأفكار التي انطبعت آثارها على الحواس .
والمصدر الثاني يتمثل في الأفكار التي يدركها الإنسان عن طريق التأمل في العواطف والعقول .

أما المصدر الثالث والأخير من مصادر المعرفة عند باركلي فهي الأفكار التي يدركها الإنسان عن طريق الذاكرة والخيال ، وهذه الأفكار الثلاثة يكون لها مدرك هو الله أو الروح .

(١) فيلسوف هولندي يهودي الديانة من المتأثرين بديكارت ومن المهتمين بفلسفة الأخلاق من أبرز مؤلفاته:

" رسالة في الأخلاق " و " في إصلاح العقل " . انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/ ١٢٣)

(٢) انظر أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٢٤٧) .

(٣) فيلسوف إيرلندي اهتم بالردود على " جون لوك " ومن أبرز مؤلفاته " محاولة من أجل نظرية في الرؤية " و " أصول المعرفة البشرية " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/ ١٨٠) .

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (١/ ٢٨٧) .

ويرى باركلي أنه يمكن حل مشكلة الشك عن طريق اعتقاد أن كل ما نعرفه مجرد أفكار ، والإصرار على أن الأفكار تمثل الواقع ، فمن وجهة نظره أن العلماء الميتافيزيين قد تسببوا في خلق فجوة بين المظهر والحقيقة ، وذلك بإصرارهم على وجود واقع مادي، وأنهم بذلك قد سمحوا للشكك بالزعم أنه لا يمكن فعليا سوى معرفة المظهر ، واعتقد باركلي أنه يستطيع إنقاذ العالم من الشك ، وإرساء قواعد المعرفة الإنسانية عن طريق دمج الأفكار والأشياء وجعل العالم عالماً روحياً^(١).

ويعتبر **ديفيد هيوم** ^(٢) (١٧١١-١٧٧٦م) من الفلاسفة القلائل الذين أبقوا على اهتمامهم بالشك ، حيث بدأ هيوم فلسفته على أمل أن يطبق الطريقة التجريبية للتفكير على الأخلاق ، إلا أنه بمجرد أن درس طريقة تفكير الناس من الناحية العلمية تبين له عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى معرفة أي شيء فيما عدا الانطباعات الحسية .

ويرى هيوم أن معظم معلوماتنا عن العالم تعتمد على التفكير العرضي الذي لا يمكن تبريره منطقياً ، وذلك لأننا لا

(١) انظر : المرجع السابق (٢٨٠) .

(٢) فيلسوف ينسبه البعض إلى إنجلترا والبعض إلى إيرلندا وهو من أشهر الفلاسفة الماديين أصحاب التوجه الشكي ومن أبرز مؤلفاته " رسالة في الطبيعة البشرية " و " محاولات فلسفية في الفهم البشري "

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢/٦١١).

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (٢/٥٧٤).

انظر الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والاكاديميين الروسيين (٥٧٠) ترجمة سمير كرم دار الطليعة

بيروت ط : الأولى ١٩٧٤م.

نستطيع اكتشاف أي رابطة ضرورية يمكن إثباتها بين شيئين من الأشياء يطلق عليهما السبب والمسبب أو العلة والمعلول ، فعندما نتناول بالدراسة كيفية توصلنا إلى قرار أو حكم بخصوص الأشياء الواقعية ، فإننا في هذه الحالة نجد أن مثل هذه الأمور تعتمد على العادات النفسية أكثر من اعتمادها على التدليل العقلي (١).

ويبحث هيوم في الأسباب التي جعلت الناس تعتقد أن العقل هو الوسيلة لتقرير الأمور أو المسببات الضرورية في العالم، والبراهين على وجود الله ، حتى أصبح أكثر تشككاً ، والطبيعة - في نظر هيوم - تحتم على الإنسان إصدار الأحكام بضرورة مطلقة ، إلا أنه يرى أن هناك أموراً لا يمكن التحكم فيها وإصدار حكم بصددها كالتنفس والإحساس (٢).

والجدير بالذكر أن برتراند راسل (٣) (١٨٧٢-١٩٧٠م) يذكر أن النزعة الذاتية التي ذهب إليها هيوم لا تختلف في شيء عما انتهى إليه كل من بروتاجوراس وجورجياس من ازدواج معاني الإدراكات الحسية ، وما فيها من تناقض (٤) .

(١) انظر :ديفيد هيوم : زكي نجيب محمود(١١-١٢) . مكتبة المعرفة ١٩٨٦

(٢) انظر المرجع السابق (٥٤) .

(٣) فيلسوف وعالم اجتماع إنجليزي تلقى تعليمه في جامعة "كامبريدج" ، اهتم بالمنطق وأثر على فلسفته ، ومن أبرز مؤلفاته " نمو الحرية " و " تحليل العقل " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/٤٨٢) .

(٤) انظر : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم(١١٤) ، دار الكتاب المصري ،

١٩٤٦ م .

أما الفيلسوف كانت^(١) (١٧٢٤-١٨٠٤م) فقد نادى بالإذعان الكامل للشك فيما يخص إمكانية اكتساب معرفة ميتافيزيقية عن طريق العقل الخالص ، والتأكيد على إمكانية اكتساب معرفة شاملة وضرورية لأية تجربة ممكنة ، وقد بدا كانت مقتنعاً بكل ذلك ، حيث استمر في محاولاته ، من أجل كيفية حدوث تلك المعارف الشاملة والضرورية^(٢) .

وقد وجد " كانت " أن المصدر الوحيد للمعرفة هو التجربة التي عن طريقها يخرج العلم بطابعه اليقيني ، وتخرج الأخلاق بطابعها الإلزامي ، ولذلك رأى " كانت " ضرورة الكشف في التجربة عن المبادئ التي تجعل كلاً من العلم والأخلاق ممكناً^(٣) .

وقد تطور من خلال العلوم الاجتماعية نوع آخر من الشك المعاصر ، حيث قدم نيتشه^(٤) (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م) شكل جديد للشك النسبي ، وذلك حينما أنكر وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير ، ورفض ردها إلى الله أو العقل ، ورأى أن الإنسان هو

(١) فيلسوف ألماني مؤسس المثالية الألمانية من أبرز مؤلفاته " نقد العقل الخالص " و " نقد العقل العملي " .

انظر : الموسوعة الفلسفة للأكاديميين الروسيين (٣٨٧).

موسوعة اعلام الفلسفة : روني ألفا (٢/٢٤٥).

(٢) انظر : فلسفة كانط : أميل بوتروم (١٦-١٧)، ترجمة د / عثمان أمين

(٣) تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق أمانويل كانت ، (١٤٥) ترجمة :عبدالغفار مكاوي منشورات دار الجمل

٢٠٠٠

انظر أيضا : الأخلاق عند كانت : عبدالرحمن بدوي(٦١) وكالة المطبوعات ، الكويت

(٤) فيلسوف ألماني من رواد المدرسة المثالية واهتم بالعلوم الاجتماعية ، من أبرز مؤلفاته " هكذا تكلم زارشت .

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديميين الروسيين (٥٥٤).

معيار القيم الذي يتغير تبعاً للظروف والأحوال المحيطة به ، علاوة على اختلاف القيم والمعايير الأخلاقية باختلاف الزمان والمكان (١).

ويقسم نيتشه الأخلاق إلى نوعين هما أخلاق السادة وأخلاق العبيد ويرى أن أخلاق العبيد هي أخلاق الضعف في حين أن أخلاق السادة هي الأخلاق التي تمكن الإنسان من توطيد نفوذه .

ويعتبر نيتشه في هذا مردداً لما قاله السوفسطائيون من قبل . إلا أن موقف السوفسطائيين كان أقل حدة ، ذلك لأنهم كانوا ضعاف الإيمان بمبادئهم حينما ذهبوا إلى أن الفضائل من صنع الضعفاء ، وأن الضعفاء قد قصدوا بهذا قهر الطبيعة ، ومنع الأقوياء من السيطرة عليهم إلا أن العصيان من قبل السوفسطائيين كان مصاحباً له التخفي والتظاهر بالتقوى ، في حين أن نيتشه كره هذا الضعف للسوبرمان الذي جعله مثله الأعلى فيقول : " لقد ضحكت ملء شذقي على هؤلاء الضعفاء الذي يحسبون وهماً أنهم أختيار بررة ، لا لسبب سوى أنهم ضعاف عجزة ، تتقصهم برائث الأسود " (٢).

و بعد هذا العرض لفكرة الشك في هذا العصر والذي كان على سبيل المثال لا الحصر ، يتبين لنا أن الفلسفة لم تستطع حل المشكلات الشكية الأساسية التي أثرت في العصور السابقة بل إنه على مدى القرون الأربعة الأخيرة أعاد الشكك إحياء وتوجيه الشك والمناقشات الشكية القديمة ، وأن الشك في هذا العصر الحديث قد

(١) الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : د / توفيق الطويل (٣١٣).

(٢) المرجع السابق : (٢٣).

اتخذ أشكالاً وصوراً متنوعة ولكنها في غالبها تركز على اثبات جانب واحد من جوانب المعرفة والمغالاة في نفي الآخر والتشكيك فيه .

كما يظهر لنا من خلال العرض التاريخي للشك أن الفكر السوفسطائي لم ينته بانتهاء الفترة السوفسطائية بل إن الفكر الحديث يموج بأفكار واتجاهات السوفسطائيين .

الباب الثاني / الشك لدى الفرق الكلامية والطوائف

المنتسبة للإسلام :-

وفيه تمهيد و ثلاثة فصول :

• تمهيد

• الفصل الأول / الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية.

• الفصل الثاني / الشك عند الباطنية والصوفية .

• الفصل الثالث / الشك عند المفكرين الإسلاميين

المحدثين .

تمهيد :-

الشك بأنواعه السابقة يوناني المنشأ إما بكلياته كما هو الحال في الشك الهادم، أو في جزئياته وبدائته كما هو الحال في الشك المنهجي و الاعتقادي، ولكن ذلك لم يقتصر على اليونانيين فقط بل تعداه إلى الفرق الكلامية والصوفية والباطنية، وأيضاً عند المفكرين الإسلاميين المحدثين المتأثرين بهذه الفلسفة، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الباب الذي آثرنا فيه جانب الاختصار والإلماحة، لأن لنا عودة للإشارة الموسعة له عند حديثنا عن الأسباب والآثار في الباب القادم؛ وذلك أن الأسباب التي أدت إلى ظهور الشك بالإضافة إلى كل الانحرافات والآثار المترتبة عليه كان منشأها هذه التيارات والمذاهب السابقة، والتي سنعرض لطرف منها في هذا الباب وذلك من حيث تأصيل الشك عندهم، وبيان الطريقة المنهجية التي سلكوها أثناء تقريرهم لمناهجهم واعتقاداتهم أو أثناء ردودهم على أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وما أداه ذلك إلى إنكارهم وتشككهم في كثير من الأمور الاعتقادية الأصلية، أو الأصول المنهجية التي تقرر بها أصول الدين وشرائعه .

الفصل الأول :- الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية :-

وفي هذا الفصل سنعرض للشك بأنواعه عند الفرق الكلامية والفلسفية، وقد اقتصرنا في الفرق الكلامية على المعتزلة والأشاعرة باعتبارهما أكثر من يمثل هذا النوع، ولانتشارهما وماحصل بينهم وبين أهل السنة من مناظرات وردود، مما أدى الى غزارة إنتاجهم الفكري، وتوسع تأثيرهم على عوام الأمة بالإضافة الى أن كثيرا من الفرق الأخرى توافقت مع هاتين الفرقتين وخاصة المعتزلة، وصار مذهبهم في الجوانب الاعتقادية يكاد يتطابق مع المذهب المعتزلي، وسنشرع بحول الله في بيان المبحث الأول ألا وهو الشك المنهجي عندهم .

المبحث الأول:- الشك المنهجي عند الفرق الكلامية :-

أولاً :- بواكيره عند المعتزلة^(١) :

لقد جاهر المعتزلة في شجاعة ووضوح لا لبس فيه بأنه ينبغي لنا أن نشك، وأن نبدأ كل معرفة بالشك والتحفظ، حتى إذا وصلنا إلى اليقين - على حد زعمهم - كان يقيناً معزراً وسليماً، وكان هذا اليقين يقيناً لا مطعن فيه ولا ريبه .

فهذا أبو إسحاق النظام (٢٣١هـ) يقول " لم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك "^(٢).

(١) الشك المنهجي : إبراهيم الحصري ، ص٢٦ ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الأزهر .

(٢) الحيوان للجاحظ (٦ / ٣٥) .

ثم يأتي تلميذه الجاحظ فيسير على نفس منواله فيؤكد على أهمية تعلم منهج الشك واعتباره طريقاً لليقين، فهاهو يخاطب قارئه قائلاً " وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة له ، لتعرف بها مواضع اليقين ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً ؛ فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج إليه^(١) .

وممن جاهر بهذه المسألة أبو علي الجبائي (٢٣٦هـ —) حيث يرى أن الواجب الأول على الإنسان هو النظر، بما في هذا النظر من يقين، أو شك يقود إلى اليقين .

ويستمر على منهجه هذا ابنه أبو هشام الجبائي (٣٢١ هـ) فيرى أن الشك هو الواجب الأول على الإنسان ، لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل^(٢) .

وعنهما يقول القاضي عبد الجبار^(٣) " ومن حق النظر ألا يصح إلا مع الشك في المدلول عند شيخينا " ^(٤) .

ولابد أن نؤكد أن بقية المعتزلة وإن لم يوافقوا النظام فيما ذهب إليه ومن تبعه من إيجاب الشك على المكلف وجعله أول الواجبات إلا أنهم يجعلون النظر هو أول الواجبات .

(١) المرجع السابق (٦ / ٣٥) .

(٢) انظر : الجبائيان أبو علي وأبو هشام : علي فهمي (٣٣٣) ط : الأولى طرابلس - ليبيا - بدون تاريخ

(٣) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، متكلم معتزلي ، من مؤلفاته (المغني في أبواب العدل والتوحيد) (شرح الأصول الخمسة) توفي عام ٤١٥ أنظر : الأعلام للزركلي (٣/٢٧٣) .

(٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار (١٢ / ١١) .

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار " إن سأل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر " (١).

لكننا نعلم ونؤكد يقينا أن الناظر في حالة شك ولابد، وإن اختلف النظار في تقديم أو تأخير أحدهما على الآخر .

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى فيقول رحمه الله " وقد أوجب أبو هشام وطائفة معه الشك وجعلوه أول الواجبات ، ومن لم يوجبه من الموافقين على أصل القول قال : إنه لابد من حصوله وإن لم يؤمر به " (٢).

فعلى ما سبق يتبين لنا تأثر المعتزلة بهذا النوع من الشك، ويبرز ذلك جلياً في مؤلفاتهم ومناهجهم في تقرير العقائد والجدل مع الخصوم . وهذه الطريقة تتفق مع ما قررناه سابقاً من تقديسهم العقل وجعله أصلاً في المعرفة وصحة الاعتقاد .

ثانياً : الشك المنهجي عند الأشاعرة :-

إذا علمنا أن الأشاعرة هم من أكثر الطوائف الإسلامية اهتماماً بالعقل والتفكير العقلي ، وأنهم يجعلون العقل هو الأساس والأصل في الوصول إلى الحق، مع عدم إهمالهم للجانب الشرعي ولكنهم يجعلونه في مرتبة متأخرة عن العقل فسنعلم أن جمهور الأشاعرة قد جعل النظر العقلي هو أول واجب على المكلف ،

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية (٧ / ٤١٩) .

والبعض منهم يجعل القصد إلى النظر هو أول الواجبات والبعض جعل أول واجب هو أول جزء من أجزاء النظر.

ونحن عندما ننسب الشك إلى المنهج الكلامي لا نعني به استعمالهم للنظر بمعناه الاصطلاحي حيث أن النظر ترتيب أمور معلومة ويقينية يتوصل بها إلى معرفة صحيحة وإنما نعني النظر الذي هو تساوي وتكافؤ الأدلة وعدم وصول الباحث إلى يقين في المسألة، بل هو يقلب الأدلة حتى يتوصل إلى ما رجح، كما هو الحال في تجربة الإمام الغزالي والإمام أبو الحسن الأشعري.

وبهذه النقولات تبين لنا أن المعتزلة والأشاعرة قد اتفقوا في مجملهم على كون النظر هو أول الواجبات التي تجب عن الإنسان حتى يتوصل إلى المعرفة مع ما أشرنا إليه من تصريح بعضهم من جعل الشك نفسه هو أول الواجبات على المكلف، والذي لا بد أن نشير إليه في ختام هذا المبحث أن المعتزلة والأشاعرة يؤكدون دائماً أن هدفهم من كل هذا هو الوصول إلى إيمان قوي ويقين مطمئن، ولهذا كانوا دائماً يفيضون في مباحث النظر ومقاصده وشروطه وأحكامه بل أنهم عقدوا فصولاً في الحديث عن الشك ذاته ، ومتى يكون حسناً مرغوباً فيه، ومتى يكون قبيحاً، فهذا هو الجاحظ يدعو إلى الشك المنهجي لمعرفة مواضع اليقين والحالات الموجبة له، والشك عنده له هدف محدد ، يعود الإنسان على التوقف والتثبت من الأمور ، ويرفع خطر التسرع في قبول

الخبر ، والتعرض بالتالي إلى الخطأ ، وليس معنى هذا أن يكون الشك مذهباً هداماً: " لأن من عود قلبه الشك اعتراه الضعف " (١).

ثانياً / الشك الاعتقادي عند الفرق الكلامية :-

اعتمد أهل الكلام جميعاً وعلى رأسهم المعتزلة والأشاعرة في تقرير مسائلهم وفي تحديد معارفهم على النظر العقلي وجعلوا من الشبه العقلية معارضاً ومقدمات على وحي الله المنزل وذلك ثقة منهم بما ظنوا أنه قواطع عقليه ودلائل برهانية تقودهم للمعرفة اليقينية، فأدى هذا بكثير منهم إلى الخلط واللبس بين الحق والباطل وتكافؤ الأدلة بحيث لم يترجح أحدهما على الآخر وعندها أتت الحيرة والشكوك في أمور الاعتقاد الواضحة البينة التي يجزم بها عوام الناس.

وقد أشار ابن القيم لهذا، فبين أن كتب المتكلمين لا تعطي إلا الشك والتشكيك ، وأنه كلما ازداد فيها الإنسان امعاناً ازدادت حيرته وشككه، حتى يؤول به الأمر إلى الشك في الواضحات " (٢).

بل أكد هذا المعنى الغزالي وهو صاحب التجربة الكبيرة في هذا الميدان فقال : " أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام " (٣).

(١) الحيوان للجاحظ (٦٣/٦) .

(٢) انظر : الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله لابن القيم (٢٥٩/٤) تحقيق : علي محمد السدخيل الله ، دار العاصمة ط: الثالثة ١٤١٨-١٩٩٨ .

(٣) انظر : نقض المنطق لابن تيمية: (٢٥) تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع ، ط: الأولى ١٣٧٠ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة وانظر ايضاً : الصواعق المرسله لابن القيم (٢٦٢/٤) .

وسأعرض في هذا المبحث بعض العقائد الشرعية والضرورات الدينية التي أنكرها أهل الكلام وشككوا فيها ووقفوا فيها مضطربين متناقضين قد أصابتهم الحيرة في إثباتها أو نفيها .

على أن مما يجدر التنبيه عليه والتأكيد عليه أن إنكار هذه المسلمات أو التشكك فيها كان متفاوتاً فالبعض منها كان مذهباً عاماً لطائفة المتكلمين وذلك وفق القواعد والأصول التي بنوا عليها مذهبهم والبعض منها كان خاصاً ومقصوراً على بعض الغلاة منهم

كما أن الحيرة والشك التي نجدها في بعض نصوصهم ومواقفهم قاصرة على أصحابها ولا ينبغي تعميمها ولا ينبغي القول أنها تشمل كل طوائف أهل الكلام ، فالحق أن فيهم المؤمن الصادق والعامي المقلد والعالم المحقق الذي أراد الحق وأراد أن يصيب اليقين ويرد الشبهة عن الإسلام ولكنه أخطأ الطريق في ذلك .

ويمكننا حصر هذا النوع من الشكوك والإنكارات في جانبين اثنين :-

الجانب الأول :- اضطرابهم وتناقضهم في كثير من مسائل الاعتقاد .

فإن المتأمل في أحوال الفرق الإسلامية المتأثرة بعلم الكلام والفلسفة يجد عند الكثير منهم اضطراباً وشكاً وإنكاراً لكثير من المسائل والأصول الواضحة التي هي من أصول الإسلام التي لا يقبل إنكارها أو التشكيك فيها .

ولعلنا لو ألقينا نظرة على مذاهب المعتزلة على سبيل
المثال لا الحصر لوجدنا هذا الأمر عند كثير من نظارهم وساداتهم
ومنها:-

(أ) _ الجرأة على رد نصوص الكتاب والسنة :-

ولعل ما ذكره أهل التراجم والسير^(١) فيما يروونه عن
عبدالله بن معاذ عن أبيه أنه سمع عمرو بن عبيد^(٢) امام المعتزلة -
يقول بعد ذكره حديث : أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً
نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك .. الحديث يقول " لو سمعت الأعمش
هذا لكذبتة ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته ، ولو سمعت
ابن مسعود يقول هذا لما قبلته ، ولو سمعت رسول الله يقول هذا
لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت
ميثاقنا.

وكان النظام يقول " يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ ، فإن
الأخبار المتواترة لا حجة فيها ، لأنها يجوز أن يكون وقوعها
كذباً"^(٣).

(١) انظر : سير اعلام النبلاء للذهبي (٦ / ١٠٤) .

(٢) عمرو بن عبيد بن أبو عثمان ولد في بلخ سنة ٨٠ هـ ، كان جده من سبي كابل من جبال السند ،
كان ذا علم كثير ، قال عنه الذهبي : (صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقتة فلذا قيل المعتزلي) توفي سنة
١٤٤ انظر مروج الذهب ، (٣ / ٣٠٣) ، انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال : لأبي عبدالله محمد الذهبي ،
٢٧٣/٣ - ٢٨٠) ، دار المعرفة ، بيروت .

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٣ / ٢٧٨) ، دار احياء الكتب العربية تحقيق علي البجاوي ط:

ويروي عاصم الأحول فيقول : " رأيت عمرو بن عبيد يحكُ آية من المصحف ، فقلت له سبحان الله !! قال اني سأعيدها قلت : أعدها ، قال : لا أستطيع " (١).

فهذه بعض أمثله للجرأة في رد النصوص والتكذيب بها وهذا لا شك نابع عن شك في صحتها وثبوتها وضعف يقين بالله سبحانه وتعالى .

(ب) - التناقض مع الله ورسوله ووصفهما بما لا يليق :

فهم في باب الأسماء والصفات يثبتون الأسماء لله سبحانه وينفون الصفات؛ وذلك لأنهم يظنون أن ذلك يؤدي إلى تعدد القدماء (٢)

وهذا فيه قمة التناقض والامتناع، لأنه لا يقبل إثبات أسماء لا معنى لها ولا صفة ، وهو ممتنع ومحال في حق الإنسان فكيف بالله سبحانه وتعالى .

وان كان هذا شأنهم في الأسماء والصفات فإنهم في باب القدر قد التزموا التزامات فيها تناقض وإنكار عظيم في حق الله سبحانه وتعالى ، فهذا أبو هذيل العلاف (٣) يقول " إن لما يقدر الله تعالى عليه آخراً ، ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل - ولن يخرج

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر : الصواعق المرسله : ابن القيم (٢/ ١٢٥).

(٣) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف . ولد في البصره سنة ١٣١هـ - وقيل ١٣٥هـ ، كان يلقب بالعلاف لان داره كانت بالبصره في العلافين ، وهو من شيخ المعتزلة المقرر طريقتهم ، اعتبره الشهرستاني شيخ الاعتزال ومقدم الطريقة والمناظر عليها ، توفي سنة ٢٣٥هـ . انظر : وفيات الاعيان لابن خلكان (١/ ٦٠٧-٦٠٨) ، الأعلام للزركلي ، (٧/ ٣٥٥) معجم المؤلفين (١٢/ ٩١-٩٢).

- لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلاً ، ولا على خلق ذرة
فما فوقها ، ولا على احياء بعوضة ميتة ، ولا على تحريك ورقة
فما فوقها ، ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً^(١).

وفي هذا الباب ينقل ابن حزم^(٢) عن النظام قوله " إن الله لا
يقدر على ظلم أحد أصلاً ، ولا على شيء من الشر ، وأن الناس
يقدرون على كل ذلك ، وإنه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكننا لا
نأمن أن يفعله ، أو أنه قد فعله " .

وكان يصرح بأن الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من
جهنم ولا إخراج أحد من الجنة ، ولا على طرح طفل في جهنم وأن
الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك^(٣) .

وكان أبو هشام يقول " إنه لو طال عمر المسلم المحسن
لجاز أن يعمل من الحسنات والخير أكثر مما عمل النبي صلى الله
عليه وسلم^(٤) " .

أما الأشاعرة :- فلأنهم يوافقون المعتزلة في تقديم العقل
على النقل ولكنهم لا يهملون النقل أبداً بل يجتهدون في تأويله وجعله
موافقاً للمقدمات والضرورات العقلية ، ولهذا فقد وقعوا في تناقضات
واضطرابات منهجية كثيرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

أ- تعطيلهم باب الصفات عن الله سبحانه وتعالى

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم (٣ / ١٢٨) دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤١٦م -
١٩٩٦م .

(٢) المرجع السابق (٣ / ١٢٧) .

(٣) المرجع السابق (٣ / ١٢٩) .

(٤) المرجع السابق (٣ / ١٢٧) .

فالأشاعرة ونتيجة لعقدتهم الأزلية من المعتزلة قد أثبتوا الأسماء لله ثم أثبتوا بعض الصفات ونفوا البعض الآخر وذلك حتى لا يقعوا في محذور المشابهة التي توهموها بعقولهم، وهذا لا شك تناقض كبير واضطراب خطير، فلا شك أنه يلزمهم أن القول في بعض الصفات كالقول البعض الآخر^(١).

وهم في إثباتهم لصفات المعاني التي أثبتوها دون غيرها احتاروا فيها، حيث أنهم أثبتوها لأنها قديمة قائمة بذات الله تعالى وأنكروا حدوث آحادها ثم تفاجؤ بحدوثها حسب المشيئة والقدرة من الله فعندها لجأ أبو بكر الباقلاني إلى إثباتها بالسمع وليس بالأصول العقلية على منهجهم كما ذكر ذلك الشهرستاني^(٢). وفي هذا قمة الحيرة والاضطراب .

وفي مسألة الرؤية تناقضوا تناقضاً عجيباً حيث أثبتوا الرؤية خلافاً للمعتزلة ولكنهم ينفون عن الله الجهة فأثبتوا مرئياً لا في جهة وهذا لا شك مخالفة ضرورية لكل الأقيسة والمناهج العقلية المعتبرة .

ب- موقفهم من القرآن الكريم وكلام الله سبحانه

وفي هذا الباب أتى الأشاعرة بالعجائب حتى إنهم قالوا كلهم كما يورد ذلك عنهم ابن حزم إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على

(١) انظر : الصواعق المرسله : ابن القيم (٥٢/٢) .

(٢) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام : الشهرستاني (٢٣٦-٢٣٧) حرره وصححه : الفرد جيوم ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن (نقلا من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة : عبدالرحمن الحمود) .

قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، إنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله .. وأن الذي نرى في المصاحف ونسمع من القرآن ونقرأ في الصلوات ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ، ولا شيء منه كلام الله تعالى البتة بل هو شيء آخر ، وأن كلام الله تعالى لا يفارق ذاته (١).

وقد نصّ الباقلاني (٢) على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أطلق القول بأن ما أنزل الله عليه هو القرآن ، وهو كلام الله تعالى إنما هو على معنى أنه عبارة عن كلام الله تعالى ، وأنه يفهم منه أمره ونهيه فقط (٣).

ج- وصفهم الله ورسوله بما لا يليق .

فهم في ذلك يقولون : إن الله لا يقدر على ظلم أحد البتة ، ولا يقدر على الكذب ، وأنه لا يقدر على أن يتخذ ولداً إلى غيرها من الفضائع في واثبات عجز الله عن القدرة وسلبها عنه سبحانه في حين أن الساحر عندهم يقدر على قلب الأعيان وعلى أن يمسح إنسان حماراً على الحقيقة وعلى المشي في الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى (٤).

(١) انظر : الفصل (٣ / ١٤٨) .

(٢) محمد بن الطيب البصري القاضي من متكلمة الأشاعرة من مؤلفاته (الأنصاف ، التمهيد) توفي عام ٤٠٣
انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ١٩٠) .

(٣) انظر : الفصل (٣ / ١٤٩) .

(٤) انظر المرجع السابق (٣ / ١٤٩) .

أما في مجال النبوة فقد قال الباقلاني " لا فرق بين النبي
والساحر الكذاب المتنبى فيما يأتیان به إلا التحدي فقط (١).

بل قال بعضهم أن محمد بن عبد الله ليس هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكنه كان رسول الله.

وعلى هذه المسألة قتل ابن فورك (٢) شيخ الأشعرية في زمانه
(٣).

بل وصلت جرأة البعض منهم أنه يقول " إن جميع
المعاصي كلها لا نجد شيئاً منها مما يجب أن يستغفر الله منه جائز
وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ (٤)
وتمادى ابن فورك فأجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار
المعاصي كتقبيل النساء والتعريض لهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك،
تعالى الله ورسوله عن ذلك علواً كبيراً ، ولا شك أن من وصلت
حالته إلى هذه الدرجة من التشكيك وضعف اليقين والاستهزاء بمقام
الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه قد بلغ مبلغاً عظيماً
من الضلال والحيرة والتخبط وهذا نتيجة حتمية للمقدمات العقلية
والطرق الفلسفية التي يعارض كلام الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم وكان نتيجة ذلك الحيرة والاضطراب التي سنتحدث عنها الآن

(١) انظر : المرجع السابق (٣ / ١٥٣) .

(٢) ابن فورك : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصهباني من فقهاء الشافعية ، من كبار الاشاعرة في
زمانه ، بلغت تصانيفه المئات ، ومن أشهرها مشكل الآثار وبيانته، توفي سنة ٤٠٦ هـ . وفيات الاعيان (٢٣٣)
، الأعلام للزركلي ، (٣ / ٤٠٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ٢١٤) .

(٣) انظر : الفصل لابن حزم (٣ / ١٥٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٣ / ١٦٣) .

بإسهاب ومزيد بيان وهو الجانب الثاني الذي يظهر فيه هذا النوع من الشك عن الفرق الكلامية .

الجانب الثاني :- الحيرة والشكوك .

شهد المتكلمون على أنفسهم بالحيرة في مسائل كثيرة من مسائل الاعتقاد وكانت هذه الحيرة وهذا الشك مسيطرة على الكثير من نظارهم وعلمائهم خاصة عند موتهم وهذا ولا شك ناتج عن الطرق والمناهج العقلية التي سلكوها في تقرير مسائل الاعتقاد واطراحهم مناهج القرآن الكريم وخروجهم عن منهج الصحابة والسلف الصالح وسأعرض لبعض المواقف والمسائل التي توقف فيها البعض منهم وظهر فيها ضعفهم وحيرتهم .

يقول الحافظ البزار ناقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمهما الله " بل إن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقالاتهم إلا وقد تزندق ، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم ، وقطع حجتهم وأضاليلهم ، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهموسبب ذلك اعراضه عن الحق الواضح المبين وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين ، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم حكميات وعقليات وإنما هي جهالات وضلالات التزمها معرضا عن غيرها فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم فتخبط حتى خبط فيها خبط عشواء ولم يفرق بين الحق والباطل" (١)

(١) (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : الحافظ عمر بن علي البزار ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب

فهذا الجهم بن صفوان^(١) زعيم الجهمية والمعتلة يقع في الحيرة والشك حتى أنه ترك الصلاة أربعين يوماً لا يصلي^(٢).

وهذا أبو الحسن الأشعري تنقل بين الاعتزال والأشعرية سنين طويلة حتى استقر به الحال على مذهب أهل السنة والجماعة وقد ذكر أن أبا الحسن تغيب عن الناس بعد وقوعه في الحيرة والشك خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال : معاشر الناس أني تغيبت عنكم هذه المدة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ، ولا باطل على حق ، ..^(٣).

وهذا أبو محمد الجويني (٤٣٨ هـ) ، والد إمام الحرمين : أبو المعالي وكان من أبرز علماء الأشاعرة ألف رسالته المشهورة (اثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد) وذكر فيها ما كان يجده من الحزازات التي لا يطمئن إليها القلب ، والكدر والظلمة وضيق الصدر ، والحيرة والاضطراب حتى رجع إلى مذهب السلف^(٤) .

الاسلامي ، بيروت ، ط: الثالثة (٣٤-٣٥) .

(١) الجهم بن صفوان ابو محرز الراسي رأس الجهمية إليه تنسب كل ضلالتهم قتله سلم بن أحوز عام ١٢٨ هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦/٦) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٣/١٨) .

(٣) انظر : مقدمة الإبانة عن أصول الدين : ابو الحسن الأشعري للشيخ / حماد الأنصاري (١٤-٢٥) حيث حقق هذه المسألة وبين صحة نسبة الكتاب للأشعري .

(٤) انظر : رسالة في اثبات الاستواء والفوقية " لأبي محمد الجويني ضمن مجموعة " الرسائل المنيرية "

(١) (١٧٥-١٧٦) .

ولم يكن حال ابنه بعيداً عنه فقد كان من أكابر أئمة الأشاعرة وكان كثيراً ما يقع في الحيرة والضلال وقد أورد كثير من أهل العلم قصته مع الهمذاني^(١) حين سأله الهمذاني عن استواء الله وعلوه على خلقه فأولها وأنكرها أبو المعالي فسأله الهمذاني عن الضرورة التي يجدها كل مخلوق في نفسه وذلك أنه يلتفت للعلو ويرفع يديه في حال دعائه وتضرعه لله سبحانه وتعالى لجهه العلو عندها بكى أبو المعالي وحرار ولم يجد جواباً إلا قوله : يا صبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة . بل ذكر أصحابه أنه كان يقول : حيرني الهمذاني.

وقد بسطنا الكلام عن الحيرة والشك التي مر بها الأمام أبو حامد الغزالي بما لا حاجة لإعادته في هذا الموطن . وفي هذا المقام لا ننسى أن نشير إلى أبي الفتح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني (٥٤٨)^(٢) الذي كان من أكابر المتكلمين في عهده . وقد ذكر كلاماً طويلاً في حيرته بعد بلوغه الغاية في النظر والفكر ثم قال هذين من البيتين التي يصف فيها الحيرة والحائرين فيقول :-

لعمري لقد طففت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادماً^(٣)

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٤) .

(٢) الشهرستاني : محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، أحد أئمة الأشاعرة ، له مؤلفات منها الملل والنحل ، ونهاية الإقدام توفي سنة ٥٤٩هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، (٤ / ٢٧٣) ، ٢٧٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، (٢٠ / ٢٨٦ - ٢٨٨) .

(٣) انظر : نهاية الإقدام : الشهرستاني (٣) .

يقول شيخ الاسلام رحمه الله " فأخبر أنه لم يجد الا حائرا
شاكاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه فالأول في الجهل
البسيط كظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها وهذا
داخل في الجهل المركب ، ثم تبين له أنه جهل فندم "(١)
ومن متأخري الأشاعرة فخر الدين الرازي فبعد أن ألف
المؤلفات وعقد التصانيف في الانتصار لعلم الكلام ولخص حيرته
ومعاناته مع مناهج الفلسفة الضالاه بقوله :

نهاية إقدام العقول عقاب
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وأكثر سعى العالمين ضلال
وحاصل دنيائنا أذى ووبال
ولهم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قبل وقالوا

ثم يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ناقلاً عنه قوله : " تأملت الطرق
الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً ولا تروي عليلاً
ورأيت أقرب الطرق طريقة القران ... ومن جرب مثل تجربتي عرف
مثل معرفتي "(٣)

(١) منهاج السنة (٥ / ٢٦٩) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية (١ / ١٦٠) يقول الدكتور محمد رشاد سالم في درء التعارض
(١٦٠) عن هذه الآيات : لم أجد هذا النص فيما بين يدي من كتب الرازي سواء المطبوع منها
أو المخطوط ، ويذكر ابن تيمية ان الرازي كان يتمثل بهذا النص في كتابه اقسام اللذات ، وهذا الكتاب
مخطوط بالهند ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي ، وكثير ما يذكر ابن تيمية هذا النص في كتبه .

(٣) درء التعارض (١ / ١٦٠) .

وقد تتبّع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم^(١) الكثير من النقول والمواقف لأرباب الكلام وحيرتهم وشكهم حتى إن الإنسان ليعجب أشد العجب من مدى الحيرة وضعف اليقين الذي وصلوا إليه مع أنهم زعموا أن هذه المناهج هي الطريق الوحيدة العاصمة للذهن من الوقوع في الزلل وأنها آمن الطرق للوصول إلى اليقين التام والمعرفة المطمئنة ولعل ما ذكر عن أبي واصل الحموي أحد المتكلمين يبين أقصى ما وصلوا إليه من الحيرة فهو يقول : " اضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ، ولم يترجح عندي شيء " (٢).

والذي يتتبع منهج المتكلمين ومؤلفاتهم سيظهر له ذلك الأمر جلياً واضحاً وسأحاول في نهاية هذا المبحث أن اتتبع بعض الأسباب الظاهرة التي وصلت بهم إلى هذا المسلك والمزلق المنحرف مؤكداً على الأسباب المنهجية والوافدة التي أدت إلى انحرافهم ومن ثم حيرتهم وضلالهم ومن أهمها :-

١/ الالتقاء بأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى والتأثر بهم ودخول الزنادقة من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام نفاقاً بغية إفساد عقيدة المسلمين.

فبعد الفتوحات الإسلامية بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من سائر الأديان والنحل، وكان من بين تلك الجموع أناس لم ترسخ العقيدة في قلوبهم ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم وكانوا قد دخلوا الإسلام وهم يحملون شيئاً من رواسب دياناتهم ونحلهم السابقة وقد كان لهم أعظم

(١) انظر : مجموع الفتاوى الرياض (٧٢/ ٤) والصواعق المرسله (١ / ١٦٧) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٦٥) .

الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية ويكفي مثلاً ما حصل على يد غيلان الدمشقي الذي كان قبطياً فأسلم، واشتهر عنه الكلام في القدر. ومن ناحية أخرى فإن هذه الفتوحات الإسلامية قد أثارت غيظ أعداء هذا الدين ففكروا في كيفية الكيد له فرأوا أن كيده من داخله أنجع وأقوى فتظاهر قوم منهم بالدخول في الإسلام وقاموا بإثارة الفتن والخلافات، وتشكيك المسلمين في دينهم وإبعادهم عن صفاء عقيدتهم ولعل أبرز مثل يصور هذا الكيد ما حصل على يد عبد الله بن سبأ اليهودي^(١) من فتنة وفساد للمسلمين .

كما أن اختلاط المسلمين باليهود والنصارى ممن بقي على دينه من أهل تلك الديار المفتوحة كان له الأثر فيما بعد على عقائدهم وتفكيرهم، وإثارة المسائل التي لا طائل تحتها^(٢).

كما أن مناقشة أهل الكلام لبعض هؤلاء مع عدم العلم الشرعي العاصم من الانحراف أدى ذلك إلى التزام أهل الكلام ببعض اللوازم الباطلة أثناء الجدل معهم مما أدى بهم إلى الانحراف والضلال . وقصة الجهم بن صفوان في مناقشته للسمنية توضح ذلك بجلاء^(٣).

٢/ حركة الترجمة: لقد كانت الترجمة من أهم العوامل في نشأة المنهج الكلامي في العقيدة وذلك لما أثارته وأفرزته ونشرته من المصطلحات والمباحث الفلسفية والمنطقية البعيدة عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة الصالح أسلوباً ومضموناً.

(١) عبد الله بن سبأ، رأس السبئية، كان يقول بالوهمية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأصله من يهود اليمن، تظاهر بالإسلام وجهر ببدعته فضل أضل

انظر في ترجمته: ميزان الاعتدال(٤٢٦/٢). ولسان الميزان(٢٨٩/٣-٢٩٠). والأعلام(٢٢٠/٤).

(٢) انظر: درء التعارض (٩٤/٧).

(٣) انظر: شرح السنة للالكائي، (٣٣٨/٣).

فلم تعرف مصطلحات: الجوهر والعرض ونحوها بالمفهوم الكلامي إلا بعد ترجمة كتب الفلسفة والمنطق.

والأمر الذي يلفت الانتباه أن أكثر المترجمين لكتب الفلسفة والمنطق كانوا منحرفي العقيدة فهم ما بين زنديق ونصراني ومجوسي ومن نظر في أسمائهم وسيرهم تبين له حقيقة أمرهم^(١).

٣/ **الجهل بالكتاب والسنة والبعد عنهما** فمن أهم أسباب انحراف منهج المتكلمين عن جادة الصواب ، ووقوعهم في تناقضات وبدعيات حيرة وضلال بعدهم عن الكتاب والسنة وجهلهم بهما بل إنك لتجد أحدهم يعلم ويفقه ويحفظ كلام المناطقة والفلاسفة، ويعتني به أكثر من اعتناؤه بكلام الله ورسوله .

٤/ **ضعف الإيمان في النفوس واتباع الهوى** وهذا يعتبر من أهم العوامل في انحراف المنهج الكلامي وذلك لما أفرزه هذا الضعف من نتائج سلبية، ظهرت من خلال تناول مسائل العقيدة بالبحث، فإذا ضعف إيمان الشخص قل تعظيمه لكلام ربه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وسهل عليه معارضتهما بالحجج العقلية والشبهات الإلحادية بل لا يجد حرجا في رد كل حديث وتحريف كل معنى آية لا توافق هواه ومعتقده، وربما تسلح بكلام الزنادقة من المناطقة والفلاسفة وسائر أهل الأهواء والمشارب المنحرفة.

كما أن ضعف الإيمان يحبب للإنسان كثرة الجدل والمناظرة بالباطل، لا لأجل الوصول إلى الحق بل يخوض المعمارك الكلامية بهدف الانتصار على الخصم، ولو تبين له الحق مع خصمه.

(١) انظر لأسماء جملة منهم،: الفهرست : ابن النديم (٣٤٠-٣٤٢). وضحي الإسلام: أحمد أمين (١/٢٢٣-٢٢٣).

الفصل الثاني / الشك عند الفرق الباطنية والصوفية

وفيه تمهيد و مبحثان

• تمهيد

• المبحث الأول : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية

• المبحث الثاني :- الشك في العقائد والمسلمات عند
الباطنية والصوفية

تمهيد :-

قبل الدخول في هذا المبحث والذي نتناول فيه موضوع الشك بأقسامه الثلاثة لدى الفرق الباطنية والصوفية يجدر بنا أن نشير إلى العلاقة الوطيدة التي تربط بين الحركات الباطنية والحركات الصوفية

وهذه العلاقة يجعلها كثير من المؤرخين قديمة جداً فابن خلدون^(١) يتكلم عن تاريخ التصوف ثم يقول . وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن علياً ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة^(٢).

وكانت بدايات الاتصال عن طريق تقديس الصوفية والزهاد لآل البيت وبقية الأئمة عند الشيعة ، ولكن هذه العلاقة سرعان ما توطدت وبدأت تتحى منحى باطنياً صرفاً مع ظهور الإسماعيلية الباطنية الغلاة فاشتدت العلاقة والتقى الصوفية مع الباطنية في كثير من الأفكار والمعتقدات ، وما هي إلا عدة عقود وسنوات من الارتباط حتى رأينا التصوف يتخذ طابع الاسماعيلية الكامل من القول بالولاية مروراً بالمنازل والتأويل والإشارات ونهاية بالمعرفة والسلوك .

(١) عبدالرحمن بن محمد الحضرمي الإشيلي عالم ومؤرخ اجتماعي توفي عام ٨٠٨هـ انظر : شذرات الذهب (٧٦/٧) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٢٣) دار الكتاب اللبناني بيروت بلا تاريخ .

وإذا عرفنا عمق هذه العلاقة وتجزرها وتشعبها بين هاتين الطائفتين فإننا سنجد التوافق الكبير بينهم في المناهج والعقائد التي خرجوا بها على الناس .

وفي هذا المبحث سنعرض لأنواع الشك الثلاثة عندهم ونبحث موقفهم من كل نوع من الأنواع وهل وجد أو لم يوجد في مناهجهم وعقائدهم^(١).

المبحث الأول : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية :-

كما علمنا سابقاً أن الشك المنهجي يعتمد على النظر العقلي ومحاولة إعمال العقل في كل الموجودات والممكنات لتمييزها والوصل إلى حكم قطعي فيها يطمئن به الإنسان ويشعر أنه وصل إلى اليقين بطرق عقلية سليمة وبمناهج عقلية واضحة .

وبما أن الباطنية والصوفية يعتمدون اعتماداً كبيراً على الحدس والمشاهدة واعتبار الباطن والتأويل الباطني وعلى ما يختاره ويصححه الولي وشيخ الطريقة والإمام الغائب فإنهم لا يرون طريقاً سليماً غير هذه الطرق ويعتبرون كل معرفة ناتجة عن العقل أو الحس معرفة ظنية، فالعقل عندهم إنما يكتسب العلوم عن طريق الحواس ، وهي طريق غير مأمون في تلقي المعرفة^(٢).

(١) انظر :- الصلة بين التصوف والتشيع (٣٤٩) : كامل الشيبلي دار المعارف مصر ط الثانية وانظر أيضاً :

التصوف المنشأ والمصدر : احسان الحي ظهير (١٦١) إدارة ترجمان السنة لاهور ط : الأولى بدون تاريخ .

(٢) انظر : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د/ عرفان عبد الحميد (٤٥) دار الجيل ط : الأولى ١٤١٣-

لذلك كانوا " ينكرون العقائد الكلامية وما تذهب إليه من ضرورة العلم بالله عن طريق النظر الفلسفي " (١).

ولهذا يقول ابن عربي (٢) " من يؤمن بانياً إيمانه على البراهين والاستدلالات ، لا يمكن الوثوق بإيمانه لأنه مستمد من الفكر والنظر ولهذا فهو إيمان يتأثر بالاعتراضات " (٣).

ويقول أيضاً " لا علم الا ما كان عن كشف وشهود لا عن فكر وظن ذلك لأن الأفكار محل الغلط والخطأ والوهم " (٤).

ويقول أيضاً : " فكل ما لهم تقليد واستدلال قائم على الظن .. وهؤلاء الاستدلاليون يسعون على ساق خشبية ، والساق الخشبية متعثرة واهية " (٥).

وكذلك **الباطنية الإسماعيلية** فهم يشككون في المعرفة الناتجة عن العقل ولا يعتبرون إلا التأويل الباطن أو تأويل الإمام وهم في هذا يقولون " إن من يتبع موجب العقل ويصدقه ففي

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ، كولدزبهر (١٦٩) الترجمة العربية ط الثانية ١٩٥٩ م.

(٢) محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن احمد الطائي الحاقمي الأندلسي ، لقب بمحي الدين ، ، دخل الحياة الصوفية في سن الحادية والعشرين ، وكان يختار من طرق التصوف أضيقتها ومن الرياضات أشدها ، فاقست مؤلفاته أربعمائاً مؤلف أشهرها (الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم) ، توفي في سوريا ٦٣٨ هـ . انظر: طبقات الأولياء ، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري الملقن (٤٦٩) ، ، تعقيب : نور الدين شريبه ، دار المعرفة ، بيروت ط: الثانية ، ١٩٦٨ م البداية والنهاية : (٣٩٩/٦) .

(٣) العقيدة والشريعة : كولدزبهر (١٧٠) .

(٤) الفتوحات المكية (٤ / ٣٠٤) بيروت دار صادر بلا تاريخ .

(٥) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد (١٦٥) ، دار الجيل ، بيروت ط: الأولى

تصديقه تكذيبه وهو غافل عنه ، لأنه ما من مسألة نظرية يعتقدونها بنظره العقلي إلا وله فيها خصم اعتقد بنظر العقل نقيضها ، فإن كان العقل حاكماً صادقاً فقد صدق عقل خصمك أيضاً ، فإن قلت لم يصدق فقد تناقض كلامك .." (١)

فمن خلال هذه النصوص يتضح لنا موقفهم جميعاً في مسألة المعرفة الناتجة عن العقل وهذا يعطينا تصوراً واضحاً عن موقفهم من الشك المنهجي وأنهم لا يرونه طريقاً معتبراً في المعرفة ولا يستخدمون حتى النظر العقلي في الحكم والوصول إلى المعرفة الصحيحة .

المبحث الثاني : الشك في العقائد والمسلمات عند الباطنية والصوفية :-

الصوفية والباطنية هم أكثر من يدعي الوصول إلى اليقين وأنهم هم من كشفت لهم سحائب الغيب والطمأنينة وطالما احتقروا علوم الظاهر التي يقصدون بها أمور الشريعة الظاهرة وطالما حقروا العقل والحسن وكل ما يأتیان به من معارف كما بينا ذلك سابقاً .

ولكن ومع كل هذا ومع أنهم يدعون الإسلام والإيمان الجازم الصادق الذي لا يخالطه ريب إلا أنهم يقعون في موبقات وطوام تنكر وتشكك في أصول الإسلام الصحيحة والمعروفة من الدين بالضرورة و وهذا يدلنا دلالة كافية على مدى الاضطراب

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي (٧٥) المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣-٢٠٠٣م.

والحيرة وضعف اليقين الذي وصلوا إليه في الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى وإن ادعوا عكس هذا وإلا كيف يستقيم يقين بالله مع الاستهزاء بشريعة الله ورسوله والخط من أنبيائه ، والتهوين من شريعته وأصحابها ، إضافة إلى اختراع وادخال العقائد الفاسدة فيها وتشكيك الناس فيها وجعلهم ينأون عما جاءت به الشريعة من وضوح وبيان وإدخالهم إلى عالم الاشارات والتأويلات الباطنية .

ويمكن إجمال ما أنكرته الباطنية والصوفية وتشككت فيه في عدة أمور نذكرها على سبيل الاختصار؛ لأن المقام ليس مقام حصر ولكن نشير لما انطوت عليه عقيدتهم من شك وحيرة في مجال الإيمان بأصول الدين وثوابته، ويمكن ذكرها كالتالي:-

(أ) إسقاط التكاليف الشرعية :-

فهم يزعمون أن الإنسان وصل إلى اليقين الكامل فإنها تسقط عنه التكاليف ويصير غير مطالب بشيء منها، بل يصير متتكرراً لها عديم الاكترارات بالحدود والقيود الشرعية^(١).

بل هم يأنفون من تعاليم الدين ويعتبرونها قيدياً وحبساً على الظاهر يجب التخلص منه " وأن الإنسان ليس عليه فرض ولا تلزمه عبادة إلى وصول إلى معبوده " ^(٢).

(١) انظر : التصوف والمنشأ : احسان الهى ظهير (٣١١) ادارة ترجمان السنة، لاهور بدون تاريخ

(٢) مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري (٣٠١) تحقيق :هلموت ريتز اسطانبول ١٩٢٩ م .

" وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة
تزول فيها عنهم العبادات ، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم
من الزنا وغيره مباحات لهم " (١).

وغالبية الصوفية تتأول قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ ﴾

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ ﴾ (٢) وتجعل منه
منزلة يلزم منها كل ما سبق من انحرافات وشطحات .

ويذكر الغزالي عن الباطنية إيمانهم جميعاً بهذه العقيدة
المنحرفة وينقل عنهم قولهم : " من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل
الظاهر .. ورفعت عنه الأغلال والأصفاة وإقامة الظاهر " (٣) وينقل
عنهم قولهم أيضاً " أما القائم عليه السلام فإنه يرفع الشرائع " . (٤)

(ب) التجاوز على مقام النبوة والأنبياء :

لا شك أن النبوة اصطفاء يصطفيه الله سبحانه لمن يشاء
من خلقه حيث يجتبيه الله لهداية خلقه وإصلاحهم ، هذا هو
المعروف عند المسلمين ، أما عند الباطنية والصوفية فالمعنى
مختلف فهي عندهم مكتسبة وتحصل بالرياضة والجهد والتطهر
وتزكية الإمام ونحوها من هذه الاعتقادات .

(١) المرجع السابق (٢٨٩) .

(٢) الحجر آية (٩٩) .

(٣) فضائح الباطنية للغزالي (٤٦) .

(٤) المرجع السابق (٤٦) .

فها هي الإسماعيلية تزعم " أن الروح الإلهية تتجلى في سلسلة تعاقبية ، دقيقة التحديد ، بديعة التركيب ، في درجات مختلفة ومراحل متوالية ، وتظهر للإنسانية عند بدء الخلق في صورة يتزايد كمالها وبهاؤها ، وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدو في وقته يكمل انجاز العمل الذي أداه في وقته المظهر السابق " (١)

ولا شك أن هذا يعني بكل بساطه أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن خاتم النبيين ، ولا آخر من يمثل اكتمال الوحي الإلهي . (٢)
وينقل عنهم أبو الحسن الأشعري زعمهم " أن النبوة صفة يمكن للإنسان اكتسابها والوصول إليها عن طريق الرياضة وتصفية القلب (٣).

وها هم الصوفية على شاكلة الإسماعيلية في هذا الاعتقاد فهذا السهروردي يعلن أن النبوة مكتسبة (٤).

ويذكر عنهم شيخ الإسلام قوله " بل صار كثير منهم يطلب أن يؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، وأن يؤتي صحفاً منشرة " (٥).

ويقول عنهم في موطن آخر " ولهذا كان الملاحدة من المتصوفة على طريقهم كابن عربي وابن سبعين وغيرهما قد سلكوا

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : كولدزبير (٢٣٩).

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد (١٠١) .

(٣) مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري (٤٣٨) .

(٤) ابن تيمية والتصوف : مصطفى حلمي (٣٢١) دار الدعوة ط: الثانية

(٥) المرجع السابق (٣٢٢) .

مسلك ملاحدة الشيعة كأصحاب رسائل أخوان الصفا^(١) فصار بعضهم يرى أن باب النبوة مفتوح لا يمكن اغلاقه " (٢).

وكل متتبع لمؤلفاتهم ولمؤلفات المؤرخة للتصوف والباطنية يجد عبارات كلها تتهجم على مقام النبوة والأنبياء وكل هذه الادعاءات لا تصح من مؤمن مستيقن بالله العظيم .

(ج) القول بوحدة الأديان :

وقد اتحد الصوفية والباطنية في هذه الدعوى كما اتفقوا في غيرها من الانحرافات والإنكارات التي لا تهدف إلى إبطال الدين وتشكيك الناس في دينهم ومعبودهم .

فقد جاء في إحدى رسائل اخوان الصفا " ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى - ألا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا لمذهب من المذاهب ، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم كلها " (٣).

والمذهب الاسماعيلي يقوم في جوهره على فكرة " المزج والتلفيق بين مذاهب دينية مختلفة وآراء متباينة ، سياسية ، اجتماعية متعددة ومبادئ فلسفية وعلمية متنوعة" (٤) .

(١) جماعة باطنية صوفية أقامت في البصرة وضمت أبو سليمان البستي ، علي بن هارون الزنجاني ، محمد بن احمد النهرجوري والعموي امتلأت عقيدتهم ومؤلفاتهم بالفلسفة والتصوف الباطني المنحرف : انظر أعلام الفلسفة روني الفا (٥٩/١).

(٢) الرد على المنطقيين : ابن تيمية (٤٨٧) ادارة ترجمان السنة، لاهور ط: الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٢٦م

(٣) الرسالة الخامسة والأربعون (٤ / ٤١).

(٤) تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام : بندلي (١٢١) نقلاً من كتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها

أما المتصوفة فهذا ابن عربي يقول " إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من يحصره عقد دون عقد" (١)

ويصرح الحلاج^(٢) بقوله " مسلم أنا ، ولكن نصراني وبرهمي وزرادشتي ، توكلت عليك أيها الحق الأعلى ، فلا تتأ عني ، ليس لي سوى معبد واحد أو مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام ، ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ، فلا تتأ عني " (٣) .

ويقول أيضا " واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام ، وغير ذلك من الأديان ، هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة ، والمقصود منها لا يتغير، ولا يختلف" (٤)

ونحن ندرك وبلا شك أنهم حين يعتقدون هذه العقيدة فإنهم يهدفون من ذلك إلى هدم عرى الدين الإسلامي واضعاف يقين الناس بدينهم وعقيدتهم ، وجعل الناس يتشككون فيها وذلك لأن الشك فيه قد غزى واستعمر قلوبهم فأرادوا بذلك نقله للناس .

(١) فصوص الحكم لابن عربي (١١٣) .

(٢) الحسين بن منصور الحلاج من الباطنيين المتصوفة الغلاة كفره الكثير من العلماء وعلى ضوء ذلك سجن وجلد ثم قتل عام ٢٤٤ هـ انظر : اعلام الفلسفة روني الفا (١/٤٠٥) .

(٣) ظهر الاسلام : أحمد أمين (٦٤) دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ .

(٤) اخبار الحلاج : لويس ماسينيون (٧٠) باريس ١٩٣٦ م .

وكما عرفنا فيما سبق عن الشك المذهبي واعتماده على انكار المعرفة وجعلها نسبية من شخص لآخر ، فإننا وعند استظهار المعرفة عند الباطنية والصوفية لا نجد أثراً للشك الهادم بل إن القوم يدعون اليقين التام والتنقل بين مراتبه ويجعلون المعرفة الناتجة عن الولي أو الإمام هي أسمى معاني المعرفة والتي بها يمتلك العارف حقائق الظاهر والباطن ، ولكن هذا الشك المنهجي الذي يزعمون أنه أوصلهم إلى اليقين قد أدى بهم إلى شك اعتقادي نفس كما بينا عندهم المسلمات العقائدية فهجموا على مقام النبوة وصرحوا بوحدة الأديان وهذا يعني أنهم جمعوا بين الحق والباطن في موطن واحد ولم يميزوا بينهما وأدى بهم ذلك إلى التحلل من الأحكام الشرعية والقول بإسقاط التكليف .

الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين

وفيه تمهيد و مبحثان :

- تمهيد
- المبحث الأول / الشك المنهجي عند المفكرين المسلمين المحدثين .
- المبحث الثاني : الشك الاعتقادي عند المفكرين المسلمين المحدثين .

تمهيد :-

بداية وقبل الخوض في غمار هذا المبحث يجب علينا أن نعلم ونؤكد أن المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث هم في غالبيتهم متأثرين بالمدرسة العقلية الممتدة من الفلسفة اليونانية قديماً ثم مروراً بتجربة المعتزلة في الحضارة الإسلامية ثم انتهاء بالحضارة والثقافة الغربية العلمية التجريبية الحديثة .

ولذلك نجد في أطروحاتهم وآرائهم تشابهاً كبيراً مع تلك الثقافات السابقة الذكر، التي تُجمع على اطراح الوحي أو تأخيره عن مقام العقل .

وهذه المدرسة الفكرية الإسلامية الحديثة ليست مجتمعة تحت لواء أو جماعة واحدة بل هم أشتات وتوجهات يربطهم الدين الإسلامي ديانة ويختلفون في القرب والبعد عن تعاليمه بحسب تأثراتهم ومصادرهم التي يتلقون منها معرفتهم وثقافتهم .

وهم يمتدون في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وقد يطلق عليهم أحياناً المدرسة العصرانية^(١) الحديثة نسبة إلى كونهم في هذا العصر وينادون بتطويع الأمور الدينية

(١) حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى (اليهودية ، النصرانية والإسلام أيضاً)، والعصرانية في

الدين هي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي ، والثقافة المعاصرة ، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة . انظر العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب ، محمد حامد الناصر (٥ ، ٦) مكتبة الكوثر ، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، الدكتور ، عبدالرحمن الزبيدي (٩ ، ١٥) ، دار المسلم ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

والمعرفية وفق ما تقتضيه ثقافة وظروف العصر الذي نحن فيه ، وهؤلاء المفكرون لهم صدى مسموع في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وتضمهم جامعات ومعاهد ويستكتبون في مجالات وكبريات دور النشر في العالم الإسلامي خاصة وفي شتى بقاع الدنيا المختلفة لذا كان من الضروري أن ننظر في بعض نتاج هؤلاء المفكرين وذلك فيما يتعلق ببحثنا المتعلق بالشك ونبحث في نتاجهم عن مدى تواجده من عدمه في أبحاثهم ونتائجهم الفكري وسأعرض لذلك من خلال النقاط التالية:

المبحث الأول : الشك المنهجي عند المفكرين المسلمين المحدثين

كما مهدنا سابقاً أن المفكرين الإسلاميين يعتمدون على العقل اعتماداً كبيراً ويجعلونه في المقام الأول بالنسبة للمعرفة والوصول إلى الحقيقة وهم في هذا يسировون على خطى أسلافهم من المعتزلة الذي يجعلون النظر العقلي هو أول الواجبات المعرفية على الفرد المسلم بل اشتد بعضهم فجعل الشك هو أول الواجبات التي بها يصل الإنسان إلى المعرفة والحصول على اليقين .

وعندما نستعرض آراء أوائل المفكرين الإسلاميين والذين يقف على رأسهم الشيخ محمد عبده^(١) رحمه الله نجد أنه أولى النظر

(١) محمد عبده بن حسن التركماني ولد سنة ١٨٤٩م ، كان يميل الى مهادنة الاستعمار البريطاني ويتجأ الى إصلاح الناس عن طريق التعليم والتهذيب كان يبذل النصيحة للإنجليز ويرشدهم الى ما يوطد احتلالهم ، ولذا فان كرومر صرح بأن الشيخ سيظل مفتياً في مصر ماظلت بريطانيا العظمى ممثلة له ، صاغ برنامج الحزب الوطني المصري، يميل الى التأويل العقلاني العصري في القرآن والسنة ، وكان يميل الى تقديم العقل على نصوص النقل ، أنشأ جمعية دينية سياسية بهدف التقريب بين الأديان الثلاثة : الاسلام والنصرانية

العقلي أهمية بالغة ودعا إليه دعوات كثيرة ومتنوعة وكان دائماً ما يؤكد على تأسيس الاعتقاد على العقل وعلى النظر العقلي بل نجد انه يؤكد أن المقلد في دينه ليس بمستيقن وكل من ليس بمستيقن في الأصول فهو على ريب فيها^(١).

وفيما يتعلق باستخدام الشك المنهجي للوصول إلى اليقين اشتهرت عنه دعوته لممارسة الشك الذي يوصل إلى العلم ويكون مقويًا لليقين وحافزاً إليه وداعماً له، بل كان يدعو بالبحاح إلى ضرورة تجديد عقائدنا وتحفيزها حتى تلائم المتغيرات الواقعية^(٢).

وقد أتى من بعده طه حسين ونادى بإدخال الشك المنهجي على جميع المصادر الأدبية والتاريخية وعدم الإيمان بشيء منها حتى ندخل عليها منهج الشك زاعماً أنه أتى بهذا المنهج من ديكرات وعلى ضوئه جعل القرآن كتاباً أدبياً ودعا تلاميذه إلى نقده نقداً أدبياً وقامت على ضوئها معارك أدبية كثيرة بين طه حسين ومفكري عصره^(٣).

واليهودية. انظر تاريخ الأستاذ الامام محمد رشيد رضا: (١/ ٧٨، ٤٦)، مطبعة المنار، مصر بدون تاريخ وانظر أيضاً: خصائص التصور الاسلامي : سيد قطب دار احياء الكتب العلمية، ط: الثانية القاهرة ١٩٦٥ م.

(١) انظر : اعادة بناء علم التوحيد عند الاستاذ محمد عبده د / محمد صالح السيد (٣٠) دار قباء ١٩٩٨ م .

(٢) انظر : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده . د / عثمان أمين (٧٩) مكتبة الانجلو المصرية ط الثانية ١٩٦٥ م .

(٣) انظر : قضايا الأدب والثقافة والفن لأنور الجندي (٢٠١) دار الفضيلة بدون تاريخ .

وانظر أيضاً : الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية (٥٥) لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ

وأيضاً : في الفكر المصري الحديث : عزت قرني (١٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٥ م .

والذي يعاب على منهج طه حسين أنه لا يمكن تطبيق هذا النوع من التحقيق على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إضافة إلى أن طه حسين " كان الشك عنده هدفاً بحد ذاته ، ويثير الشبهة في النفوس الضعيفة أو التي لم يحط بأصول القضايا دون أن يقدم لها أي اجابة ، وهو منهج يختلف عن منهج الغزالي الذي عرفه الإسلام ، وبعيداً عن منهج ديكرت الذي كان يدعو إلى الخروج من دائرة الأساطير ، أما طه حسين فقد كان يرمي إلى اثاره الشبهات في وجه كل الثوابت والقيم والمقومات وخلق جو من القلق والاضطراب " (١).

المبحث الثاني : الشك الاعتقادي عند المفكرين المسلمين المحدثين :

نتيجة للعوامل العديدة التي أثرت في المدرسة الفكرية الإسلامية الحديثة فقد ظهرت عندها شطحات اعتقادية متعددة وانحرافات فكرية واضحة جداً لا سيما فيما يتعلق بالأمور الغيبية والأمور التشريعية فقد حصل منهم نوع من الإنكار والتشكيك سواء فيما يتعلق باعتقاد المفكر نفسه أو فيما يتعلق بمحاولته زحزحة يقين الناس وتشكيكهم في بعض القضايا التي قد يوهم في الظاهر تعارضها مع العقل، مع أنها من الأمور المتواترة والمصرح بها في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويمكن اجمال هذه الانحرافات في المجالات التالية :-

(١) كتاب العصر في ضوء الإسلام لأنور الجندي (٣٤) دار الفضيحة بدون تاريخ .

أ) إنكار الغيبيات :

لقد أنكر كثير من رواد هذه المدرسة كثيراً من المسائل الغيبية إما بشكل صريح أو بالتشكيك فيه، وبما أن هؤلاء المفكرين متأثرون بالحضارة الغربية الحديثة أشد التأثر فقد انطلقوا بهدف تقريب الإسلام من عقول الغربيين الماديين الذين يتخذون من المادة أساساً في الحياة ويطرحون ما عداها ويجعلونه من باب الخرافة والجهل ، فحتى لا يوصم الإسلام بهذه التهم من قبل الغربيين انطلق المفكرون ينكرون ويشككون في كثير من المسائل الدينية .

فهذا الشيخ محمد عبده يتأول الملائكة ويجعلها قوى وأرواحاً أودعها الله في الكائنات الحية ، وكذلك الشيطان ليس موجوداً أعلى الحقيقة، وإنما هو هاتف الشر وأنكر كذلك الجن والسحر وغيرها من الأمور^(١).

وهذا تلميذه محمد رشيد رضا^(٢) يتأول خروج الدجال ويجعله رمزاً فقط للقبائح والدجل والخرافات^(٣).

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: تحقيق محمد عمارة (١/١٧١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م

(٢) محمد رشيد رضا بن علي بن رضا، البغدادي الأصل الحسيني النسب ولد في طرابلس سنة ١٢٨٢ هـ ، ثم

رحل الى مصر عام ١٣١٥ هـ فاتصل بمحمد عبده وتلمذ عليه ، ثم أصدر مجلة المنار ، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، كان كثير الرحلات ، من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم ولم يكمله ، والإمامة العظمى ، الوحي المحمدي . انظر الأعلام للزركلي ، (٦/ ٣٦١ - ٣٦٢) ، معجم المؤلفين (٩/ ٣١٠ ، ٣١١) .

(٣) تفسير المنار (٩/ ٤٩٩) .

والشيخ محمود شلتوت يشكك في نزول عيسى آخر الزمان ويجعل الأحاديث التي تدل على ذلك أحاديث آحاد لا يصح الاحتجاج لها (١).

وأخيراً يأتي الشيخ محمد الغزالي فينكر سحر النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه شق صدره صلى الله عليه وسلم (٢).

ب) سوء الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم :

ولم يسلم مقام الله سبحانه وتعالى ومقام رسوله صلى الله عليه وسلم من سوء أدبهم ووصفهما بما لا يليق به سبحانه وتعالى وخذ مثلاً على ذلك بعض آراء حسن حنفي الذي يقول وبئس ما قال " انها لغة آلهية تدور الألفاظ فيها حول الله ، بل إن لفظ الله يحتوي على تناقض داخلي ، ولا يعبر عن معنى معين أي إنه صرخة وجودية ، فالله لفظة يعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح ، أي إنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً للواقع .. وإذا كان الله هو الذي يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز والرزق والقوت والإرادة والحرية " (٣)

تعالى الله عما يقول وعز جاهه سبحانه وتعالى وهذا الرجل الأنف الذكر بلغت به الجرأة بعد أن سأله أحد الصحفيين سؤالاً عن رأيه فيما ينعته به نقاده من محاولاته تفريغ الدين من محتواه وذلك بإلغاء ثوابه ومنطلقاته ومقدساته من الله إلى النبوة إلى الرسالة إلى

(١) التجديد في الفكر الإسلامي : عدنان محمد أمامة (٣٩٧) دار ابن الجوزي ، ط : الأولى ١٤٢٤ هـ .

(٢) فقه السيرة (٦٤) دار القلم ، دمشق ، ط : الثانية ١٩٩٦ م .

(٣) التراث والتجديد (١٢٩) القاهرة ١٩٨٠ م .

الوحي إلى الغيب فكان جوابه : إن الذي يقول به نقاده هذا هو تهمة لا ينفيتها وشرف لا يدعيه " (١).

أما النبوة فقد " فسروها تفسيراً مادياً يبعدها عن حقيقة الوحي الخارج عن حدود الإمكانيات والمعارف البشرية ويصفوها بالتقوى ومجاهدة النفس والاجتهاد في الطاعة والانقطاع للعبادة والبعد عن شهوات النفس ونزواتها ، وليس لها أي علاقة بالغيب أو العالم الأخرى ولذا فالنبي عندهم رديف تام لكلمة " مصلح " (٢).

وهذا ما نجده في كلام الشيخ محمد عبده عندما عرف النبي وأبعد عنه كل المفاهيم الإيمانية كالوحي والمعجزة وغيرها (٣).

وكذلك عباس العقاد الذي ألف كتاباً في عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم وأسماءه " عبقرية محمد " وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عبقرياً في كل نواحي الحياة التي يشاركه فيها كل عباقرة الدنيا ولم يشر أبداً لكونه نبياً يوحي الله سبحانه وتعالى إليه (٤).

(١) الوطن العربي العدد ١١٧٢ بتاريخ ٢٠/٨/١٩٩٩م نقلاً عن كتاب التجديد في الفكر الإسلامي د/ عدنان محمد أمامه (٣٨٩).

(٢) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال (٢٧٣) دار عالم الكتب ط : الأولى ١٤١٤-١٩٩٤ م .

(٣) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: تحقيق محمد عمارة (١/١٢١)

(٤) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال (٢٧٣)

(ج) وحدة الأديان :

وقد وقع في هذه الدعوى أعداد كبيرة من المفكرين الإسلاميين وذلك تمثيلاً مع الحضارة والتسامح الإنساني ومحاولة للتقرب من الغرب وثقافته بصفته الأقوى وهم هداهم الله مهزومون أمام الحضارة الغربية مولعون بتقليد الأقوى كما قال ابن خلدون " إن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن تغلب عليها وانقادت إليه (١).

ويأتي في مقدمة من وقع فيها جمال الدين الأفغاني (٢) حيث كان يقول " إن الأديان الثلاثة كلها أساسها واحد ، وإنما يوسع شقة الخلاف بينها اتجار رؤساء الأديان بها (٣).

ثم يأتي حسن الترابي فيقول " علينا أن نعيد تصنيف التقسيمات السابقة للأديان ونضعها في إطار معادلة جديدة دينيون وغير دينيون " (٤).

وهذا فهمي هويدي ينقل بإعجاب عن محمود أبي رية في كتابه " دين الله الواحد " أنه شهد مجلساً لبعض المشايخ ذكر فيه أن

(١) مقدمة ابن خلدون (١٦٢) .

(٢) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني ولد عام ١٨٣٩م اختلف في أصله فقيل انه من ايران وقيل من افغانستان له عدة نشاطات يدور حولها الكثير من الغموض أقام في مصر ثم نفي منها وتنقل بين باريس والهند وهو أستاذ الشيخ محمد عبده انظر : الأعلام للزركلي (٤/١٥٤) .

(٣) الفكر الإسلامي والتطور فتحي عثمان (١٤٦) نقلاً من كتاب التجديد في الفكر الإسلامي د/ عدنان محمد أمامه (٤٠٣) .

(٤) قراءات سياسية العدد ١١ - ١٢ سنة ١٩٩٣ - نقلاً عن المرجع السابق .

الكفار سيحرمون من دخول الجنة فقال أبو ريه : " وما قولكم في أديسون مخترع النور الكهربائي أجاب الشيخ أنه سيدخل النار فقال أبوريه مستكراً : بعد أن أضاء العالم كله ؟ " (١) .

وعلى هذا فقد نشط أكثرهم في مؤتمرات تقريب الأديان ومحاولة زعزة أصول الإسلام الثابتة حتى تتقارب وتذوب في الأديان الأخرى وهذا ولا شك ينم عن ضعف يقين بالله سبحانه وتعالى ومحاولة لتشكيك الناس وزعزعتهم عن التمسك بدينهم .

ويمكننا القول إن الشك المذهبي بتصوره السوفسطائي والبيروني الذي يجعل الإنسان لا يعرف شيئاً أو يجعل الحقائق نسبية قد بدأ وانتهى في عصرهم ولم يعد هناك من يمثله في الوجود الإنساني الحالي وبالنسبة للمفكرين الإسلاميين المحدثين فهم أبعد ما يكونون عن هذا النوع من الشك بل هم يؤمنون بالمعرفة الإنسانية ويؤمنون بالبراهين العقلية على شتى أنواعها ولذا فيمكننا القول بكل وضوح إنه لا وجود لهذا النوع من الشك عندهم .

الباب الثالث أسباب الشك وآثاره

وفيه تمهيد و فصلان :

- تمهيد
- الفصل الأول / أسباب ظهور الشك .
- الفصل الثاني / آثار الشك .

الفصل الاول : أسباب ظهور الشك .

تمهيد :

بعد أن بينا في الأبواب المتقدمة أن الشك المنهجي قد وجد

عند طوائف كثيرة من أرباب علم الكلام وبعض الفرق الأخرى ، وحيث إن هذه الطوائف هي في الجملة ممن ينتسب إلى الإسلام وكان لها أدوار مهمة ورائعة في الدفاع عن حياض الدين وأهله والوقوف ضد الهجمة الشرسة من قبل الملاحدة وغيرهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وحيث إنهم يعتقدون ما يعتقدونه المسلمون المتبعون في الجملة ولكنهم خالفوا في بعض القضايا الاعتقادية الأساسية والفرعية في ديننا وذلك يعود كما سنشير الآن وكما أشرنا سابقاً إلى تأثيرهم بالمناهج العقلية وطرقها المستمدة من الفلسفة وعلم الكلام واعتمادها على النظر والشك المنهجي الموصل إلى الحقيقة .

لذا فسنجد في أثناء بحثنا وتقيبنا عن أسباب ظهور الشك في بعض المعتقدات والأمور الدينية الشرعية تداخلاً وتقاطعاً كبيراً مع مناهجهم العقلية التي وضعوها وسيكون هناك تداخل مهم وضروري ولا بد منه في بعض الأسباب التي أدت إلى ظهور الشك المنهجي.

وأيضاً قد نجد تكراراً للأسباب التي أدت إلى ظهور الشك الاعتقادي في الشك المنهجي لكننا وإن أوردنا نفس السبب كعنوان أو بداية إلا أن المضمون والرؤية التي ننطلق منها لمناقشة المسألة ستختلف ولا بد ، وهذا ما يجعل دراستنا مقاربة ومتكاملة إن شاء

الله لأسباب ظهور هذين الشكين المتقاربين في الأسباب والنتائج وسنبداً أولاً بذكر أسباب الشك الاعتقادي ثم ننتقل الى الشك المنهجي أما بالنسبة للشك الهادم فلن نحفل به فهو ظاهرة بائدة ولدت ميتة وانتهت في عصرها ولم يعد لها وجود في التاريخ الإنساني وكان وجودها نتيجة لمشاغبات فكرية تهدف التشويش وإثارة نوع من القضايا التي ترفضها العقول والفطر السوية .

المبحث الأول : أسباب ظهور الشك العقائدي:

سبق وأن أشرنا في أنواع الشك الى أن هذا النوع من الشك يأتي على عدة صور منها الشك في المعتقد أو التشكيك فيه أو الانكار الصريح له ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت الى ظهور هذا النوع من الشك في الآتي :-

أولاً : الشك المنهجي واعتماده طريقاً للحقيقة :

سبق أن أشرنا في الباب الثاني لكثير من الاعتقادات التي تعتقدها بعض الفرق المنتسبة الى الإسلام والمفكرين الإسلاميين في العصر الحديث ولا حاجة لإعادتها هنا إلا عند اللزوم أو على طريقة الإشارة والتبين .

ولا شك أن اعتماد تلك الفرق على النظر العقلي أو الشك الفلسفي المنهجي كان سبباً رئيسياً في إنكارها أو تأويلها أو التشكيك في كثير من الأمور الشرعية والشك ومحاولة التوصل من النصوص التي وردت بها ، كل ذلك خوفاً من مخالفتها للقاطع العقلي ومخالف لقواعد النظر العقلي الذي اعتمده في تقريرهم لعقائد الربانية .

وسنستعرض بعض القواعد العقلية وكيف أنها أدت إلى إنكار بعض العقائد الإسلامية الشرعية التي أتت النصوص لتؤكدتها وتقررها.

فهؤلاء الأشاعرة أنكروا الكثير من الصفات بحجة أن النظر العقلي يمنع حدوثها في آحادها ، لأن الله ليس محلاً للحوادث ومع ذلك فقد وقعوا في الاضطراب لأنهم لا يمكن أن ينكروا حدوث صفات المعاني حسب مشيئة الله تعالى وقدرته ، ففروا إلى التعلقات التي ابتدعوها (١) .

وكذلك المعتزلة بحجة أن إثبات الصفات لله يؤدي إلى المماثلة وتعدد القدماء كما يزعم النظر العقلي عندهم فأدى بهم إلى إنكار الصفات مع تناقضهم بإثبات الأسماء (٢) .

وفي قياس المتكلمين جميعاً الغائب على الشاهد الذي أوقعهم في مشابهة الله في صفاته سبحانه وتعالى وذلك مراعاة منهم للأقيسة العقلية التي ابتكروها وأعرضوا عن صحيح النصوص الإلهية والنبوية على صاحبها صلوات الله وسلامه .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — (المتكلمون والفلاسفة كلهم على اختلاف مقالتهم هم في قياس الغائب على الشاهد مضطربون كل منهم يستعمله فيما يثبتته ، ويردّ على منازعه ما استعمله في ذلك ، وإن كان قد استعمل في موضع آخر ما هو دونه .

(١) انظر الصواعق المرسلّة : ابن القيم (١/ ٣٥٢) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٢) .

وسبب ذلك أنهم لم يمشوا على صراط مستقيم ، بل صار قبوله وردّه هو بحسب القول لا بحسب ما يستحقه القياس العقلي ، كما تجدهم أيضاً في النصوص النبوية كل منهم يقبل ما وافق قوله ، ويرد منها ما خالف قوله ، وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث فحالهم في الأقيسة العقلية كحالهم في النصوص السمعية لهم في ذلك من التناقض والاضطراب ما لا يحصيه إلا رب الأرباب " (١) .

وبما سبق تقريره وتوضيحه يتضح لنا ان النظر والشك المنهجي ذاته كان سبباً وعاملاً رئيسياً في انتشار الشك والتشكيك والإنكار والتأويل لكثير من الاعتقادات خاصة فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى لدى تقريرها من المتكلمين .

ثانياً : التأثير بالثقافة اليونانية :

إن ظهور الشك الاعتقادي لدى الكثير من الفرق الكلامية يعود إلى تأثرها بشكل مباشر بالثقافة اليونانية .

فبالإضافة إلى التأثير الكبير في مسألة تقديم العقل على النقل وتغليب الأقيسة المنطقية واتباع أساطين وفلاسفة اليونان في تقديس العقل واختراع الأحكام العقلية البعيدة كل البعد عن الشرع والدين ، بالإضافة لهذا كله نجد عندهم تقليداً مباشراً لليونان في نفي بعض الاعتقادات والشك فيها والارتباب والتناقض في إثباتها مع حجة النصوص الصريحة في ذلك مما يدل كما أسلفنا مراراً على ضعف

(١) مجموع الفتاوى (١/٢٢٦).

وتسرب الشك إلى كثير من المعتقدات الشرعية والأصول الدينية
المعتبرة.

فمن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - بقوله :
" وأكثر الفلاسفة من أتباع أرسطو وغيره مع الجمهور يقولون " :
إن الإمكان لا يعقل إلا في المحدثات ، وأما الذي ادّعى ثبوت
ممکن قديم فهو ابن سينا ^(١) ، ومن وافقه ، ولهذا ورد عليهم في
إثبات هذا الإمكان سؤالان لا جواب لهم عنها " .

والرازي لما كان مثبتاً لهذا الإمكان موافقة لابن سينا كان
في كلامه من الاضطراب ما هو معروف في كتبه الكبار والصغار
مع أن هؤلاء كلهم يثبتون في كتبهم المنطقية ما يوافقون فيه سلفهم
أرسطو وغيره : أن الممكن الذي يقبل الوجود والعدم لا يكون إلا
حادثاً كائناً بعد أن لم يكن ^(٢) .

وأيضاً من صور التأثير بالثقافة اليونانية مسألة القدر وحرية
الإرادة في الفكر الإسلامي التي اختلفت فيها طائفتان من أهل الكلام
هم الجهمية الجبرية والمعتزلة القدرية ، وهم جميعاً متأثرون
بمدرستين من أهم المدارس اليونانية وهما :

(١) ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا من "بلخ" إحدى قرى بخارى ولد عام ٣٧٥هـ - طيب
وفيلسوف

من القرامطة الباطنيين من أبرز مؤلفاته (الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتسيهات) . انظر الأعلام
للزركلي (٢/ ٢٤١) .

(٢) درء تعارض بين العقل والنقل : ابن تيمية ، (٣ / ١٤٠) .

المدرسة الرواقية : القائلة بالإرادة الحتمية الاضطرارية التي تجعل الإنسان لا يفعل باختياره ومشيبته وإنما يفعل الفعل وهو مضطر إليه .

والأخرى المدرسة الأبيقورية : القائلة بأن الإنسان حر في إرادته ونظرته الاختيارية وهو حر في إيجادها وإحداثها (١) .

وفي هذا الباب تطرف بعض الغلاة من المعتزلة فأنكروا سابق علم الله بفعل العباد وهو مذهب أغلب فلاسفة اليونان الذين ينكرون علم الله سبحانه وتعالى وهي من أعظم المسائل التي كفر بها أهل الإسلام عباد الأوثان من فلاسفة اليونان (٢) .

ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في أجزاء كبيرة من مؤلفاته يربط بين مقالات نزار المعتزلة والأشاعرة ويبين أن الكثير من أصولهم مستمدة ممن قبلهم من الفلاسفة اليونان والمتبع لإرائهم في باب القضاء والقدر لا يجدها تخرج أبداً عن آراء أفلاطون وارسطو الذين تناقضوا في هذا الباب فقالوا تارة بالحرية التامة وتارة بالجبر التام وليس المقام هنا مقام التوسع في مذهبهم وتقريره بل يكفينا الإشارة إلى تأثر أهل الكلام بهم في هذه العقيدة (٣) .

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، (٢١٩) وانظر أيضاً القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة د/ عبدالرحمن محمود (٧٥-٧٦) دار النشر الدولي الرياض ط الأولى ١٤١٤-١٩٩٤ م .

(٢) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (٥٦) تقديم وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣) انظر موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها للدكتور صالح الغامدي (٣٤٣) مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٤-٢٠٠٣ م

وانظر ايضاً : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لحمد علي أبو ريان (٣٥٧) دار المعارف الجامعية

ولو انتقلنا للفرق الباطنية من الصوفية والإسماعيلية لوجدنا كثيراً من المعتقدات التي يعتقدونها أو المعتقدات التي أنكروها وشكوا فيها تتبعت انبعثاً واضحاً من الثقافة اليونانية التي كانوا متأثرين بها أشد التأثير .

فلو استعرضنا **الصوفية** نجد أنهم تأثروا في معتقداتهم وإنكارهم للمعتقدات الدينية بالثقافة اليونانية من أطراحهم للمعرفة الشرعية الدينية واستبدالها بالمعرفة الإشرافية القائمة على الذوق والمشاهدة فنجدهم متأثرين بالغنوصية ^(١) اليونانية التي أبرزت هذه العقيدة وحثت عليها وقامت عليها مدارس فلسفية يونانية . ولذلك نجد ابن تيمية – رحمه الله – ينسب الفكر الإشرافي عند **السهروردي** ^(٢) الصوفي إلى الأفلاطونية الحديثة والغنوصية فنجده يقول عنه : (كذلك السهروردي الحلبي المنقول كلامه في الباطن يأخذه من عادة الفلاسفة الصابيين الغنوصية وبهذا يتميز عن غيره

الاسكندرية ط الرابعة ١٩٨٥م

(١) المذهب الغنوصي : والغنوسيس كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة، ثم أخذت بعد ذلك معنى آخر اصطلاحياً وهو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا وتذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن يلقي في النفس، ولا يستند على الاستدلال أو البراهين العقلية . انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار (١/ ١٨٧، ١٨٦) دار المعارف ١٩٧٨ .

(٢) شهاب الدين بن يحيى ولد عام ٥٤٩هـ ولد في سهرورد، من الفلاسفة الإشرافيين ممن تأثر بفلسفة اليونان

دخل في مناظرات مع فقهاء حلب ومن ثم اشتكوه لصالح الدين الأيوبي الذي أمر بقتله عام ٦٣٢م انظر: أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/ ٥٤٧) .

من الفلاسفة المشائية ، ولهذا يعظم الأنوار" (١) وقد عده ابن تيمية ممن يفضل الولي على النبي ، وممن يرى أن النبوة مكتسبة (٢) .

وهو وكثير من غلاة المتصوفة يرون (أن النبوة فيض دائم ومستمر ، وأنها سلسلة دورية تعاقبية لا تتقطع ، ومن ثم فالأنبياء لا ينقطعون ، وزعموا أن السلسلة الدورية تتفاوت في الكمال ، فكل حلقة منها تكون أبهى من التي سبقتها وأعلى درجة وكمالاً منها) (٣) .

وفي دعواهم وحدة الأديان يشير الكثير من الباحثين إلى أن هذه الدعوة تنهل من الفيثاغورية والأفلاطونية والأفلاطونية المحدثثة والرواقية والأبيقورية مع ما أمدتهم به دعوة الغنوصية من ميل إلى الجمع والتفريق (٤) .

ونختم حديثنا عن الصوفية بالإشارة إلى انحرافهم مع جناب الألوهية والربوبية فأدى بهم إلى إنكار توحيد الله الخالص وإشراكهم معه آلهة وأرباباً أخرى كما هو المنهج اليوناني المتبع مع هذه القضايا وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عنهم : " إن العقل الأول - عندهم - صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك ، وعن العقل عقل ونفس وفلك إلى العقل

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد (١١) تحقيق موسى بن سليمان الدرويش مكتبة العلوم والحكم ط: الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، (٩٣) .

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، د . عرفان عبد الحميد ، (٩٩) .

(٤) انظر المرجع السابق (٩٢) ، وانظر : أيضاً دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (٤٤) وما بعدها .

الفعال ، فإنه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ،
ويسمون هؤلاء الأرباب الصغرى والآلهة الصغرى" (١) .

ويؤكد هذا القاضي ابن العربي (٢) فيقول : " وأما قولهم
في الفعل ، فذلك هو الداء العضال ، هو المبدأ عندهم الذي عن ذاته
صدر الكل عن عقل بسيط ومركب وكرة ومربع وحرار ورطب
وبارد ويابس ... وقد تبين لكم أن هذه أسماء لا فائدة تحتها ،
وتهويلات لا طائل وراءها" (٣) .

وبغض النظر عن مقصودهم بهذا العقل وهل يقصدون به
الله سبحانه وتعالى أم غيره ، لكن الذي يهمنا هنا الإشارة إلى
التطابق التام مع ألفاظ ومناهج الفلاسفة اليونان وبالنتيجة اتفاهم
معهم على التشكيك في توحيد الله وإفراده بالربوبية المفردة ، وشكهم
الاعتقادي الخطير في كون الله سبحانه فرد صمد هو الخالق وحده
وهو المدبر وحده (٤) .

أما الباطنية الإسماعيلية فيكاد التطابق الذي بينهم وبين
الكثير مما يعتقد الفلاسفة اليونان يجعلك تجزم أنهم ينبعون من منبع
الجهل الواحد والبعد عن هدي الله ووحيه وقد صرح اخوان الصفا

(١) بغية المرتاد : ابن تيمية (٢٨) .

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المحدث الفقيه المفسر الأديب من أبر مؤلفاته : (أحكام القرآن
، الأحكام الصغرى) وغيرها انظر : الأعلام للزركلي (٢٣/١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير
(٢٢٨/١٢)

(٣) العواصم من القواصم : ابن العربي (١٧٩) ، المكتبة العلمية بيروت ، لبنان .

(٤) انظر بغية المرتاد : ابن تيمية (٥٤) .

في إحدى رسائلهم بقولهم : " إن علومنا مأخوذة من أربعة كتب
أولها : الكتب المصنفة على أسنة الحكماء والفلاسفة " (١) .

ولهذا عندما تراهم يشكون في صفات الله أو ينكرونها تجد
أن ذلك نابع من التأثر الواضح بالثقافة اليونانية ، ولهذا فعندما سئلوا
: كيف خلق الله هذه المخلوقات وليس له صفة يخلق بها - كما
زعمتم -؟! قالوا ليس هو الذي باشر خلقها ، وإنما خلقت بواسطة
" العقل الكلي " الذي أبدعه الله ، وأعطاه جميع أسمائه وصفاته .

والعقل الكلي - هذا - له عند الإسماعيلية منزلة عظيمة ،
فيطلقون عليه أيضاً اسم " المبدع الأول " أو " السابق " لكونه كان
الأسبق إلى توحيد الله بزعمهم وهو - بزعمهم - " العقل الكلي ،
انبثقت " النفس الكلية " أو " المبدع الثاني " ، " التالي " المرموز إليه
في القرآن بـ " اللوح المحفوظ " (٢) .

والإسماعيلية عندما يجعلون العقل الكلي ممثلاً أرضياً
تنطبق عليه وتتصرف إليه سائر أسمائه وصفاته ، التي هي - في
الأصل - أسماء الله تعالى وصفاته فهم بهذا يتمثلون نظرية " المثل
" اليونانية والأفلاطونية بالتحديد والتي تنص على أن الحدود
الروحانية في السماء يمثلها حدود جسمانية في الأرض (٣) .

(١) رسائل إخوان الصفا (٤ / ٤١) .

(٢) انظر : مقدمة مصطفى غالب - الإسماعيلي - على كتاب إثبات الإمامة للنيسابوري - الإسماعيلي ،
(١٧) نقلاً من كتاب : دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية : عبد القادر صوفي ، (١٠٢) ،
دار أضواء السلف ، ط الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

(٣) انظر : المرجع السابق (١١١) .

وبسبب معتقدتهم هذا ذهبوا إلى أن "العقل الكلي" في العالم العلوي يقابله "الإمام الإسماعيلي" في العالم الجسماني لذلك قالوا إن صفات "العقل الكلي" كلها هي أيضاً صفات للإمام ، لأن الإمام "مثل" للعقل الكلي (١) .

خاصة إذا علمنا أن من أهم صفات الإمام الإسماعيلي هو : الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، المنتقم ، الجبار (٢) .

وفي النبوة يكاد يقترب معتقدتهم من مذاهب الفلاسفة الوثنيين ، فالنبوة عندهم فيض والله تعالى ليس هو مرسل الوحي إلى الأنبياء وإنما العقل الفعال " السابق " بل إن النبي عندهم شخص فاضت عليه من السابق " العلة " قوة قدسية بواسطة التالي " المعلول " بل إنهم يزعمون أن هذه القوة الفائضة على النبي لا تكون كاملة في بدء حلولها ، كحال النطفة في الرحم ، لا تكتمل إلا بعد تسعة أشهر ، وإنما تكتمل هذه القوة — على حد زعمهم — بعد انتقالها من الرسول — المسمى بالناطق — إلى الإمام المسمى — الصامت — فالإمامة إذن عندهم مكتملة للنبوة (٣) .

بل إنهم يعتقدون أن النبي لم يبين لأمته البيان الشافي وليس مبعوثاً بأعظم الشرائع ولاشك أنه ليس هناك امتهان لمقام النبوة أكثر من هذا والتي تعتبر الثقافة اليونانية هي مصدرهم في كل هذه

(١) انظر: إثبات القيامة للنيسابوري (٥٣) نقلاً عن دراسات منهجية لبعض الرافضة والباطنية : عبد القادر صوفي، (٣).

(٢) انظر طائفة الدرروز : حمد كامل حسين (٨٧) دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٦٨ م .

(٣) انظر فضائح الباطنية: الغزالي ، (٤٠ — ٤١) اعتنى به : محمد علي القطب المكتبة العصرية ، بيروت .

التشكيكات التي أغروا بها من قل إيمانه وقلت بصيرته من ضعاف الإيمان .

وحتى تشكيكهم في الملائكة وفي جبريل على وجه التحديد فإنهم ينبعثون من ثقافتهم الفلسفية اليونانية حيث هو عبارة عن العقل الفائض على النبي لا أنه صاحب الوحي الملك المرسل من الله سبحانه وتعالى (١) .

ونختم في إشارتنا لبعض اعتقادات الباطنية الإسماعيلية المشككة في الدين والشاكة في ذاتها المنكرة لوجودها بالتعريج على مذهبهم في إنكار المعاد والارتياح فيه والذي يهمننا هنا أن نؤكد أن مذهبهم هذا منبثق من تأثرهم بثقافة أثينا اليونانية حيث يجعلون **المعاد**: هو رجوع كل شيء إلى أصله ، ويعني رجوع الجسم إلى الأخلط الأربعة ، وعودة أرواح المؤمنين – منهم إلى العالم الروحاني الذي منه انفصالها (٢) .

وبعد التعريج والإشارات المختصرة على بعض الاعتقادات التي حصل التشكيك فيها عند بعض الفرق الإسلامية ، اتضح لنا كما أسلفنا سابقاً الدور الكبير الذي أثرته الثقافة والفلسفة اليونانية في هذه الفرق فهذا ما يؤكد اعتقادنا أن هذا سبب خطير في شيوع الشك الاعتقادي وذلك أنهم اضطربوا في تقرير مسائل شرعية من أصول الدين التي لا يسع الخلاف فيها أو مخالفة صريح النصوص فيها .

(١) انظر المرجع السابق (٤٥) .

(٢) انظر: فضائح الباطنية ، (٤٥) .

ثالثاً: تقديم العقل على النقل :

العقل نعمة عظيمة وهبها الله سبحانه لإنسان لتكون عوناً له على الهداية والتفكير السليم لكن هذا العقل له مرتبة وطاقة لا يمكن له أن يتجاوزها لأنه حينئذ سيكون تجاوز اختصاصه وحجمه وحين يدخل العقل في غير تخصصه يظهر انحرافه وميله عن الطريق الصحيح ولذلك فقد أدى تقديم العقل على النقل عند الكثير من الفرق الكلامية الإسلامية إلى ظهور الشك الاعتقادي من حيث ما أشرنا إليه سابقاً من الإنكار والشك في الكثير من الاعتقادات الإسلامية التي ادّعوا أن العقل يرفضها أو لا يمكن أن تكون مناسبة للأقيسة العقلية مع أننا لا نغفل أنهم انبروا للدفاع عن العقيدة الإسلامية واستخدموا سلاح العقل والأدلة العقلية لتقرير مسائل الدين وقد يكونون مصيبين لكن إذا استخدموا العقل في المجال الصحيح الذي به يكون ناصراً للدين وللحقيقة وأبرز مجال للعقل في هذه المسألة هو التعرف على الله من خلال النظر في الكون وفي خلق الله المبهر وكل ذلك وفق هداية الوحي والنصوص الربانية فإن العقل لا قوة له في مجال العقيدة وعالم الغيب سوى في الاستدلال العقلي عليها وإظهار الاحتياج إليها والتسليم التام لكل ما يقدمه الوحي .

ويجب أن يبتعد العقل من أن يكون حاكماً على النصوص ، وهذا من الأخطاء المنهجية التي وقع فيها أرباب الفلسفة وعلم الكلام لأن العقل في هذا المجال لا يستطيع أن يكون نداً للنقل فكيف يكون حاكماً عليه بل يقول الدكتور/ راجح الكردي (ان أقصى ما يستطيعه أن يتحرى ثبوت النفي أولاً ، ثم يدرك دلالة النص على ما

يدل عليه من حيث أنه قاطع في دلالاته وانطباقه على معناه أو أنه ظني في هذه الدلالة ، وله كذلك أن يطلب العلة في الحكم إذا كان من الأحكام المنصوص على العلة فيها أو جعلت مما يستطيع العقل ضبطها بالاجتهاد ، ولكن من خلال النصوص لا بالعقل وحده . وما لا يستطيع ضبطها فإنه يقف عند ذلك الحد ، إذ العلة أصلاً في التشريع كله العبادة و الاختبار والابتلاء . والعقل كذلك محجوب عن إدراك الذات الإلهية وحقيقة عالم الغيب وتفاصيله وحقيقة خيرية الأشياء وشريتها ، وعاجز كذلك عن إدراك أسرار المشيئة الربانية وحقيقة الصفات العلية ، ولا يصح له أبداً أن يدخل هذه الأمور في قوالب التفكير العقلي الفلسفي) (١) .

ويؤكد ما سبق ما قرره الغزالي في تجربته الشكية في المنقذ حيث قال : " إن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات " (٢) .

وأهل الكلام عندما غالوا في أمر العقل وجعلوه مقدماً على ما يقرره الوحي وحاكماً عليه ظهر عندهم الشك الاعتقادي وتزعزعت عندهم بعض العقائد التي يقررها الوحي وانبروا لهذه النصوص النبوية والعقائد الإلهية يؤولونها ويشكون فيها جاعلين القواعد العقلية هي الأساس الذي يبنون عليه منهجهم .

وهؤلاء قصرُوا أنفسهم على العقل وتقريراته ومن ذلك عدم إمكان خرق العادة وهي اللازم والقانون العقلي الذي أدى بهم إلى

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والسنة : راجح الكردي ، (٦٥٤ - ٦٥٥) مكتبة المؤيد ، ط : الأولى

١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

(٢) المرجع السابق (٥٧) .

إنكار الكثير من الاعتقادات مع عدم اعتبار النصوص الواردة في ذلك ، وقد ناقشهم **الشاطبي** (١) - رحمه الله - وبين في معرض رده عليهم أنه إذا وجد في الشرع أخباراً تقتضي ظاهراً " خرق العادة الجارية المعتادة " فلا ينبغي للعبد أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق بل له سعة في أحد أمرين :

الأمر الأول : إما أن يصدق به على حسب ما جاء ويكل علمه إلى عالمه .

الأمر الثاني : أن يتأوله على ما يمكن حمله عليه مع الإقرار بمقتضى الظاهر وأورد - رحمه الله - بعض الأمثلة من الاعتقادات التي نفوها بناء على القانون العقلي الذي يقضي بعدم إمكانية خرق العادة وسنعرض لها باختصار .

١ - **مسألة الصراط :** فإن الصراط ثابت والجواز عليه

قد أخبر الشارع به فنحن نصدق به لأنه إن كان كحد السيف وشبهه لا يمكن استقرار الإنسان فوقه عادة فكيف يمشي عليه ؟ فالعادة تخرق حتى يمكن المشي والاستقرار ، والذين ينكرونه يقفون مع العوائد ويتركون أصل الصراط ، ولا يلتفتون إلى إمكان انخراق العوائد ، فإن خرقوا صار ذلك تحكماً ، لأنه ترجيح أحد المثليين دون الآخر من غير مرجح عقلي ، وقد صادفهم النقل فالحق الإقرار دون الإنكار .

(١) إبراهيم بن مسعود بن محمد الغرناطي المالكي ، عالم أصولي ، له مصنفات كثيرة من أهمها "الإعتصام" توفي عام ٧٩٠هـ - انظر : الأعلام للزركلي (١/٧١) .

٢ _ **مسألة الميزان** : إذ يمكن إثباته ميزاناً صحيحاً على

ما يليق بالدار الآخرة وتوزن فيه الأعمال على وجه غير عادي ،
نعم يقر العقل بأن أنفس الاعراض وهي الأعمال لا توزن وزن
الموزونات عندنا في العادات وهي الأجسام ، ولم يأت في النقل ما
يعين أنه كميراننا من كل وجه أو أنه عبارة عن الثقل أو أنفس
الأعمال توزن بعينها .

٣ _ **مسألة عذاب القبر** : وهي أسهل ولا بُعدَ ونكير في

كون الميت يعذب برد الروح إليه عارية ثم تعذيبه على وجه لا يقدر
البشر على رؤيته لذلك ولا سماعه فنحن نرى الميت يعالج سكرات
الموت ويخبر بالآلام لا مزيد عليها ، ولا نرى عليه من ذلك أثراً ،
وكذلك أهل الأمراض المؤلمة ، وأشبه ذلك مما نحن فيه مثلها .

٤ _ **مسألة سؤال الملكين للميت وإقاعده في قبره** :

فإنه إنما يشكل إذا حكمنا المعتاد في الدنيا ، وقد تقدم أن تحكيمة
بإطلاق غير صحيح لقصوره ، وإمكان خرق العوائد ، إما بفتح
القبر حتى يمكن إقاعده أو بغير ذلك من الأمور التي لا تحيط
بمعرفتها العقول .

٥ _ **مسألة تطاير الصحف** : وقراءة من لم يقرأ قط ،

وقراءته إياه وهو خلف ظهره ، كل ذلك يمكن خرق العوائد ،
فيتصوره العقل على وجه منها .

٦ _ **مسألة إنطاق الجوارح** : وهي شاهده على صاحبها

لا فرق بينها وبين الأحجار والأشجار التي شهدت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

وبعد هذه الجملة من الاعتقادات الدينية الشرعية التي شكك
وأنكر المتكلمون حدوثها نعلم أن استخدامهم للعقل وتحتيته هو الذي
قادهم إلى سلوك هذا المسلك بعيداً عن نور الوحي وهديه .

المبحث الثاني: أسباب ظهور الشك المنهجي

وفي هذا المبحث سنعرض لأبرز العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهور الشك المنهجي :-

ويمكن أن نجملها في الأسباب التالية:-

أولاً : التأثير بالثقافة اليونانية :-

لا شك أن الإسلام قد حث أتباعه على الحكمة وإتباع كل سبيل يقود إلى العلم والمعرفة ، ولم يقف جامداً في وجه الثقافات والحضارات الأخرى بل حث على الاحتكاك بها والاستفادة من كل مخرجاتها بما لا يتعارض مع ديننا وشرعنا .

والحضارة اليونانية تعد من أقدم الحضارات العالمية ومن أغزرها إنتاجاً وتنوعاً ، وقد كان لحركة الترجمة الدور الأبرز في إظهار التراث اليوناني ونقله إلى العالم الإسلامي .

ومهما اختلفت الدوافع والمبررات من جراء هذه الترجمة واختلاف وجهة نظر أهل العلم والتحقيق منها ما بين مادح مثنٍ عليها وما بين متشكك ومحذر من ظهورها وجعلها مدخلاً للطعن في ثوابت الدين وإلهاء للناس عن المصادر النقية الأصيلة والمتمثلة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومع كل هذا إلا أنها أسهمت وبشكل كبير في توسيع المدارك وتحريك الراكد الفكري داخل المجتمع الإسلامي وقامت مدارس كلامية وفكرية للتصدي وللدفاع عن هذه الثقافة اليونانية الوافدة .

و لم يقتصر تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي فقط بل كان لها تأثير بالغ في الديانة اليهودية والديانة النصرانية ، ويتجلى ذلك في المظاهر الوثنية التي كانت من أشهر ما امتازت به حضارة اليونان وذلك من خلال عبادة الشمس والكواكب والطبيعات من الهواء والماء والنار والطين وغيرها^(١) .

وما تركوه من تماثيل وأصنام ناهيك عن توالد الآلهة وتعددتها والتي نجدها واضحة في النصرانية وما نتج عن هذه الوثنية من مظاهر التجسيد والتشبيه كما هو واضح عند اليهودية .

ونجد أن ابن القيم — رحمه الله — يصور هذا المعنى تصويراً واضحاً فيقول : " وهم — أي فلاسفة اليونان — فرق شتى لا يحصيهم إلا الله ... فمنهم أصحاب الرواق ، وأصحاب الظلمة ، والمشائون وهم شيعة أرسطو وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس ... وبالجملة فملاحظتهم هم أهل التعطيل المحض فإنهم عطلوا الشرائع ، وعطلوا المصنوع عن الصانع ، وعطلوا الصانع عن صفات كماله ، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه ، فعطلوه عن مبدئه ومعاده ، وعن فاعله وبانيه ، ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم ... وفي بني إسرائيل دخل الداخل على بني إسرائيل بعد وفاة موسى ورفع التعطيل رأسه بينهم وأقبلوا على علوم المعطلة — وهم الفلاسفة — أعداء موسى وقدموها على نصوص التوراة ... وأقام الله تعالى للمسيح أنصاراً دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه ودخل فيه الملوك وانتشرت دعوته واستقام الأمر

(١) انظر الفلسفة القديمة : عباس عطيتو ص (٢٦٧) .

انظر أيضاً : مدخل إلى الفلسفة بنظرة إجتماعية عبدالمجيد عبدالرحيم ص (١٨٦) .

على السداد بعده نحو ثلثمائة سنة ، ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام ، وراحوا بذلك يتلطفون للأمم حتى يدخلوها في دين النصرانية فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل لها ، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل، إلى القول بإتحاد الأب والابن وروح القدس ...»^(١) .

وبهذا نعلم مدى التأثير الذي أثمرته هذه الفلسفة وهذه الحضارة على قطاع كبير من الحضارات والديانات المختلفة وفي فكرنا وديننا الإسلامي ظهرت طائفة من المنتسبين للإسلام تقديس الفكر اليوناني وترى أنه هو الطريقة والنور التي يمكن أن يوصل الإنسان إلى السعادة ويمنحه الأمان في مسيرته وحياته وولت وابتعدت عن هدي الله ورسوله واجتهدت اجتهاداً كبيراً في التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين الإلهي السماوي ووقعت في حيرة بين حبها وعشقها واقتناعها باليونان وحضارته وبين بقائها منتسبة للإسلام ولو في الظاهر فاجتهدوا أولاً في الإلمام بالفلسفة اليونانية تعلماً وترجمة ، ثم اجتهدوا في نشرها وشرحها وإدخالها بين المسلمين .

(١) إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان : ابن القيم ، (٢ / ٣٨١) تحقيق: مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ويعتبر الفارابي^(١) وابن سينا هم أكثر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام تأثراً ونشراً لمؤلفات اليونان وبالذات مؤلفات ارسطوطاليس^(٢).

أما فيما يتعلق بالمدارس الإسلامية الكلامية فقد تأثرت كذلك بالفلسفة اليونانية تأثراً واضحاً وجلياً سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وتأتي فرقة **المعتزلة** على رأس القائمة بل ان بعض الباحثين يجعلها أولى المدارس الكلامية المتأثرة بالفلسفة اليونانية^(٣) ، وهذا ليس بمستغرب فإن لها نزعة عقلية جريئة وتعاملاً جافاً وقاسياً مع النصوص الشرعية .

والباحث في تراث المعتزلة وفي مؤلفات زعمائهم يجد اطلاعاً وتأثراً واضحاً منهم باليونان وفلسفتهم بل حتى بأفكارهم وبعض معتقداتهم كما بينا ذلك في المبحث السابق .

والأشاعرة تأثرت بالفلسفة اليونانية مثل المعتزلة ويبرز ذلك في بعض أتباعها ولاسيما المتأخرين منهم كالرازي الذي شرح أغلب مؤلفات ابن سينا والذي كان متأثراً أشد التأثر باليونان كما أسلفنا سابقاً ، بل إن الناظر في كتب أهل الكلام من الأشاعرة يجدها مختلطة اختلاطاً تاماً بالفلسفة وأفكارها^(٤) .

(١) محمد بن الفارابي الفيلسوف صاحب التصانيف المشهورة برع في علوم مختلفة وكان متأثراً جداً بالفلاسفة اليونان وخاصة فلسفة أرسطو وأفلاطون انظر : اعلام الفلسفة : روني ألفا (١/١٢٩).

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ابن القيم ، (٢ / ٧٢) وانظر الرد على المنطقيين : ابن تيمية ، (١٤١).

(٣) مدخل على علم الكلام : أحمد صالح السيد ، (١٢٨) ، دار قباء للطباعة والنشر ٢٠٠١ م .

(٤) انظر المرجع السابق ، (١٤١) .

وإذا أدركنا حجم التأثير الذي أثمرته الثقافة اليونانية على الفرق الإسلامية في شتى المجالات الاعتقادية والمنهجية علمنا أن مجال الشك والنظر العقلي واعتباره الطريق الوحيد الموصل إلى الحقيقة هو من أوائل المناهج الذي دخلها التأثر والمحاكاة باعتباره يتعلق بمجال المعرفة وهي من أوائل المباحث التي تقرر في مناهج الفرق الإسلامية وذلك باعتباره أول الواجبات المطلوبة من الفرد المسلم فلذلك مسها التأثر والتأثير بشكل واضح وجلي لكل باحث ومتابع للتراث الفكري لهذه الفرق الإسلامية.

ثانياً : الثقة المطلقة بالعقل :-

وهذا السبب يعد من أهم الأسباب الجوهرية في وجود الشك المنهجي ، حيث ان الشك المنهجي والنظر قائمان في الأساس على العقل وما حدده النظار من الفلاسفة والمتكلمين من قواعد وقواعد عقلية تحمي مراعيها من الوقوع في الخطأ والارتياب .

ونحن إذ نعرض لهذا الجانب لا نلغي دور العقل ولا نهمله فلا شك أن شريعة الله في الأرض لا تقوم إلا بالعقل والعقلاء ، أما الذين فقدوه أو سلب منهم فقد جاء الشرع برفع التكليف عنهم وعدم مطالبتهم إلا بما يعقلون من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن يجب أن يعلم كما قرر أهل السنة والجماعة أن للعقل مرتبة يقف عندها ولا يتجاوزها فيه يفهم الإنسان أمور الدين لأن الله الخالق للعقل جعل له وظيفة وكلف الناس أن يستخدموا عقولهم فيما خلقها الله لهم ، ولهذا فإن كلمة (يعقلون) تكررت في القرآن الكريم اثنتين وعشرين مرة وكلمة (تعقلون) تكررت أربعاً

وعشرين مرة ، وقد أمرنا الله بالتدبر والتفكير في خلق الله فقال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} (١) .

وقد خاطب القرآن الكريم أصحاب العقول وحثهم على التفكير فيما يقدر عليه فقال تعالى : {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢) .

أما الأمور التي لا تخضع لعالمنا المادي وهو ميدان الغيبيات فلا يستطيع العقل أن يحكم عليها لأنها تخرج عن دائرته واختصاصه (٣) .

ويؤكد هذا المعنى سيد قطب بقوله : " والمنهج الصحيح في التلقي عن الله ، هو ألا يواجه العقل مقررات الدين الصحيحة بعد أن يدرك المقصود بها بمقررات له سابقة عليها ، كونها لنفسه من مقولاته " المنطقية " أو من ملاحظاته المحدودة ، أو من تجاربه الناقصة .. إنما المنهج الصحيح أن يتلقى النصوص الصحيحة ، ويكون منها مقرراته فهي أصح من مقرراته الذاتية ، ومنهجها أقوى من منهجة الذاتي — قبل أن يضبط بموازين النظر الدينية الصحيحة ومن ثم لا يحكم العقل مقررات الدين — متى صح عنده أنها من الله — إلى أي مقررات أخرى من صنعه الخاص " (٤) .

(١) العنكبوت ، آية (٢٠) .

(٢) يونس آية (١٠١) .

(٣) انظر : السنة بين الوحي والعقل للمستشار سالم البهنساوي ، (٣١-٣٢) دار الوفاء ، ١٤٢٤-

٢٠٠٣م

(٤) نقلاً عن المرجع السابق ، (٣٢ - ٣٣) .

وبعد هذا التقرير لأهمية العقل ومكانته ننظر للخطأ المنهجي الذي وقعت فيه المدارس الكلامية من تقديمها للعقل على النقل والذي أفرز بالنتيجة جعلهم الشك والنظر طريقاً للوصول إلى الحقيقة والمعرفة الإلهية وما يتعلق بما يعتقد الإنسان من أصول دينه وما بعث به أنبيائه .

وها هو الأستاذ محمد عبده يبين منهجه ومنهج من سبقه في ذلك فيؤكد ان أصول الدين وما يتعلق بها من الفروع لا سبيل ولا طريق للاعتقاد بها إلا بالعقل حيث " تقرر بين المسلمين – كافة – إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا عن طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل ، وعلمه بما يوحي إليهم ، وإرادته لاختصاصهم برسالته .

وفي موضع آخر يقول : " فأول أصل وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح " (١) .

وربما يتجاوز متجاوز عن هذا الكلام كونه يبرر لصاحبه أنه يدعو للتفكير والتأمل والإيمان عن طريق العقل والنظر والشك المبني على أصول الفلسفة الموصل للتيقن ولكن الذي لا يغتفر هو تقديم هذا النظر والعقل على نصوص الوحي وجعل النقل الإلهي تابعاً لهذا النظر العقلي وهم يقررون للأسف هذا المبدأ في أغلب مؤلفاتهم وفي هذا يقول الغزالي " كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به قطعاً ان كانت الأدلة

(١) المرجع السابق ، (١١٥) .

السمعية قاطعة في متنها ومستنتها لا يتطرق إليها احتمال وإلا
وجب التصديق بها ظناً إن كانت ظنية" (١) ، وقد أوردنا فيما سبق
نصوصاً كثيرة في هذا المجال في إشارتنا إلى اعتقادهم ظنية دلالة
النصوص وفي نفس الوقت تقديم العقل عليها وجعلها في مرتبة
العاضد له ، ومما يؤكد هذا المعنى الذي نشير إليه الآن أنهم عندما
يثبتون نصاً شرعياً يثبتونه بقولهم : ممكن أخبر به الصادق (٢).

و الغزالي عندما يستدل على ثبوت عذاب القبر يقول : "
وأما عذاب القبر فقد دلت عليه قواطع الشرع ... وهو ممكن فيجب
التصديق به " (٣) وقوله عن ثبوت الحشر " قد دلت عليه القواطع
الشرعية وهو ممكن بدليل الابتداء " (٤) .

وعلى هذا فالقوم يجعلون المقياس هو العقل والقاطع العقلي
كما أشرنا سابقاً ولعل في النصوص السابقة دلالة كبيرة على إيراد
هذا المحور وجعله من أهم أسباب ظهور الشك المنهجي وتأتي
أهمية ذلك أنها أتت من أهم رواد الشك المنهجي وممن جعل له
أصولاً وطرقاً ومارسه عملياً ألا وهو الغزالي — رحمه الله — .

وقد أشار صاحب كتاب أسس الفلسفة إلى أن الرائد الثاني
من رواد الشك المنهجي ألا وهو ديكارت قد ذهب — كما يقال —
لإنقاذ العقل من السلطة الدينية ممثلة في الكنيسة ، حيث رفضها

(١) الاقتصاد في الاعتقاد: الغزالي (١٣٢) دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م

(٢) انظر المعرفة في الإسلام : عبد الله القرني (١٨٦).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي (١٣٢) .

(٤) المرجع السابق : (١٣٣) .

مصدراً للمعرفة ، وعاد ونحى حقائق الوحي عن مجال العقل ،
لأنها لا تدرك الا بمدد من السماء خارق للعادة (١)

ورغم أنه نصراني يتبع ديناً محرفاً إلا أنه يتفق مع
أصحاب الشك والنظر العقلي في تأخير الوحي عن العقل ومن ثم
تقديم العقل مع تأسيس المعرفة على النظر والشك .

ثالثاً : الرغبة في الحصول على اليقين الكامل :

كما أشرنا في أكثر من موضع أن الكثير من النظائر وأهل
الكلام عندما ينادون بالشك المنهجي أو ما يتعلق به من النظر
ووجوبه على العبد بل جعله أول الواجبات عند البعض على المكلف
أن مقصدهم نبيل وعظيم ألا وهو الوصول إلى المعرفة الصادقة
الخالية من أي شك وريبة ، وهم بسبب المناهج العقلية الفلسفية التي
كانوا يسиров عليها ارتأوا أن النظر العقلي والشك المنهجي إذا قام
على أسس صحيحة ومنهج واضح سيؤدي إلى اليقين الكامل .

ولعلنا لو تتبعنا عبارات الغزالي – رحمه الله – في أزمته
الشكية نجده يبحث بحثاً قوياً عن اليقين ولنتأمل قوله : " فقلت في
نفسي أولاً : ان مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة
العمل ما هي " (٢) فبين أن مطلوبه الأول هو العلم بحقائق الأمور
ولا شك أنها هي اليقين الذي نشير إليه . بل انه في الإحياء يؤكد
كثيراً على أهمية اليقين ويجعله هو الأساس في كل شؤون الدين

(١) انظر : أسس الفلسفة: توفيق الطويل ، (٣٤٥) .

(٢) المنقذ من الضلال ، (٨١) .

فيقول : " يجب أن يكون المرء شديد العناية بتقويم اليقين ، فإن اليقين رأس مال الدين " (١) .

وكان — رحمه الله — يحدد مفهوم اليقين بنحو مما أشرنا إليه سابقاً فيعرفه بقوله : " انكشاف المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه مكان الغلط والوهم " (٢) .

ولو تتبعنا كلمات ومقالات الغزالي فسيطول بنا المقام هنا ولكننا نتجه إلى علم آخر من الأعلام المنادين والمنظرين للشك المنهجي الفلسفي ألا وهو ديكارت فنجده يتفق مع الغزالي في ممارسته للشك بحثاً عن اليقين فيقول : " ولكن ما دام العقل يقنعني من قبل بأنه لا ينبغي أن أكون أقل حرصاً على الامتناع عن تصديق الأشياء التي لم تبلغ مرتبة اليقين التام ... فيكفيني لرفضها جميعاً أن يتيسر لي أن أجد في كل واحد منها سبباً للشك " (٣) .

ونجد ديكارت في نص آخر أكثر وضوحاً يجعل الشك الفلسفي " وسيلة للحصول على المعرفة الحقيقية معرفة أكثر وضوحاً" (٤) .

ولو تركنا الغزالي وديكارت ونظرنا في أحوال الفرق الكلامية التي تجعل من النظر أول الواجبات على المكلف لوجدنا من خلال تتبع نصوصهم ومؤلفاتهم أن دافعهم هو الحصول على

(١) احياء علوم الدين : الغزالي (١ / ٧٢) دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) المنقذ من الضلال : الغزالي (٨٢) .

(٣) الترجمة العربية للتأملات ، (٧٠) نقلاً من كتاب المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت : حمدي زقزوق ،

(٤) من خطاب ديكارت إلى بويتندك عام ١٦٤٣ ، نقلاً عن المنهج الفلسفي : حمدي زقزوق ، (٧٦) .

المعرفة واليقين التام عبر اتباع وسيلة النظر التي لا تخلو من ممارسة الشك .

وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : " الدلالة أربعة ، حجة العقل ، والكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله لا تتال إلا بحجة العقل " ^(١) ثم قرر أن أول واجب على المكلف هو النظر وهذا **الإيجي** ^(٢) . أحد زعماء الأشاعرة يقرر : " أن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " ^(٣) .

ومن خلال هذه الإمامة السريعة على بعض نصوص من يرى الشك المنهجي طريقاً للوصول لليقين يتأكد لنا أهمية إيراد هذا السبب في ظهور الشك المنهجي وبغض النظر عن كونه أوصلهم لليقين والمعرفة الصحيحة ، أو لم يوصلهم لكن الذي يهمنا إثباته أن الرغبة في الحصول على اليقين هي التي قادتهم إلى سلوك هذا الطريق وترك الطرق الشرعية الربانية التي تملك الطريق الصحيح والمنهج القويم الموصل الى اليقين .

رابعاً : اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحقيقة :

إن الذين يمارسون الشك المنهجي ويدعون إليه قد اطرحوا كل منهج آخر سواء بالكلية أو جعلوه رافداً ومعزراً للمنهج الأساسي

(١) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار (٨٩) .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد الايجي ولد عام ٨٣٢هـ من أهل أيج من نواحي شيراز ، متكلم أشعري من أبرز مؤلفاته (المواقف في علم الكلام) توفي عام ٩٠٥هـ انظر الأعلام للزركلي (١٥/٦) .

(٣) المواقف في علم الكلام : عضد الدين الإيجي (٣٩) ، عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ .

عندهم ألا وهو النظر والشك الفلسفي المعتمد على العقل والأقيسة المنطقية الفلسفية أما الجوانب الأخرى فهي كالتبع له أو من المؤكدات للأمر الأول الموصل للحقيقة الصادقة عندهم وهو النظر والشك المنهجي.

والقاضي عبد الجبار عندما يتحدث عن العقل وبعد أن قرر أن الواجب الأول هو معرفة الله وأن النظر العقلي هو أول الواجبات يقرر أن ما عدا العقل تابع له فيقول : " لأن ما عداها - أي حجة العقل - فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع الشيء على أصله " (١) .

وعلى هذا فالمعتزلة ترى أن معرفة الله تعالى لا تتحقق إلا عن طريق النظر العقلي ويقصدون بذلك النظر في الدلالة عن طريق الفكر والتأمل العقلي (٢) .

والأشاعرة لم يكونوا بعيدين عن المعتزلة فهم يغالون غلواً واضحاً في تعظيم الأدلة العقلية ويعتبرون ما عداها من الأدلة النقلية ظنية الدلالة فهذا الإيجي في المواقف يقول بكل صراحة " إن ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا يثبت إلا بالعقل ، إذ لو ثبت بالنقل للزم الدور " (٣) .

(١) شرح الأصول الخمسة ، (٨٩) .

(٢) انظر : علم الكلام عرض ونقد : عامر النجار ، (٩٤) مكتبة الثقافة الدينية ، ط الأولى ٢٠٠٣م .

(٣) المواقف : الإيجي (٣٩) .

ولن نركز هنا على تقديم أهل الكلام للنظر العقلي على النقل بل نركز على موقفهم من المصادر الأخرى غير العقل والذي يهمننا منها الجانب الشرعي المتمثل في النصوص لأننا ان استطعنا أن نبرز إهمالهم للنصوص أو النقل أو جعلها في مرتبة ثانية بعد النقل عرفنا سبب اهتمامهم وتركيزهم على موضوع النظر والشك كطريق أولي وأصيل في إثبات الحقيقة ومعرفة الله سبحانه وتعالى فلننظر في موقفهم من النقل ودلالته وترتيبه حتى يتضح الأمر لنا .

فمن خلال إيراد النصوص التالية عن المتكلمين سيظهر جلياً صدق ما أوردناه من انهم يعتبرون كل ما عدا العقل ظني الدلالة لا يمكن جعله طريقاً موثقاً للحصول على المعرفة الصادقة .

فهذا الرازي يقول : " إن الدلائل اللفظية لا تفيد اليقين ... وتقريره : أن التمسك بالدلائل اللفظية موقوف على أمور عشرة وكل واحد منها ظني ، والموقوف على الظني ظني ، وينتج أن التمسك بالدلائل اللفظية لا يفيد اليقين " (١) .

وهذا الايجي يقرر ذلك بقوله : " الدلائل النقلية هل تفيد اليقين ؟ قيل : لا ، لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة ، والأولى إنما يثبت بنقل اللغة ، النحو والصرف ، وأصولها تثبت برواية الآحاد وفروعها بالأقيسة وكلاهما ظنيان " (٢) .

(١) المطالب العالية من العلم الالهي : الرازي ، (٩ / ١١٣ - ١١٤) ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ ت ١٩٨٧ م .

(٢) المواقف : الايجي (٤٠) .

ونعود للرازي الذي يؤكد هذا الأمر بقوله : " نقول : أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز " (١) .

بل إن السنوسي^(٢) في شرح السنوسية الكبرى عد من أصول الكفر : " التمسك في أصول الاعتقاد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية " (٣) .

ويقرر الدكتور سليمان دنيا قريباً من هذا فيقول : " تمشياً مع قاعدة أن العقل أساس الدين ، قرر علماء الإسلام أن ما يرد من النصوص الدينية مخالفاً لصريح العقل يعفى المكلف من الأمر باعتقاد ظاهره " (٤) .

ولن يكون موقف المعتزلة بعيداً عن هذا فهذا القاضي عبد الجبار يقول : " إن كان مما طريقه الاعتقاد ينظر ، فإن كان موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد موجه لا لمكانته بل للحجة العقلية ، وإن لم يكن موافقاً لها فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن

(١) أساس التقديس (٢١٥) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٢) محمد بن يوسف السنوسي الحسني ، عالم تلمسان في عصره من أشهر مؤلفاته (شرح الآجرومية ، أم البراهين)

توفي عام ٨٩٥هـ انظر الأعلام : الزركلي (٢٩/٨) .

(٣) شرح السنوسية الكبرى للسنوسي (٥٠٢) : تحقيق عبد الفتاح عبد الله بركة ، دار القلم ، بيروت ط : الأولى ١٤٠٢هـ .

(٤) التفكير الفلسفي في الإسلام : سليمان دنيا (٢٢٢) مكتبة الخانجي ، ط : الأولى ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م

غيره ، هذا إذا لم يحتمل التأويل إلا بتعسف فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول " (١) .

وهذا من أعظم الجرأة على الوحي الرباني وفيه الامتهان لدلالاتها وقدسيتها وهم يبنون هذا المذهب على أساس عدم قبول خبر الأحاد في العقائد ورد المتواتر إذا خالف القاطع العقلي ولا شك أن المقام ليس مقام مناقشة هذه المسألة التي يقرر أهل السنة خلافها .

"وقد بنى المتكلمون قولهم بظنية الدلائل النقلية على أنها لفظية ورتبوا على ذلك أنه لا يصح الجزم بمعنى واحد للفظ بحيث لا يحتمل غيره ، بل يكون للفظ الواحد أكثر من معنى وإذا تعددت المعاني للفظ الواحد لم يكن قطعي الدلالة بل يكون ظنياً ، وقد انتهوا إلى القول بان الدلائل النقلية لا تفيد اليقين ، لأن الجزم بدلالاتها غير ممكن لتوقفه على تحقق شروط ، ثم استدلوا على أن الجزم بتحقيق تلك الشروط غير ممكن ، فتبقى دلالة النقل ظنية ، وإذا كانت دلالاته ظنية لم تكن مفيدة لليقين " (٢) .

ولو رجعنا إلى الغزالي وديكارت في مسيرتهم الشكية التي أشرنا إليها مراراً نجد أنهم طرحوا الجانب الاعتقادي المبني على التقليد وطرحوا كذلك الحواس وما تمارسه من خداع عقلي بل وصل بهم التشكيك في ذات العقل ولكنهم مارسوا الشك المنهجي واستمروا فيه باعتمادهم على التفكير والنظر العقلي حتى وصلوا إلى المعرفة

(١) شرح الأصول الخمسة ، (٧٧٠) القاضي عبد الجبار .

(٢) المعرفة في الإسلام :د/ عبدالله القرني ، (١٩٥) .

الحقة التي آمنوا بها واعتقدوها والتي لم يرو سبيلاً إليها إلا بالشك وممارسته بعيداً عن الوحي والدلائل النقلية.

وبعد استعراض كل هذه الأقوال يتأكد لنا هذا السبب المهم في وجود الشك المنهجي ألا وهو اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحق وأن ما عداه لن يكون إلا ظناً أو رافداً للحقيقة ومدعماً لها.

الفصل الثاني آثار الشك في أصول الدين والشريعة :

وفيه تمهيد و مبحثان :

• تمهيد

- المبحث الأول / آثار الشك على أصول الدين .**
- المبحث الثاني / آثار الشك على الشريعة .**

تمهيد :-

الشك ظاهرة مخالفة للمألوف سواء كان مذهبياً هادماً او منهجياً او عقائدياً فأما الشك الهادم فهو يصادم الحقيقة وينفيها وأما المنهجي فهو يسلك طريقاً مخالفاً لما عهدته الناس من التصديق والايمان المبدئي دون سلوك طرق ومناهج الشك واما العقائدي فهو ينكر ويشكك في المعتقدات والمسلمات الدينية والشرعية والشك بهذا الاعتبار يؤدي الى آثار وعواقب على جوانب كثيرة في الحياة عموماً وسنولي الجانب المعرفي الإسلامي الاهتمام الأكبر في هذا الفصل باعتبار أننا نعالج الشك من الجانب الديني الإسلامي أما الجوانب والآثار النفسية فقد سبق وأن أشرنا إليها وما أداه الشك بتنوع صورته من حيرة وتناقض واضطراب في مسيرة وحياة من كان ينادي به ولم نر الحاجة الى افراده بمبحث مستقل واكتفينا بما سبقته الإشارة اليه في الباب الثاني من حيث الحيرة والإرتياب الذي اعترى أهل الكلام وندمهم وجزعهم عند الموت بسبب ممارسة النظر والشك في حياتهم المعرفية عموماً والدينية على وجه الخصوص وسنعرض في هذا الفصل الى أهم الآثار التي طرأت على جانب أصول الدين وفيه مبحثان :-

المبحث الاول : آثار الشك على أصول الدين

وفيه أربعة مطالب :

- ❖ المطلب الأول : التوحيد .
- ❖ المطلب الثاني : النبوات .
- ❖ المطلب الثالث : اليوم الآخر .
- ❖ المطلب الرابع : القدر .

المبحث الأول : آثار الشك في أصول الدين :

تمهيد :-

قبل الشروع في الكلام عن آثار الشك في أصول الدين يجب أن ننبه إلى بعض المسائل التي يجب مراعاتها أثناء عرضنا لهذا المبحث والتي لو بمراعاتها ستتضح لنا الأمور من كل جوانبها .

١- : أن الشك الاعتقادي بذاته هو أثر مباشر لوجود الشك المنهجي عند طوائف أهل الكلام وقد سبق أن وضعنا الشك المنهجي سبباً مباشراً لوجود الشك الاعتقادي عند الكثير من طوائف أهل الكلام

٢- : يجب أن يعلم أن بعض الآثار التي طرأت في مجالات أصول الدين والتي سنناقشها كان الشك المنهجي سبباً رئيسياً فيها والبعض الآخر كان الشك الاعتقادي هو السبب المباشر فيها ، والبعض الثالث كان للشك المنهجي والإعتقادي (مجتمعين) السبب في تواجدها ، لذلك سنعرض الآثار مجتمعة و أثناء مناقشتنا لكل أثر سنبين منشأه والكلام عن أصوله وأسبابه .

٣- : سنتحدث عن أبرز قضايا أصول الدين وهي التوحيد والنبوات واليوم الآخر والقدر باعتبار هذه المجالات كانت هي الميدان الأبرز في الصراع العقائدي بين أهل السنة والفرق الإسلامية الأخرى وسنبداً بأول مطلب وهو مجال التوحيد

المطلب الأول : آثار الشك في التوحيد :

إن مجال التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى وما يتعلق بها من مسائل هي أعظم أبواب أصول الدين ولذلك بينها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير بيان واجتهد أهل السنة والجماعة في تقريرها وحث الناس عليها والعناية بها ولكن وفق المنهج القرآني والمنهج النبوي الذي سيتضح لنا من خلال بيان ما يخالفه عند أهل الكلام وأهل الفلسفة.

ومن خلال النظر والتأمل في مباحث التوحيد وآراء أهل الكلام وغيرهم في هذا الباب اتضح لي بعض الآثار التي طرأت على هذا المبحث سواء من حيث المنهج الذي احتوته كتب العقائد والكتب الكلامية ، أو من خلال الآثار العملية التي سرت وانتشرت بين أفراد الأمة ، وسأعرض لها تباعاً وأسأل الله سبحانه الإعانة والتسديد.

أ - الاختلاف المنهجي في تقرير مسائل التوحيد بين أهل السنة ومخالفهم :

وهذا يعتبر من أول وأهم الآثار التي ظهرت لاستخدام الشك المنهجي والنظر العقلي في مباحث التوحيد و معرفة الله سبحانه وتعالى. حيث أن المتكلمين سلكوا منهجاً يختلف عن منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل التوحيد منهجاً قوامه النظر العقلي كما بينا ذلك مراراً فيما تقدم .

وتعتبر هذه المسألة مرتبطة ارتباطاً كبيراً بمسألة فطرية المعرفة وهل وجود الله ومعرفته وربوبيته سبحانه وتعالى فطرية جبل عليها الإنسان وفطر عليها أم أنها أمر كسبي نظري يكتسب مع الأيام والتجارب والنظر العقلي .

وهذه المسألة عندما خالف فيها المعتزلة بداية كان ذلك يقول الدكتور/ عبدالله القرني " متفرعاً من قولهم في القدر من جهة أن العبد عندهم مستقل بفعله وأنه لا يثاب إلا على فعله ، وقد رتبوا على ذلك فيما يتعلق بهذه المسألة أن معرفة الله لو كانت ضرورية للزم أن يثاب العبد على غير فعله ، لأن المعارف الضرورية ليست من كسب العبد ، وإنما هي لازمة للنفس لزوماً ضرورياً بحيث لا يمكن الانفكاك عنها" (١) .

وهذا يعود بنا إلى الأصول العقلية التي بنوا عليها مذهبهم ومنهجهم في تقرير العقيدة وفي العموم فإنه تبعاً لهذه المسألة نشأ الخلاف في تقرير مسائل التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى .

فأهل السنة يرون فطرية وجود الله سبحانه وتعالى ومعرفته

أما المتكلمون فلا يرون فطرية هذه القضية كما أسلفت وعلى هذا تشعبوا في تقرير مسائل التوحيد ونشأت عندهم بعض المسائل والإفتراضات واللوازم العقدية التي تفرعت من عدم فطرية المعرفة وجعلها أمراً يجب أن يبذل فيه الإنسان مجهوداً لتحصيله وكسبه .

(١) المعرفة في الإسلام : د/عبدالله القرني ، (٢٦٣) .

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار : " لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر " (١) .

وقد تبع الأشاعرة المعتزلة في هذه المسألة مع أنهم يخالفونهم في أمور كثيرة من مسائل العقيدة والمنهج الموصل لها فهذا الباقلاني يقول : " لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهد بالحواس ، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة ، والبراهين الباهرة " (٢) .

وكان أبو جعفر السمناني (٣) وهو أحد علماء الأشاعرة يقول : " القول بإيجاب النظر بقيت في المذهب من أقوال المعتزلة " (٤) .

وعلى ضوء هذه المسألة كما تقدم انطلق أهل الكلام في تقريرهم للتوحيد بعيداً عن منهج القرآن والسنة وبدأوا في طرح المسائل والتنظيرات القائمة على العقل والقواعد الفلسفية حتى انهم اختلفوا في أول واجب على المكلف حتى ذكر بعضهم في ذلك اثني عشر قولاً^(٥) واستمروا يتناقضون ويضطربون ويرد بعضهم على بعض في مسائل واختلافات كثيرة كل ذلك من جراء إدخال النظر

(١) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار (٣٩) .

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل: أبو بكر الباقلاني ، (٣٣) تحقيق / عماد الدين حيدر ط : الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م .

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني ممن لازم الباقلاني ، نظر سير اعلام النبلاء : الذهبي (٧٢/٥ - ٧٣)

(٤) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، (٧ / ٤٠٧) .

(٥) انظر : تحفة المريد على حاشية جوهرة التوحيد للباجوري ، (٢٠) نقلاً من كتاب المعرفة في الإسلام ، د . عبدالله القرني ، (٢٦٨) .

في مسائل التوحيد التي تكفل رب العباد ببيانها وهداية الناس لها .
ولم يكتف أهل الكلام بهذا بل شعبوا القول وبدأوا يفترضون
المسائل المتعلقة على هذه المسألة وسوف أتناول هنا بعض المسائل
التي سأعرض لها عرضاً مجرداً دون تفصيل لتعرف أن منهجهم
في تقرير التوحيد كان بعيداً كل البعد عن منهج أهل السنة ولو
دخلت في عميق هذه المسائل وتوسعت في التفريعات التي فرعوها
على هذه الأصول ثم أرخيت سمعك للاختلافات التي اختلفوا فيما
بينهم والتناقض داخل مذاهبهم لعلمت البون الشاسع بين تقرير
القرآن والسنة للتوحيد وبين هذا التقرير الذي قرروه ومن هذه
المسائل ما يلي:

– هل النظر شرط في صحة الإيمان أم لا ؟

– ما حكم من انقضى تكليفه ولم ينظر ؟

– وإذا لم يكن له مواع ولم ينظر ومات ، هل يلحق بالكفرة أم لا ؟

– وهل يصح إيمان المقلد أم لا ؟ وما الحد الذي يقلد فيه ؟

إلى غيرها من المسائل التي شعبوها وافترضوها ومعلوم منهج
القرآن ومعلوم أنه لم يرد نص يدل على توقف الإيمان بالله على
النظر في الأدلة العقلية بل ورد أن معرفة الله فطرية ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأمرؤن من أراد الدخول
في الإسلام بالنظر بل يقبل إسلامه بمجرد النطق بالشهادتين^(١).

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٨ / ٧) .

ب_ الاختلاف في أقسام التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين

:

ومما هو معلوم أن أهل السنة والجماعة وبناء على نظرهم في النصوص الواردة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن خلال مقاصد الشريعة قسموا توحيد الله سبحانه وتعالى إلى أقسام ، وقد اختلفت التقسيمات بناء على المنهج والنظرة التي تراعى عند التقسيم.

فمن نظر إلى التوحيد من جهة الله سبحانه قسمه إلى ثلاثة

أقسام هي : الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

ومن نظر إلى التوحيد من جهة العبد قسمه إلى : علمي وعملي .

ولا شك أن هذا التقسيم تقسيم تفرقه النصوص والنظر العام

في دين الله سبحانه وتعالى وهذا الاختلاف هو من باب اختلاف

التنوع الذي يسوغ الخلاف فيه والتعبير اللفظي يحتمل كل ذلك فنجد

البعض يسمي التوحيد العلمي ، توحيد القصد والطلب أو التوحيد

الإرادي الطلبي أو توحيد الجوارح وعمل القلب والبعض يطلق على

التوحيد العلمي : توحيد العلم والاعتقاد أو التوحيد القولي أو الخبري

أو الاعتقادي (١) .

أما أهل الكلام فلهم تشعيبات وقواعد عقلية كثيرة في هذا

الباب أدت بهم إلى تقسيم التوحيد إلى قسمين اثنين هما :

الأول : توحيد الأفعال الذي يقابل عند أهل السنة توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الذات والصفات الذي يقابل عند أهل السنة توحيد

(١) انظر : شرح الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي (٨٨/١) تحقيق : عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط

الأسماء والصفات (١)

وبهذا يتضح أن هناك توحيداً مهماً ألا وهو ما يتعلق بالألوهية لم يذكره أهل الكلام وهم ينكرونه ولا يعترفون به ويجعلونه داخلياً في التوحيد الأول وهو توحيد الأفعال وهم عندما يفسرون الإله فهم يجعلونه القادر على الاختراع وهذا تفسير خاطئ لمعنى الإلوهية أخذوه من أقيستهم العقلية واعمال النظر في معرفة الله سبحانه وتعالى وهذا يجعل الاختلاف بينهم وبين أهل الحق في تقسيم التوحيد نتيجة حتمية للمقدمات العقلية واعمال النظر في غير مجاله وهو ما قادهم لإنكار هذا التوحيد صراحة خاصة عند المتأخرين منهم وبالأخص الأشاعرة الذين يجعلونه من اختراعات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - وليس هذا مجال بحث هذا الموضوع (٢).

وننتج عن هذا أثر عظيم في التوحيد عموماً وهذا الأثر يعتبر أهل الكلام هم المسؤولون عنه بشكل مباشر ورئيسي نتيجة إهمالهم لتوحيد الألوهية وسنختم هذا المطلب بالإشارة إليه باختصار حيث أنهم بإهمالهم لتوحيد الإلوهية أو التوحيد العملي أخرجوا الشرك العملي من حقيقة التوحيد ، فهم يربطون الشرك بالاعتقاد القلبي و يعتبرون كل الأعمال التعبدية إذا صرفت لغير الله تعالى لا تعتبر - عندهم - شركاً إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لغير الله سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد يطاق بالقبر ويذبح له

(١) انظر : المغني : القاضي عبد الجبار ، (١ / ٢٤١) ، وانظر أيضاً نهاية الإقدام : الشهرستاني (٩٠) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الرد على الوهابية أحمد دحلان ، (٤٠ - ٤١) ط : الخامسة ، ١٤٠٥ هـ

ولا يعتبر هذا عندهم شركاً إلا إذا تضمن اعتقاد ربوبية من صرفت له وهذا ناشئ من ربطهم توحيد الإلوهية بالربوبية وعدم اعتبار توحيد الإلوهية أصلاً وفي هذا يقول دحلان " فاجتمعت الأمة على أن الذبح والنذر لغير الله حرام ، ومن فعلها فهو عاص لله ولرسوله ... والذي منع العلماء من تكفيرهم أنهم لم يفعلوا ذلك باعتقاد أنها أنداد لله " (١) .

وبسبب هذا انتشر الشرك العملي في الأمة من جراء البعد عن المنهج القرآني والمنهج النبوي وما سار عليه سلف الأمة من قبول للتوحيد بمجرد الشهادتين والنطق بها وعدم إدخال الفلسفة والنظر العقلي في باب التوحيد .

ج - اختلاف مفهوم توحيد الأسماء والصفات بين أهل السنة وأهل الكلام .

سبق أن بينا اتفاق أهل السنة مع المتكلمين في توحيد الربوبية ، وفي توحيد الأسماء والصفات وذلك من حيث التقسيم الأصلي وأثناء تعرضنا للأثر الأول في التوحيد وهو اختلافهم في المنهج لتقرير التوحيد تعرضنا لمثال بارز وهو توحيد الربوبية من حيث جعل المتكلمين النظر هو أول واجب على المكلف ومن حيث إنكارهم لفطرية المعرفة وفي هذا إثبات لاختلاف الطريقة والمنهجية ولكن الخلاف معهم لم يقتصر على المنهج والتقسيم بل تعداه إلى المفهوم والمضمون وسنركز بحثنا هنا على توحيد الأسماء

(١) نقلاً : حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ، تأليف عبد الرحيم السلمي ، (٤٩٩) دار المعلمة

والصفات حيث يتضح الامر فيه أكثر من غيره.

فقد سبقت الإشارة كثيراً إلى إدخال أهل الكلام الشبهات العقلية المختلفة التي أدت بهم إلى إنكار صفات الله سبحانه وتعالى إما كلياً كما هو الحال عند المعتزلة أو جزئياً كما عند الأشاعرة التي تثبت سبعاً من الصفات وتؤول أو تتكرر الباقي .

وحيث إن حديثنا في هذا المبحث حول تأثير الشك المنهجي أو الاعتقادي على التوحيد فإننا نؤكد أن الشبهات العقلية التي أثارها المتكلمون وتأسيسهم باب التوحيد عندهم على النظر العقلي جعل مفهوم التوحيد وخاصة في باب الأسماء والصفات مختلفاً تماماً عن مفهومه عند أهل السنة والجماعة .

وقد أتى المتكلمون بشبهات متعددة في هذا الباب أدت بهم إلى اعتقاد هذا المعتقد الباطل في تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته وأسمائه .

ومن أبرز الشبه التي اعتمدوا عليها في نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى وهي من جراء تعلقهم بالنظر العقلي وإدخاله في صفات التوحيد مايلي :

١- شبهة حلول الحوادث في ذات الله سبحانه :

وبهذه الشبهة أنكرت المعتزلة كل صفات الله سبحانه بخلاف الأشاعرة التي أثبتت سبعاً من الصفات لكنهم منعوا تجدد هذه الصفات ومنعوا قيام الصفات الفعلية الاختيارية انطلاقاً من هذه الشبهة .

٢ - شبهة التشبيه والتمثيل :

وقد ظنوا أن الله سبحانه إذا أثبتنا له الصفات فنحن نمائله ونشبهه بالمخلوق وكان المعتزلة يقولون : كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممتل ، لأنه أثبت للإله مثلاً قديماً^(١).

٣ - شبهة تعدد القدماء :

وقد نسب الشهرستاني هذه الشبهة لواصل بن عطاء^(٢) ، فقد حكى عنه أنه قال: "ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت ألّهين"^(٣).

٤ - شبهة التركيب :

حيث ظن أهل الكلام أن إثبات الصفات يستلزم أن يكون الإله مركباً من أبعاض وأجزاء .

وقد ناقشهم أهل السنة في مواطن كثيرة من مؤلفاتهم^(٤) وبينوا أن هذا بسبب تأثير مناهج اليونان وإدخال النظر والعقل في مواطن الوحي والنصوص لاسيما ما يتعلق منها بتوحيد الله سبحانه وتعالى التي أتت النصوص موضحة ومبينة له .

(١) انظر : التدمرية : ابن تيمية (١١٧) تحقيق : محمد السعوي ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ

(٢) أبو حذيفة ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ ، وارتحل إلى البصرة وأقام بها ، وهو مؤسس فرقة المعتزلة ، لقب بالغزال لترده على سوق الغزل ، تنسب إليه فرقه واصليه من المعتزله ، له مؤلفات منها (أصناف المرجئة ، المنزلة بين المنزلتين ، معاني في القرآن) وغيرها ، توفي سنة ١٣١هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، (١/٢٢٤-٢٢٦) .

(٣) انظر : الملل والنحل : الشهرستاني ، (١/٦٠) تحقيق : أمير علي مهنا - علي حسن فاعور دار المعرفة بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(٤) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة : عبد الرحمن الحمود ، (٣/١٠٩٣) .

المطلب الثاني : آثار الشك في النبوات

وقد أدخل أهل الكلام وغيرهم الشك المنهجي على مقام النبوة ، فنتج عن ذلك آثار خطيرة وإلزامات باطلة أثرت تأثيراً واضحاً على مبحث النبوة عندهم وأدت إلى نتائج عملية منحرفة تحط من قدر النبوة سواء على المستوى الاعتقادي الفكري أو على المستوى العملي الاجتماعي وأصبح ما نجده عند هذه الفرق مختلفاً اختلافاً جذرياً عما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وسنحاول في هذا المبحث الإشارة إلى أبرز هذه الآثار ومن أهمها :-

أ - ضعف الاستدلال على النبوة :

لا شك أن أهل الكلام مؤمنون بنبوة الأنبياء وغير منكرين لها ولكنهم انطلقوا يجتهدون وينزلون إمكانية النبوة على ما فتوا به من ثقافة اليونان فأدى هذا إلى ضعف الاستدلالية المنهجية الشرعية على صحة النبوة - عندهم - وكونها من عند الله وأدى هذا بالضرورة إلى سهولة الطعن في إمكانية النبوة من لدن أي ملحد بعيد عن الله منكر لرسالة الأنبياء إذ انه سيجد فيما قرره هؤلاء الفلاسفة طعناً أكيداً في صحة إرسال الرسول ونبوة النبي وسيأتي مزيد بيان لطريقة الفلاسفة في الآثار الأخرى في مجال النبوة غير أنني أحببت أن أشير هنا إلى أن طريقتهم مع طريقة المتكلمين أدت إلى ضعف اليقين بمقام النبوة وإمكانيتها وكونها من عند الله سبحانه وتعالى

فلو تتبعنا تراث ومنهج المعتزلة بداية فسنجد أنهم قد جعلوا أمر

النبوة واجباً يقتضيه العقل بناء على مذهبهم في أن الحسن ما حسنه العقل والقبیح ما قبحه العقل فقالوا : " عن البعثة متى حسنت وجبت " (١)

فأول شيء عولوا عليه في إثبات النبوة هو التحسين والتقييح العقلي وإن كانت الأشاعرة خالفتهم في ذلك بجعل التحسين والتقييح شرعياً وليس عقلياً .

ثم شرعوا في الاستدلال على النبوة من خلال المعجزة وأطالوا الوقوف عندها يقول الدكتور/ عبدالله القرني " مدفوعين بحماس للدين وبما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مستخرجين منها الأدلة العقلية التي يدفعون بها في وجه الخصوم منكرين ومتفلسفين " (٢) .

وليس المقام هنا مقام شرح وتوضيح لجعلهم المعجزة الدليل الأوحد للنبوة وجعلها مرتبطة مع الممكن العقلي وعدم خرق العادة (٣)

وحول استدلالاتهم في مقام النبوة يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله : " وإن القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ، ولا أفادوا دليلاً على نبوة الأنبياء ، كما لم يقيموا دليلاً على وجود الرب ، فليس في كتبهم ما يدل على الرب تعالى ، ولا على رسوله ، مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين " (٤) .

(١) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار (٥٦٤) .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ، (٧٣٢) .

(٣) انظر: المواقف : الايجي ، (٥٥٠ - ٥٥٧) .

(٤) النبوات : ابن تيمية : (٢/ ٧٩٥) . تحقيق : عبدالعزيز الطويان ، مكتبة أضواء السلف ط : الأولى

بل إنه في موطن آخر يهاجم منهجهم العقلي عامة في إثبات النبوة فيقول : " لكن لما تكلموا في إثبات النبوة ، صاروا يوردون عليها أسئلة في غاية الظهور ، ولا يجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة . (١) "

وبهذا نشير إلى أن المتكلمين معترلتهم وأشاعرتهم سلكوا الطريق العقلي في إثبات النبوة مما جعل أدلتهم لا ترقى إلى القوة واليقين في تأكيد هذه القضية التي عليها عماد الدين وثبوتها وكل ذلك من جراء الاعتماد على النظر العقلي في هذا الميدان الذي هو يعتمد بالكلية على عالم الغيب والذي يكون العقل والنظر والأقيسة العقلية كلها في المقام الثاني تابعة للنقل والغيب ومؤكدة له .

ب - التفسير الخاطئ لمقام النبوة :

ومن جراء إدخال الأقيسة العقلية والاعتماد على الفلسفات اليونانية التي تجعل العقل والنظر دليلها ورائدها في الحكم على جميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية ، ظهرت تفسيرات فلسفية وصوفية لمقام النبوة بعيدة كل البعد عن هدي الشرع وليس عليها دليل لا من كتاب الله ولا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الإشارة إلى أهم هذه التفسيرات في الآتي :

(١) جعل النبوة فيضية وإشراقية :

فالفلاسفة المنتسبون للإسلام جعلوا النبوة فيضاً فاضه العقل الفعال على النفس البشرية المتقبلة صاحبة الجهد والنظر والمتلهفة

لتلقي هذا الفيض وفي هذا يقول ابن سينا : " والملك هو هذه القوة المفيضة كأنها تفيض عليه إفاضة متصلة بإفاضة العقل " (١) وتابعه الفارابي فيؤكد هذا المعنى الفيضي للنبوة فيقول : " والذي ينال القوة الناطقة عن العقل الفعال هو الشيء الذي منزلته الضياء من البصر ، وقد يفيض منه على القوة المتخيلة فيكون للعقل الفعال في القوة المتخيلة فعل ما تعطيه أحيانا المعقولات التي من شأنها أن تحصل في القوة الناطقة النظرية " (٢) .

والمصوفية كانت متوافقة بل متطابقة في تفسيرها للنبوة بالفيض مع الفلاسفة ولكن يزول العجب حين نعلم أن الغزالي رحمه الله كان متناقضاً ومتناقلاً بين المذاهب في أغلب فترات حياته .

والذي يهمننا هنا الإشارة إلى أن الصوفية اتفقت مع الفلاسفة في تفسير النبوة على أنها فيض وإشراق مع أن الكثير من الباحثين ناقشوا وبدأوا يصوغون التأويلات والأعذار للغزالي في توافقه مع ما يحذر منه بل ويصل الأمر عنده على تكفيره (٣) .

وهذا لاشك أثر مهم في جانب النبوة من أسباب دخول الشك والنظر العقلي في أصول الدين .

(٢) جعل النبوة مكتسبة :

وهذا الأثر الخطير هو نتيجة لجعل النبوة قائمة على الفيض

(١) تسع رسائل في إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم : ابن سينا، (١٢٤) نقلاً من نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ، (٧٥٨) .

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة (٦٧) مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) انظر : الحقيقة في نظر الغزالي : سليمان دنيا ، (٣٩١) ، دار المعارف ، ط : الخامسة ، بدون تاريخ .

والإشراق فلو نظرنا إلى كلام الفلاسفة والمتصوفة نجد أن هذا لازم ضروري قد التزموه وصرحوا به ولم ينفوه لأنهم كما أسلفنا يجعلون مقام النبوة فيضاً من العقل الفعال وهذا الفيض قائم على الضرورة واللزوم من الله سبحانه وتعالى ، فإن هذا الفيض لا بد أن يكون مستمراً ، وفي هذا يقول ابن سينا : " ليس مما يغيب ويحضر - أي الفيض - بل هو حاضر بنفسه ، إنما نغيب نحن عنه بالإقبال على الأمور الأخرى ، فمتى شئنا أحضرناه " (١) .

ولا يبتعد الفارابي عن الشيخ الرئيس كما يلقبونه فهو يقول : " ولا يمتنع إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته من العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، أو محاكاتها من المحسوسات ويقبل محاكاة المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له نبوة بالأشياء الإلهية " (٢) .

وقد توسع ابن سينا في هذا توسعاً مخيفاً جعله يقول بإمكان اكتساب الوحي بما يسميه : التجربة والقياس وإمكانية انتقاش الغيبيات في النفس من العالم العلوي ، وذلك عن طريق الرياضة والمجاهدة وغيرها من الآراء العقلية والفلسفية التي ليس المقام مقام التوسع فيها ويكفي ما أشرنا إليه حتى نصل لبيان مقصودنا من الإشارة إلى هذه الجزئية بالتحديد (٣) .

(١) التعليقات على حواشي كتاب النفس لأرسطو : عبد الرحمن بدوي ، (٩٥) نقلاً عن المعرفة في الإسلام ،

د / عبدالله القرني ، (١٠٧) .

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ، (٩٤) .

(٣) انظر للتوسع : الإشارات والتنبيهات : ابن سينا بشرح الطوسي ، (٤ / ١٢٤) تحقيق : سليمان دنيا ، دار

المعارف ، مصر ، ط : الثالثة

ولا يختلف الصوفية الإشرافية عن هذا المعنى فقد وافقوا الفلاسفة المنتسبين للإسلام فجعلوا النبوة إشراقاً وعلى هذا فيمكن تحصيلها بالرياضة والمجاهدة ، ولذلك اجتهدوا فيها وصاروا يصرحون للملأ بطلبهم هذا المقام وادعائهم أنه مما يمكن تحصيله ولذا يقول عنهم شيخ الإسلام – رحمه الله – : " ولهذا كان من أصولهم أن النبوة مكتسبة وكان السوردي المقتول يطلب أن يكون نبياً " (١) .

وفي مواطن أخرى يحكى عنهم " أن النبوة مكتسبة ، ولهذا كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة ، فكان السهروردي المقتول يقول : لا أموت حتى يقال لي : قم فأندر ، وكان ابن سبعين (٢) يقول : لقد زرب ابن آمنة حيث قال : " لا نبي بعدي " (٣)

ولا شك أن هذا الأثر خطير جداً على المعتقد لمن يعتقده وليس هناك باب للردة والكفر أوسع من هذا الباب .

(٣) جعل مقام الفيلسوف والولي والإمام أفضل من مقام النبي:

وهذا أيضاً أثر خطير لإدخال النظر في مقام النبوة وقد سبق فيما مضى إيراد عبارات للباطنية و الصوفية تفضل الأولياء والأئمة على الأنبياء بما لا داعي من اعادتها هنا لكن بقي أن نشير

(١) النبوات : ابن تيمية (٢/٧٠٣) .

(٢) ابو محمد عبدالحق بن ابراهيم الاشيلي ولد عام ٦٢٤هـ من غلاة الصوفية والقائلين بوحدة الوجود على ضوء كفره كثير من أهل العلم انظر : الأعلام للزركلي (٦/٢٨١) .

(٣) المرجع السابق (١/٧٠٣) وانظر أيضاً درء تعارض العقل والنقل (١/٣١٨) وأيضاً : مجموع الفتاوى (١٢/٣٩٣) .

إلى أن هذا المنهج وهذا المعتقد يتطابق فيه الصوفية مع الباطنية الإسماعيلية فالقوم عندما توافقت طريقتهم انتهوا إلى نفس النتيجة في مقام النبوة ، ولكن كل منهم صرف النتيجة لما يتوافق مع معتقده وشرعته فالصوفي صار يفضل الولي على النبي والإسماعيلي الباطني يفضل الامام الغائب على النبي

فهم يجعلون الفيلسوف يتصل بوسيلة العقل والنبي — على رأيهم — يتصل بوسيلة المخيلة التي تتبع الحواس . والعقل أفضل من الحس كوسيلة وعلى هذا يكون الفيلسوف أفضل من النبي وقد اختلف في تصريحهم من عدمه في هذه المسألة لكن طريقتهم وتعاملهم مع مقام النبوة يجعلنا نرجح ذلك وعموماً فيكفي قدحاً في مقام النبوة عندهم أنهم ساووا بينها وبين الفيلسوف وهذا من أعظم الباطل والتجني على مقام أنبياء الله (١) .

ج — نفي العصمة عن النبي :

ويتضح الأثر الخطير الذي أحدثه القياس والنظر العقلي في اعتقاد هؤلاء القوم ، وفي إثبات هذا الأثر وهذا الاتهام الخطير لمقام النبوة من خلال نصوص المتكلمين يورد ابن تيمية رحمه الله — عنهم : " وجوزوا من جهة العقل ما ذكره القاضي أبو بكر : أن يكون الرسول فاعلاً للكبائر " (٢) .

وعلى هذا فلا يستدلون بها على الأمور العلمية الخبرية ،

(١) انظر : المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ، (٧٦٤) وفيه تفصيل لموقف بعض المستشرقين الذي يناقشون هذه المسألة عند الفارابي خصوصاً ويختلفون ما بين مؤيد لهذه الدعوى ومنكر لها .

(٢) النبوات : ابن تيمية (١/ ٤٧٦) .

وهي خاصة النبي ، مثل الإخبار عن الغيب ، والإنباء به ، فلا يستدلون بكلام الله ورسوله على الإنباء بالغيب الذي يقطع بها ، بل عمدتهم ما يدعونه من العقلات المتناقضة (١) .

المطلب الثالث : آثار الشك في اليوم الآخر :

يعتبر اليوم الآخر من المباحث والعقائد التي حصل فيها جدل في أيام الجاهلية ولكن التشريع الإسلامي جاءت أدلته وبراهينه متنوعة ومتعددة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لتدل عليه وتعزز اليقين به .

ولذلك كان هناك شبه إجماع عليه من لدن طوائف المسلمين جميعاً باستثناء ما ورد عن بعض الفلاسفة الإسلاميين الذين أثبتوا المعاد لكنهم جعلوه روحياً وليس بعثاً للأبدان وسنعرض هنا لعقيدتهم وسبب قولهم بها ومواقف أهل الكلام منها وكيفية ردهم عليهم وسيوضح لنا الأثر الكبير للنظر العقلي والأقيسة الفلسفية في عقيدة البعث واليوم الآخر ، وهنا نذكر بعض الآثار التي أحدثتها إدخال الشك والنظر في مباحث اليوم الآخر ولعل من أهمها :

أ- إنكار المعاد الجسماني :

وهذا المذهب الذي لا ينفي المعاد مطلقاً بل يقصره على المعاد الروحاني وهو المذهب المنسوب لبعض الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وإن كان قد شكك الكثير من الباحثين في صحة نسبة هذا المذهب لهم والمقام هنا ليس مقام تحقيق وتمحيص في هذه

(١) انظر : النبوات : ابن تيمية (١/ ٥٠٧)

المسألة وبسط المقام وتحقيق الأقوال (١) لكن الذي أميل إليه ويميل إليه جماهير الباحثين إلى صحة نسبة هذه الأقوال لهم .

ولعل أشهر من أثر عنه هذا القول من الفلاسفة هو ابن سينا وفقد انتشرت تقاريره في المؤلفات التي ألفها أو التي نقلت عنه من المتأثرين به أو الذين ردوا عليه (٢) .

وهو في رسالته الأضحوية كان واضحاً جداً ومنكراً لحشر الأبدان و متأولاً للنصوص القرآنية والنبوية وجعلها من باب التمثيل والتخييل لعامة الناس (٣) .

وفي هذه الرسالة يقول : " لكننا نبين بياناً برهانياً أنه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت إلى البدن البتة " (٤)

ثم يتمادي في إنكاره وتأويله للشريعة بقوله : " هذا بالإضافة إلى أن الأمور الواردة في الشرائع إذا أخذت على ظاهرها لزمها أمور شنيعة " (٥) .

ثم يوضح ذلك بقوله " إننا لو قلنا مثلاً بأن النفس تعود إلى تلك المادة التي كانت حاضرة عند الموت ، لأدى هذا إلى وجوب أن يبعث المجدوع والمقطوع يده في سبيل الله على صورته تلك ... " (٦).

(١) انظر : القرآن والنظر العقلي ، فاطمة إسماعيل (٢١٨) المعهد العالي للفكر الاسلامي ط : الثانية

١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، وانظر : أيضاً الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، د : عيسى السعدي ، (١ / ٣١٣

، دار عالم الفوائد ، ط : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٣٨٠/١) .

(٣) انظر : موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها : صالح الغامدي (١٠٩) .

(٤) المرجع السابق (١٢٢) .

(٥) المرجع السابق ، (٥٥) .

(٦) المرجع السابق ، (٥٥) .

والذي يهمننا هنا التأكيد عليه والإشارة إليه أن هذا المذهب نتج من جراء النظر العقلي الفلسفي الذي استقاه هؤلاء الفلاسفة من الفلسفة اليونانية ولعل من أهم الأمور التي جعلتهم يقولون بهذا القول هو مذهبهم الفاسد القائل بقدوم العالم وأن العالم صدر عن الله على جهة الفيض والصدور فإذا قالوا بتغيير العالم هذا ومجيء القيامة فيلزم منه الفناء لهذا العالم القديم وهذا محال عندهم وفي تقرير هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "الفلاسفة الإلهيون هم أشهر هذه الطوائف - يعني المنكرين للبعث - وهم الفارابي وابن سينا وأمثالهما ، وعمدتهم في إنكار المعاد هو اعتقادهم قدم العالم ، وأن الفاعل عله تامة موجبة بالذات لا يختلف فعلها فلا يجوز أن يتغير العالم لأجل ذلك.... " (١) .

ومن التصورات الفاسدة المتعلقة به التي بنوا عليها مذهبهم أن السعادة والشقاوة لا تتم إلا للروح وذلك هو البعث الروحي عندهم لأن الإنسان في الأصل عندهم عقل وهو معذب كونه في الجسد فلما يفارق البدن يكون في قمة عذابه أو قمة سعادته على حسب عمله وجزاء الله سبحانه وتعالى له (٢) .

وعلى هذا يتأكد لنا السبب الذي دفع هؤلاء الفلاسفة لإنكار المعاد الجسدي وجعله روحياً ولم يكن بعيداً عن الأسباب التي ذكرت آنفاً فهي ترجع إلى إدخال النظر والشك المنهجي على الغيبيات التي يلزم المكلف فيها التسليم بالنصوص وعدم تجاوزها لغيرها .

(١) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٧ / ٣٨٤) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٧ / ٣٨٩) .

ب- ضعف موقف المتكلمين في هذه المسألة :

وقد اشرنا من قبل إلى أن المتكلمين لم ينكروا البعث واليوم الآخر ، لكن اعتمادهم في تقرير هذا الأمر الجليل على النظر والأقيسة العقلية جعل موقفهم ضعيفاً وحجتهم واهية خاصة أمام الفلاسفة القائلين بالبعث الروحاني دون البعث الجسماني .

فالمتكلمون بنوا مذهبهم في إثبات المعاد والبعث الجسماني على الجوهر الفرد الذي جعلوه أصلاً لكثير من المسائل الدينية وهو عندهم الجزء الذي لا يتجزأ^(١) فالإنسان عندهم عرض وجوهر فأما العرض فلا يوصف بشيء ولا يبقى عندهم زمانين ، وأما الجوهر فهو الباقي^(٢) والبعث عندهم إما جمع لهذه الجواهر بعد التفرق أو إعادة لها بعد الإعدام^(٣) .

ولهذا اضطربوا - أي المتكلمين - لما قيل لهم : فالإنسان ثم أكل الحيوان إنسان ، فإذا أعيدت تلك الجواهر من الأول نقصت من الثاني ، وبالعكس ، فأما على قول من يقول إنها تفرق ثم تجمع ، ففيل له تلك الجواهر إن جمعت من الآكل ، نقصت من المأكول ، وإن أعيدت للمأكول ، نقصت من الآكل .

وأما الذي يقول : تعدم ثم تعاد بأعيانها ، ففيل له أتعدم لما أكلها الآكل ، أم قبل أن يأكلها ؟ فإن كان بعد أن أكلها فإنها تعاد في الآكل ، فينقص المأكول . وإن كان قبل الآكل فالآكل لم يأكل إلا

(١) انظر : التعريفات : الجرجاني ، (٧٥) .

(٢) انظر النبوات : ابن تيمية ، (٣١٥) .

(٣) انظر المصدرين السابقين (نفس الصفحات) .

أعراضاً ، ولم يأكل جواهرأ . فهذه مكابرة (١) .

وبهذه الإيرادات ضعف موقفهم أمام الفلاسفة من جراء إدخال هذا القياس العقلي وجعله هو الحجة في إثبات عقيدة البعث واليوم الآخر والفلاسفة عندما جعلوا النصوص الدالة على المعاد من باب التمثيل والتخييل وأنها مؤولة بعدة تأويلات حاول المتكلمون منعهم من ذلك بحجة أنها لا تقبل التأويل لأنها معلومة من الدين بالضرورة ولكن موقفهم كان ضعيفاً أمام الفلاسفة لأنهم تأولوا نصوص الصفات ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ونصوصها أكثر عدداً وأعظم قدراً من نصوص المعاد (٢)

ولهذا كان المتكلمون في قمة الضعف أمام الفلاسفة من جراء ما اقترفته أيديهم مما سبق أن قرروه وانتصروا له من الأقيسة والنظر العقلي المبتدع والمدخل في الغيبيات والأصول الشرعية وفتحوا على أنفسهم باباً لا يستطيعون أن يسدوه لأنهم جعلوا العقل هو الضابط لما يسوغ تأويله وما لا يسوغ فادعت كل فرقة قيام القواطع العقلية على تأويل ما يخالف مقالتها مع ظواهر الشرع .

(١) النبوات : ابن تيمية (١/ ٣١٦) وانظر أيضاً : شرح الطحاوية : ابن أبي العز (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر : الوعد الأخروي : عيسى السعدي ، (١/ ٢١٦) .

ج - إنكار بعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر :

وهذه المسائل قد سبق الإشارة لبعضها في الباب الثاني من هذا البحث والتي وقع فيها الكثير من أهل الكلام فمن جراء إدخال القياس العقلي في عقيدة اليوم الآخر أدى بهم هذا إلى إنكار كثير من مسائله بحجة عدم تواتر الأخبار فيها أو بحجة مخالفتها للقواطع العقلية أو بحجة معارضتها لبعض التقريرات والاعتقادات واللوازم التي جعلوها من ضرورات المذهب الكلامي الاعتقادي لديهم .

وقد رأينا مصداق ذلك - أي استخدام العقل في البحث - فيما ظهر لنا لاعتبارهم الصراط ليس شيئاً سوى الهداية في الدنيا ، ونفي أن يكون له وجود محسوس في الآخرة ، كما حملوا الحوض والميزان وماشابههما على المعنى الرمزي دون المعنى الحقيقي ، وجعلوا الرؤية ونعيم الجنة معنويات روحانية بحثة دون أن يقفوا عند حدود النصوص التي أفادت كونها حسية تدرك بالحواس .. (١)

مما سبق نشير إشارة عابرة لنصل للنقطة التي نحاول تأكيدها وهي أن دخول النظر والشك الفلسفي يؤدي إلى هذه الآثار في العقيدة وأصول الدين القائمة على الوحي فقط ومهمة النظر والعقل السليم والاستدلال في ضوء النصوص .

(١) انظر عقيدة الإيمان بالبعث : إسماعيل جودة ، (٧٨) دار الطيف للمطبوعات ط : الأولى ، عام

١٩٨٨/١٤٠٨ هـ ، وانظر أيضاً : جهم بن صفوان خالد العسلي (١٢) بغداد ، مطبعة الإرشاد

المطلب الرابع : آثار الشك في القدر

تمهيد :

يعتبر باب القضاء والقدر من أهم المباحث العقديّة التي قررها الإسلام وأسهبّت نصوص القرآن والسنة في إبرازه وبيانه وذلك لكونه يعالج قضية الإرادة ، والتأثير الإنساني وعلاقة الإنسان بفعله وما يترتب عليه مصيره بالإضافة للامسته لواقع الناس العملي من حيث غناهم وفقدهم وعافيتهم وسقمهم ووجودهم العام في الدار الدنيا وما جبلت عليه هذه الدار من الأفراح والمصائب وأنواع التقديرات المختلفة .

وقد عالج هذه القضية الأعم الأغلب من مفكري العصور وعلماء الحضارات الباحثين عن الحلول والعلاج لما يتعرض له الإنسان من المشكلات المختلفة فتنوعت أطروحاتهم وتحليلاتهم وفق المنهج والعقيدة المنطلق منها كل باحث ومفكر فأنت آراؤهم ونتائجهم مختلفة ومتباينة بداية من تصوير المشكلة القدرية ونهاية بالحلول والتصورات النهائية لها .

وهذه المسألة قد نوقشت من قبل البعثة المحمدية وبعثة الإسلام لتعلق الناس بها وحاجتهم لها منذ العصور القديمة وسنخرج في هذا المبحث على الآثار التي وجدت في هذا المعتقد والأصل العظيم ألا وهو القضاء والقدر وسنحاول أن نبرز النتائج والآثار التي حدثت فيه من جراء استخدام الشك المنهجي والنظر العقلي في مباحثه ومتعلقاته ونحاول التعرّيج على أهم المسائل والإفرازات التي أحدثت فيه سواء على المستوى التنظيري المعرفي وما احتوته كتب

الفلاسفة وأهل الكلام أو على المستوى التطبيقي العملي وما حدث من عقائد وانحرافات في هذا الأصل العظيم .

ويجب أن ننوه أولاً إلى مذهب أهل السنة والجماعة إجمالاً في هذه المسألة ثم سنعرض لبعض الردود والإلزامات التي ذكرها بعض السلف رداً على الآثار والاعتقادات المختلفة عند المنحرفين عن المنهج القرآني والنبوي في هذه المسألة .

فأهل السنة والجماعة يثبتون القدر ويجعلون الله سبحانه وتعالى خالقاً لكل شيء ويثبتون للإنسان الإرادة والمشية الخاضعة لمشيئته سبحانه وتعالى كما يثبتون للعبد القدرة ويجعلونه هو وأفعاله مخلوقاً لله تعالى (١) .

ظهرت و بسبب إدخال النظر العقلي ومتعلقاته في القدر وسيوضح ذلك جلياً في الآثار التي سنشرع في ذكرها الآن وستكون طريقتنا أن نورد الأثر ثم في أثناء التعليق عليه سأشير إلى مصدره ومن قال به سواء من أهل الجبر أو نفاة القدر أو كليهما ومن أهمها ما يلي :

أولاً : نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله أو جعلها منسوبة للعبد وهذا الأثر يظهر جلياً في عقيدة الأشاعرة فهم يقولون : إن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر المأمورات ، لا لعلة ولا لداع ولا باعث

(١) انظر: القضاء والقدر في الإسلام: فاروق الدسوقي (٣٨/١) ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٩٦ م. وانظر أيضاً: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن محمود (١٣٠٨/٣).

، بل فعل ذلك لمحض المشيئة ، وصرف الإرادة دون أن يصح أن نصف ذلك بحكمة أو تعليل^(١) .

والأشاعرة عندما نفوا الحكمة والتعليل كان بسبب الحجج العقلية واللوازم الباطلة التي ألزموا بها من يقول بالحكمة وفق مناهجهم التي أدخلوها في القدر فهم يحتجون بحجة الكمال والنقصان ومعناها عندهم " أن الله لو خلق الخلق لعله كان ناقصاً بدونها مستكماً بها ، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء ، أو يكون وجودها أولى به ، فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها ، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به ، فيكون مستكماً بها ، فيكون قبلها ناقصاً " ^(٢) .

كما أنهم يجعلون إثبات الحكمة للفعل يستلزم التسلسل ، فإن الله إذا فعل الفعل لعله ، فتلك العلة أيضاً حادثة فتفتقر إلى عله ، وهكذا إلى غير نهاية وهو باطل .

ويشير ابن تيمية إلى مذهبهم هذا بقوله " وكثير من المثبتين للقدر من أهل الكلام ، ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب ، وإن خالفوه في بعض ذلك ، إما نزاعاً لفظياً ، وإما نزاعاً لا يعقل ، وإما نزاعاً معنوياً ، وذلك كقول من زعم أن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة ، وجعل الكسب مقدوراً للعبد ، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور ، وهؤلاء المتبعون لجهم يقولون : إن العبد ليس بفاعل حقيقة ، وإنما هو كاسب حقيقة ، ويثبتون مع

(١) انظر : الإرشاد : الجويني (٢٦٨) . وانظر : الفصل : ابن حزم (١٧٤/٣) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٨٣/٨) .

الكسب قدرة لا تأثير لها في الكسب ، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء ، ولكن قرنت به من غير تأثير فيه ، وزعموا أن كل ما في الوجود من القوى ، والطبائع ، والأسباب العلوية والسفلية كقدرة العبد ، لا تأثير لشيء منها فيما اقترنت به من الحوادث ، والأفعال ، والمسببات ، بل قرن الخالق هذا بهذا لا لسبب ، ولا لحكمة أصلاً " (١) .

أما المعتزلة فهم يثبتون الحكمة ولكن هذه الحكمة تعود إلى العباد ولا تعود إلى الرب بناء على أن في أفعال العبد ما هو ظلم وقبيح ، وهي تنافي عدل الله وحكمته ، فلو كان الله خالقاً لأفعال العباد على ما فيها من ظلم وقبح وكذب لكان الله — تعالى — ظالماً مرتكباً للقبائح والشُرور (٢) .

وهم ينسبون هذه الحكمة للعبد دون الله بناء على أصل " العدل " الذي هو من أصولهم الخمسة المشهورة وفي هذا يقول القاضي عبدالجبار " وذلك يوجب قبح بعثة الأنبياء وبطلان الشرائع أصلاً ، وألا يفرق بين المحسن والمسيء ، وأن يرتفع المدح والذم ، والثواب والعقاب " (٣) .

وعلى ما سبق فيتضح أن الأشاعرة عندما نفوا الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ونسبها للمعتزلة للعبد دون الخالق كان بسبب القوانين العقلية والشبه الفلسفية التي أدخلوها في القدر فنتج عن ذلك هذا الانتقاص الكبير لله سبحانه وتعالى ، والجهل الشديد بمقاصد

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤٦٧/٨) .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة : القاضي عبدالجبار (٣٤٥) .

(٣) المرجع السابق : (٣٣٤) .

الخلق وإيجاد الكون وكأن الله سبحانه يخلق ويوجد دون حكمة ودون هدف وهذا يتنافى مع كل القواعد الشرعية والنصوص السماوية التي تشير إلى حكمة الله وحسن تدبيره والشواهد كثيرة من كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه .

مما لا يحصى ولا ويعد ولكن كل هذا لم يمنع المنادين بالنظر والشك وإدخالها في المباحث الشرعية من إنكار حكمته سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد. (١)

ثانياً: الغلو في التحسين أو التقبيح العقلي للأفعال أو إقصاؤه مطلقاً:

وأهل الكلام عموماً في تعاملهم مع القضايا الاعتقادية يغالون في اعتماد التقارير العقلية التي ابتدعوها وتعاملوا من خلالها مع النصوص والأصول الشرعية ومنها مبحث القدر.

فالمعتزلة وبناء على إنكارهم للقدر بسبب القاطع العقلي الذي يؤكد أن الأفعال على صفة نفسية ذاتية من الحسن والقبح ، وأن الشرع إذا ورد كان مخبراً عنها لا مثبتاً لها ، فوصف الحسن والقبح ذاتيان للحسن والقبح ، فالحسن حسن لذاته ، كذلك للأبد على كل حال والقبيح قبيح لذاته ، كذلك للأبد ، على كل حال . كما يقول القاضي عبدالجبار " إنَّ القبيح لا يثبت قبيحاً بقول الرسول ، وإنما يكشف قوله عن حاله ، فيكون كالدلالة عليه " (٢) .

(١) انظر : شفاء العليل : ابن القيم (١/١٣٢) .

(٢) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبدالجبار (٣٠٢) .

وبسبب هذا التحسين العقلي للأفعال نشأ أثر أخطر بسبب الغلو في التحسين العقلي .

وهو إيجاب العقاب بناء على حسن الأشياء وقبحها حتى قبل مجئ الرسل فالمعتزلة قالوا : قبح الظلم والشرك والكذب والفواحش معلوم بالعقل ، ويستحق عليها العذاب في الآخرة وإن لم يأت رسول وينقل الشهرستاني إجماع المعتزلة على أن استحقاق العقاب والخلود في النار يعرف قبل ورود السمع (١) .

وهذا ولاشك فيه استغناء عن الدين بكليته وجعل بعث الأنبياء والرسل نوعاً من العبث وعدم الضرورة .

أما الأشاعرة فلمخالفتهم الدائمة للمعتزلة وبناء على ما قرروه سابقاً من نفي الحكمة واثبات المعتزلة لها فقد التزموا القول بنفي التحسين والتقبيح العقلي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " والمقصود هنا التنبيه على لوازم ذلك ، فإن نفاه ذلك - أي نفاه التحسين والتقبيح - نفوا أن يكون في الممكن فعل ينزه عنه ، فليس عندهم فعل يحسن منه ، وفعل ينزه عنه ، بل عندهم تقسيم الأفعال ، أفعال الرب والعبد إلى حسن وقبيح لا يكون عندهم إلا بالشرع ، وذلك لا يرجع إلى صفة في الفعل ، بل الشارع عندهم يرجح مثلاً على مثل " (٢) .

ويقول الجرجاني مبيناً مذهبهم " ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها وليس ذلك أي حسن الأشياء وقبحها عائد إلى أمر

(١) الملل والنحل : الشهرستاني (١/٥٩) .

(٢) النبوات : ابن تيمية (١/٤٥٢) .

حقيقي ، حاصل في الفعل قبل الشرع ، يكشف عنه العقل ، كما تزعمه المعتزلة ، بل الشرع هو المثبت له والمبين ، فلا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشرع ، ولو عكس الشارع القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتعاً وانقلب الأمر ، فصار القبيح حسناً والحسن قبيحاً " (١) .

وهنا نرى الأشاعرة تعطل العقل ولا تسمح له بإطلاق الأحكام على الأفعال وهذا ليس إلا محافظة على اللوازم التي التزموها سابقاً من نفي الحكمة والتعليل وهكذا نجد أهل الكلام متناقضين مضطربين في إثبات الأصول الشرعية وفق المنهج العقلي فهم يفترضون افتراضات قد تكون ظنية وغير يقينية ثم يبنون عليها معتقدهم ويلتزمون كل اللوازم العقلية التي تؤيدها تلك الافتراضات ولا يأبهون بالنصوص الشرعية بل ولا يعتدون بها في مقابل ما ظنوه قطعياً في دلالاته وثبوتيه.

ونختم هذا المبحث بأن نشير إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: الذي يعبر به عن مذهب السلف رحمهم الله في هذه المسألة وهو أن الظلم والشرك والكذب والفواحش كل ذلك قبيح قبل مجيء الرسول ، لكن العقوبة لا تستحق إلا بمجيء الرسول (٢) .

ويؤكد أيضاً أن القول بالتحسين والتقبيح الشرعي دون العقلي الذي أتى به الأشاعرة هو بسبب الجبر في القدر كما صرح به الرازي فإنه أثبت أن العبد مجبور على فعله القبيح ، فلا يكون

(١) شرح المواقف : للقاضي عضد الدين لايجي : للسيد الشريف الجرجاني (٢٥/٢٠٢) ، تحقيق محمود الدمياطي ، دار الكتاب العلمية لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٨/٦٧٧) ، (١١/٦٧٦) .

شيء من أفعال العباد قبيحاً ويرى أن هذه الحجة هي في الأصل حجة المشركين المكذبين بالرسول الذين قالوا { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء }^(١) فإنهم نفوا قبح الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله من الطيبات بإثبات بالقدر لكن شيخ الإسلام يستدرك فيقول " لكن هؤلاء الذين يحتجون بالجبر على نفي الأحكام إذا أقروا بالشرع لم يكونوا مثل المشركين من كل وجه ، ولهذا لم يكن المتكلمون المقرون بالشرعية كالمشركين وإن كان فيهم جزء من باطل المشركين" ^(٢) .

ويشير أخيراً إلى أن الأشاعرة وكذلك المعتزلة ليس لهم حجة على قولهم في التحسين والتقبيح ، سوى أخذهم ببعض النصوص دون بعض ^(٣) وهذا من الاضطراب في المنهج والانتقائية وإهمال النصوص الشرعية التي كررنا الإشارة إلى ذلك كثيراً وأنه سمة من سمات المنهج الكلامي عموماً .

ثالثاً : وصفهم الله سبحانه بما لا يليق :

وأهل الكلام ومن جراء إعمالهم للنظر والأقيسة العقلية في مباحث القدر ألجأتهم بعض اللوازم التي التزموها إلى أن يصفوا الله سبحانه وتعالى بما لا يليق ويمكن أن نشير لأمرين من أقبح ما التزمه المذهب الأشعري على وجه الخصوص وهي :

أ – أن الله سبحانه يكلف عباده ما لا يطيقونه :

(١) الأنعام آية (١٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٦ / ٢٤٦) .

(٣) انظر :مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٣٤٨/١١) (٤٩٨/١٦) .

فالأشاعرة وبناء على مذهبهم في أنه لا يجب على الله شيء ولا يقبح منه شيء يجيزون أن يكلف الله عباده ما لا يطيقون والذي لا يطيقه العباد أقسام ثلاثة كما يدعون هي :

١- أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه مثل تكليف الكافر الإيمان في حال كفره وهذا جائز الوقوع عند جميع الأشاعرة .

٢- أن يمتنع الفعل لنفسه ، لكونه محالاً كالجمع بين الضدين وقد اختلفوا في وقوعه وممن يجيزه الرازي .

٣- ألا تتعلق به القدرة الحادثة كحمل الجبل والطيران وهذا يجوزه أكثر الأشاعرة^(١).

وهذه الإلزامات هي نتيجة لما أحدثوه وافترضوه من المنهج المخالف لمنهج الوحي في دراسة هذا الأصل العظيم .

ب - تجويزهم وقوع الظلم من الله سبحانه وتعالى :

وهذا الأثر متفرع من الأثر السابق وهو التحسين والتقييح وهذا التجويز عند الأشاعرة وهو مبنى على مذهبهم في القدر وميلهم فيه إلى مذاهب الجبرية ، إذ إنه لو قيل لهم : فكيف يعذب الله العباد على ما جبرهم عليه ، فهذا ظلم ، فيقولون : هذا منتفٍ و ليس بظلم لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير أو مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ، وهذا منتفٍ بالنسبة لله . وعلى هذا فهم يقولون إنه لو عذب الله المطيعين ونعم العاصين لم يكن ظالماً ، بل لو عذب

(١) انظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٩٥/٨) .

أنبياءه وملائكته وكرم أعداءه من الكفار والشياطين لم يكن ظالماً
(١).

ولا شك أن هذا فيه جرأه على مقام الله سبحانه وتعالى
وتجاوز صريح على النصوص الشرعية الواضحة التي يبين الله
فيها عدله وهدايته وتحريم الظلم على نفسه .

ولعل من أشهرها حديث أبو ذر المشهور " يا عبادي إني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .." (٢)
وليس المقام هنا مقام التوسع في الرد عليهم .

(١) انظر: التمهيد للباقلاني (٣٨١) ، شرح الأصول الخمسة للقاضي : عبد الجبار (٤٣٤) منهاج السنة : ابن
تيمية (٣١٨/١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧) ورواه أيضاً الإمام أحمد في المسند
(١٥٤/٥) .

المبحث الثاني: آثار الشك في الشريعة

تمهيد :

الدين الإسلامي كل كامل لا يتجزأ ولا يتفرق ، ومنظومة متكاملة ومترابطة ويعتبر أي خرق أو هدم لهذا الكيان وهذه المنظومة خرقاً مؤثراً في الكل عامة .

لذا فالشكاك عندما مارسوا التشكيك في الأصول الإسلامية المعرفية واستخدموا النظر العقلي بديلاً ومقديماً على النص الإلهي سواء في الجوانب المنهجية أو الجوانب الاعتقادية الكبرى وانتهى بهم ذلك الى تقرير تلك الأقيسة والمناهج العقلية الفلسفية التي أثرت ولا شك في الجوانب التشريعية التي أتى بها الإسلام ، ، ولكن التأثير وقع من ناحية الإنسان المسلم وتفكيره وذلك بحسب قربه وبعده عن منهج النبوة فقد استطاع المنهج العقلي التشكيكي هز ثقة و يقين فئة من المجتمع الإسلامي أشربت في نفوسها حب العقل والنظر الفلسفي وصادف ضعف إيمان فانطلقت في تراثنا تبحث عما يسوغ لها اطراح الشريعة الإسلامية أو تحييدها بعيداً عن جوانب الناس العملية ، بالإضافة إلى قبول غيرها من المناهج والشرائع الوافدة التي فتن بها هؤلاء القوم واعتبروها هي الحل لما يعيشه المسلمون من تخلف وتراجع عن بقية الأمم بل ووصل الغلاة منهم إلى جعل تحكيم الشريعة هو السبب في تخلفنا عن ركب التقدم ومجاراة الحضارات الغربية والشرقية المتقدمة ، والذي نريد أن نناقشه هنا ونبينه ونؤكد عليه أن استخدام الشك منهجاً أو ممارسة قد ألقى بظلاله على الجانب التشريعي الإسلامي وسنحاول في هذا المبحث

إلقاء الضوء على بعض الآثار التي أحدثتها ذلك في الجانب التشريعي الإسلامي مبينين أثناء ذلك ، هل كان هذا التأثير بسبب الشك كمنهج وطريقة ؟ أم أنه بسبب الشك الاعتقادي أم بسببهما جميعاً أما الشك الهادم فقد أسلفنا أنه لم يوجد عند الفلاسفة الإسلاميين مطلقاً سائلين المولى العون والتوفيق

ومن أهم الآثار التي أحدثتها الشك بأنواعه ما يلي :-

أ - القول بعدم وجوب تحكيم الشريعة :

وهذا الأثر يعتبر من أهم الآثار وأخطرها ونحن لا نتجنى على المدرسة والمنهج الشكي عندما ننسب له هذا الأثر الخطير والهادم في الجانب التشريعي الإسلامي .

فإن الناظر للأطروحات والآراء التي يقول بها الداعون إلى الشريعة الإسلامية عن مسرح الحياة العملي نجد أنهم ينطلقون من منطلقات عقلية بحتة ، وينهجون منهجاً عقلياً صرفاً ، يمارسون من خلاله إقصاء الجانب النصي الشرعي وتأخيرته وتقديم الآراء والحجج العقلية ممارسين في نفس الوقت التشكيك في الأحكام والآثار الإلهية والنبوية وجاعلين منها نماذج وأخطاء لا تستحق بأن تكون موجودة في العصر الحاضر الذي عم فيه التقدم وتقدمت فيه البشرية ما يجعل التمسك بهذه الاعتقادات والتشريعات نوعاً من التخلف والتأخر .

وانظر إلى عبارات الترابي عندما يقول : " لم تعد بعد صور الأحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ ألف سنة تحقق مقتضى الدين اليوم ، ولا توافي المقاصد التي يتوخاها ، لأن

الإمكانات قد تبدلت ، وأسباب الحياة قد تطورت ، والنتائج التي تترتب على إمضاء حكم بصورته السالفة قد انقلبت انقلاباً تاماً (١) .

وهذا محمد أحمد خلف الله يصرح بأكثر من هذا عندما يقول: " نظام الحكم في الإسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص وعلى الجماعات الدينية أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهاد جديد ، والفكر السياسي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلوم السياسية أن تجتهد فيه " (٢) .

ولو أردنا أن نتتبع مثل هذه الأقوال والتصريحات لطلال بنا المقام ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق ولكن الذي نريد أن نقرره هنا ونؤكد عليه أن هذه النتيجة وهذه الآراء التي وصل إليها هؤلاء القوم سواء بالتقرير .

أوالتنظير في مؤلفاتهم أو عن طريق الواقع العملي الذي وصلت إليه المجتمعات التي لا تحكم الشريعة ، أنها جميعاً كانت أثراً مباشراً أو غير مباشر لمبدأ الشك سواء كان منهجياً عقلياً أو كان اعتقادياً هادفاً .

ولعل من أدل هذه الأمور أن دعاة العقل والنظر العقلي سواء من المتكلمين القدامى أو من المعاصرين يشترطون الأخذ بالمتواتر دون الآحاد بدعوى الحجة العقلية التي تفيد أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين وأن دلالته غير قطعية وذلك وفقاً لأحكام العقل وعلى

(١) تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترابي ، (٩٠) الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .

(٢) الاجتهاد والحكم الإسلامي ، محمد احمد خلف الله ، مجلة العربي ، عدد ٣٠٧ ، رمضان ١٤٠٤ هـ .

هذا فما عدا المتواتر فهو مشكوك فيه ولا يقطع بصحته سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في المسائل التشريعية ، وهذا شك واضح في أغلب الشريعة والدين فإن الأعم الأغلب من الآثار والنصوص النبوية لم يرو متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك سلط هؤلاء أقوالهم ومناهجهم على خبر الآحاد فجعلوا كل حكم أو عقيدة صادرة عنه مداراً للتشكيك والتميع ، وقد أشرنا الى كثير من النصوص التي أوردوها في مجال العقائد وحديثنا هنا منصب على الجانب التشريعي، ولذلك خصه دعاة المدرسة العقلية بمزيد من الاهتمام ليس تعزيراً له بل هدماً (وتشكيكاً وضرباً لمسائله ببعض) .

وهذا عبدالله العلابي يقول : " اني في الواقع لا أقول ولا أعتد إلا بالتنزيل الكريم ، وبالمشهور من الحديث الذي في قوة المتواتر ، وبالمنطق الفقهي الشامل لعلوم الخلاف والأصول والاستدلال ، وما عدا ذلك لا ارتفع ولا أرقى به من مقام الاستئناس إلى مقام الحجية"^(١).

وإذا انتقلنا إلى مسألة أخرى وابتعدنا قليلاً عن اشتراطهم للحجية وتواتر النص نجد أنهم يشكون في السنة القولية ولا يثبتون إلا السنة العملية أما القولية فهي مروية بالمعنى وهي عموماً من الآحاد المشكوك في صحته ودلالته ، يقول أبو رية : " وسنن الرسول المتواترة ، وهي السنن العملية وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوماً عندهم بالضرورة ، كل ذلك قطعي لا

(١) أين الخطأ : عبدالله العلابي (١٩) دار الجديد بيروت ، ١٩٩٢ م .

يسع أحداً جرده أو رفضه ، بتأويل أو اجتهاد ككون الصلاة المفروضة خمساً ... هذه هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأما أن يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث " (١) .

وقبله يقول محمد رشيد رضا : " إن سننه التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وأصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية " (٢) .

وهم أيضاً قد مارسوا التشكيك في الشريعة وفي صلاحيتها لحكم الأوطان في هذا الزمان بتشكيك آخر تعاقبوا جميعاً على اعادته والتنظير له في مؤلفاتهم ومقالاتهم ألا وهو تقسيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سنة تشريعية مقبولة الأحكام وإلى سنة غير تشريعية لا تقبل أحكامها وتشريعاتها ، وجعلها إنما صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم من باب العادة والعرف فهي صالحة لعهدده صلى الله عليه وسلم ومجتمعه النبوي فقط ، ونحن غير ملزمين بها في عصرنا الحاضر ، فلا ينبغي العمل بمقتضياتها وأحكامها وجعلوها هي الأعم والأغلب من أقواله وأحكامه صلى الله عليه وسلم والبقية الباقية والتي هي الأقل والأندر هي من التشريع الذي نحن ملزمون به . حاشية العصرانيون

يقول أحمد كمال أبو المجد : " والوحي إليه صلى الله عليه وسلم هو جميع القرآن وبعض ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم

(١) أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ، (٣٥١) ، مطبعة التأليف بمصر ، ط الأولى ١٣٧٧هـ — ١٩٥٨ م .

(٢) مجلة المنار : المجلد العاشر ، (٨٥٢) .

من قول أو فعل أو تقرير ، وليس كل ما صدر عنه من هذه الأقوال الثلاثة وحيأ يوحى " (١) .

ثم يعقب أيضاً بقوله : " إن كثيراً من أقواله صدرت عنه بحكم تلك البشرية دون أن يكون المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده " (٢) .

ويفصل الشيخ محمود شلتوت بقوله : " السنة تشريع وغير تشريع وينبغي ان يلاحظ أن كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ودون في كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته على أقسام:

أحدها : ما سبيله سبيل الحاجة البشرية : كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية والشفاعة والمساومة في البيع والشراء .

ثانيهما : ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية كالذي ورد في شؤون الزراعة والطب وطول اللباس وقصره .

ثالثهما : ما سبيله التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة ، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة ، والكمون ، والكر والفر ، واختيار أماكن النزول ، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة .

(١) مجلة العربي عدد ٢٢٢ ، (١٩) .

(٢) نفس المرجع ، (٢٠) .

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طالب الفعل أو الترك وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس عمل الرسول صلى الله عليه وسلم فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع (١) .

ونحن لا نعترض على أساس هذا التقسيم في أصله ولكن إعتراضنا أن يعمم في كل المسائل الشرعية الأصلية ويجعلها من باب السنن غير التشريعية دون أن يكون له ضابط شرعي معتبر .

ونحن في نهاية تقرير هذه المسألة نوكد أن باب التشكيك في الشريعة وفي النصوص واستخدام الشك المنهجي المتضمن التقديم للعقل على النقل هو الذي أدى إلى القول باطراح الشريعة الإسلامية أو كان عاملاً مساعداً في ذلك على الأقل في الجانب التنظيري التشريعي مع ما ساندته في الجوانب العملية من ضعف الأمة وتسلط المستعمر وضعف الوازع الديني والرغبة في تحقق المصلحة سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة وغيرها من العوامل التي ليس مجال بحثها عندنا هنا .

ب - قبول المناهج التشريعية الوافدة :

ان من أهم النتائج التي أفرزها المنهج التشكيكي وخاصة في الجانب التشريعي هو قبول المناهج الحكمية التشريعية الوافدة على المسلمين من الديانات والحضارات الأخرى وذلك أن الذي يقبل ويتعاطش لمنهج تشريعي غير إسلامي وهو من المسلمين يمارس أعلى درجات الشك والإنكار لصلاحيته دينه وشريعته فلجأ تحت ضغط هذا الشك إلى قبول المناهج غير الإسلامية.

(١) الإسلام عقيدة وشرعية : محمود شلتوت ، (١٧) دار الشروق ١٩٩١ م .

لهذا فإن بعض المسلمين ممن أشرب هوى بعض المناهج الغربية حاول التوفيق بينها وبين الإسلام وحاول أن يدمج بين نظام الإسلام والنظام الديمقراطي على سبيل المثال دون اطراح للإسلام كلية وهؤلاء لا نستطيع أن نخرجهم من دائرة الإسلام ولكنهم يغفلون ويتجاهلون أصول هذه الديمقراطية التي قامت في الأصل على رفض سلطة الدين والحكم باسم الله في الأرض (١) .

وهؤلاء القوم المنادون بهذه المناهج ينطوي قولهم على تشكيك في حكم ونظام الإسلام الخالد وعدم ثقتهم فيه على إدارة وتسيير أمور العباد وعدم ملائمتهم لهذا الزمان ويرون في هذا المنهج الديمقراطي منهجاً أفضل وأصلح من المنهج الإسلامي ومن هؤلاء محمد سليم العوا الذي ينادي ويعلن أن " الديمقراطية في هذا العصر هي الوسيلة المثلى لتولية الحكام وعزلهم ، ولم يعرف البشر حتى اليوم نظاماً أفضل من نظام الانتخابات الحر الذي يصوت فيه الجمهور بحرية حقيقية يشهدها الكافة ، لمن يشاء من الناس أن يتولى (٢) .

وقد انصبت جهود هؤلاء الكتاب والمنظرون على التبشير بهذه النظم وإحسان الظن بها محاولين تزيينها في أعين الناس والجماهير المسلمة مما أنشأ جيلاً ينادي بالديمقراطية الغربية ويجعلها هدفاً في حد ذاته وينظر إليها على أنها هي الشورى الإسلامية ، وفي هذا من التدليس والخلط الكبير للمفاهيم والأصول الشرعية التي لا تخفى على عاقل ومنصف .

(١) انظر : التجديد في الفكر الإسلامي : عدنان محمد أمان ، (٥٧) .

(٢) انظر : إسلامي في طريق التجديد محمد سليم العوا ، (٤٩) المكتب الإسلامي ، بيروت ط الثانية .

ج - تميع بعض المسائل والأحكام الشرعية :

إن إدخال النظر العقلي والمذهب الشكي في الجانب التشريعي يؤدي وبلا شك إلى تحريف وتغيير بعض الأصول الشرعية التي استندت في أحكامها وتعلقاتها على النص القرآني والنص النبوي ، حيث إنها أحكام شرعية مصدرها صاحب الشريعة ، ولذا استمر الحال في العمل بها وإعتبارها حتى أتى الجانب التشككي وأسلط سيفه عليها فرأينا كثيراً من الأحكام والأصول الشرعية صارت مداراً للأخذ والرد ، وصار الدخلاء على الحكم الشرعي يشككون فيها ويميعونها ويمارسون عليها أحكام العقل والنظر فظهر التساهل في هذه الأحكام أو التحريف لها أو قصور عن العمل بها أو تبديع واتهام من مارسها أو نادى بها ونادى بالعودة لأصل هذه الأحكام الشرعية ، وسأعرض في هذا المبحث لبعض منها مما عم وطم وشاع بين ظهرائي الأمة معرضاً عن بعض الأحكام الفرعية أو التفصيلات الجزئية التي هي أيضاً مناط خلاف ومدار تساؤلات عند فئام كثيرة من العصرانيين والعقلانيين والتي إن سكتوا عنها حيناً من الدهر إلا أنهم يعودون ويتبادلون الأدوار وينبشونها ويثيرونها بين الحين والآخر ومن أهمها :

أولاً : محاولة إلغاء عقوبة المرتد :

إن عقوبة المرتد من الأحكام التي وضحها الإسلام توضيحاً تاماً لا مجال فيه للبس أو التشكيك ، فقد نصت الأحاديث على قتله صراحة فقال - ﷺ - : " من بدل دينه فاقتلوه " (١) وفي الحديث

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير برقم (٢٧٩٤) .

الآخر " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ... وذكر منها التارك لدينه المفارق للجماعة " (١) .

ولكن البعض من حاملي راية العقلانية والتمدن ينكرون هذه العقوبة ويشككون في ثبوتها تحت ستار الحرية الدينية وخيار التدين المفتوح الذي ليس له رقيب ولا حسيب ويتبارون في إنكار تأويل الأحاديث الصحيحة والثابتة القطعية الدلالة .

ولو نظرنا إلى موقف أبي بكر الصديق — رضي الله عنه وأرضاه — نجد أنه طبق هذا الحكم على من ارتد من العرب وقاتلهم بل إنه عد مانعي الزكاة من المرتدين وقاتلهم ، وعندما نازعه عمر — رضي الله عنه وأرضاه — كان جوابه المشهور : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله — ﷺ — لقاتلتهم على منعها " (٢) .

فمن ينكر ويشكك في هذه العقوبة يجعل هذه الأحاديث منصبية على المرتد الذي يحمل السلاح ويقاثل المسلمين ويجعل خروجه من الدين حركة عصيان مدني تستهدف زعزعة الأمن والخروج عن الجماعة أما لو عدل عن دينه دون أن يثير أي قتال أو حروب فإن ذلك من الحرية الدينية التي كفلها له الإسلام ومن هؤلاء الغنوشي ، حيث يجعل قتال أبي بكر الصديق للمرتدين من هذا الباب فيقول : " إن أبا بكر لم يقاثل في المرتدين حركة فكرية

(١) رواه مسلم ، كتاب القسامة والغازيين والقصاص برقم (٣١٧٥) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الزكاة برقم (١٣١٢) ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٩) .

كان يمكن أن تواجه بمثلها ، وإنما قاتل فيهم حركة مسلحة ضد السلطة التشريعية لغرض التجزئة عوداً إلى الوضع الجاهلي : التجزئة وغياب السلطة السياسية" (١) .

ونحن لا نعلم أين سيذهب الغنوشي بقول أبي بكر الصريح : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " وتصريحه بأن السبب هو عدم تأدية الزكاة وليس لأنهم قاتلوه أو أرادوا الخروج المسلح على السلطة السياسية .

والبعض يتأول أحاديث الردة بأن هذه العقوبة ليست من الحروب الشرعية الواجبة على المسلمين في كل زمان ومكان بل هي عمل مصلحي عمله الرسول ﷺ - في زمانه لأنه رأى أنها العقوبة المناسبة في ذلك الوقت ، أما في الزمن الحاضر فهي خاضعة لتقدير الإمام والحاكم إن شاء عملها وإن شاء تركها مع أن الأفضل والأصلح عدم تطبيقها وعدم نشرها حتى يظهر للناس عدل الإسلام وسماحته مع مخالفيه وأنه تكفل بحرية الأديان وإن من شاء اعتنق الإسلام ، ومن شاء خالفه.

وفي هذا يقول الشيخ يوسف القرضاوي : " إن النبي ﷺ - حين قال : " من بدل دينه فاقتلوه ، قالها بوصفه إماماً للأمة ، ورئيساً للدولة أي أن هذا قرار من قرارات السلطة التنفيذية وعمل من أعمال السياسة الشرعية ، وليس فتوى وتبليغاً عن الله ، تلزم به الأمة في كل زمان ومكان وحال " (٢) .

(١) محاور إسلامية راشد الغنوشي ، (٦٤) دار اقرأ للطباعة صنعاء ، ١٩٩٢م .

(٢) الخصائص العامة للتشريع الإسلامي: يوسف القرضاوي ، (٤٠) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣

ويتابع محمد سليم العوا هذا القول فيقول : " العقاب المشروع على جريمة الردة هو عقاب تعزيري " (١) .

وهذه الدعوى من أخطر الدعاوي ، حيث أنها تمثل خطراً عظيماً أن فيها تمييزاً لأصول الدين وفتح الباب لأصحاب الاعتقادات والدعاوى الخارجة عن الدين لنشرها بين المسلمين دون أن يتصدى لهم أهل الإسلام ويقمعوا باطلهم ويمنعواهم من نشره بين المسلمين

وهذا الأمر من أخطر الأمور على اعتقادات الناس واجراها على انتهاك حرمة الشريعة الإسلامية .

الثالث : أن في ذلك انهزاماً كبيراً وتخاذلاً عظيماً وعدم اعتزاز بهذا الدين العظيم الذي عم هديه ورحمته أقطار الدنيا وعاش الناس عدله واستقامته ولكن هؤلاء القوم يجارون ويقلدون الغرب الكافر الملحد ويحاولون أن يبرزوا أمامه بصورة المسلم العصري المتساهل في دينه المتسامح مع الآخر الذي لا يرى هناك أي مشكلة في التعامل المفتوح المنعقد من كل ضوابط الدين مع الآخر حتى يظهروا أمامهم في أفضل صورة وينالوا استحسان الغربيين ورضاهم ولكنهم لم يلقوا منهم إلا الاستهجان لأنهم لم ينسلخوا من عقيدتهم ودينهم كما يريد الغرب ولم يسلم لهم اخوانهم المسلمين الذين لا يتقنون إلا بالمصادر الشرعية الأصيلة .

ثانياً : التساهل مع الكفار وإبطال الجزية عليهم :

أتى الإسلام حريصاً كل الحرص على حماية المجتمع المسلم وصيانة أفراده والحرص على وحدته وترابطه وحارب ونبذ

(١) الفقه الإسلامي في طريق التجديد :عدنان امامه (٥٥) .

كل دخیل علیه وفي نفس الوقت أعطى المسلم أهميته وفضله على غيره من العالمين فأعطاه الأفضلية داخل مجتمعه وخارجه وبين له كيفية التعامل مع الكفار وأهل الذمة الذين يعيشون بين ظهراني المسلمين فلم يبخلهم حقوقهم ولم يضطهدهم ولكنه في نفس الوقت وضع فروقاً وفواصل شرعية لا يتجاوزها المسلم حين يتعامل مع الذميين أو الكفار عموماً وأتت الآيات والأحاديث تؤكد ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك أشد البیان بسيرته العملية مع من كان يعيش في المدينة أو مع الكفار المعادين للدعوة الإسلامية وكذلك سار من بعده أصحابه وخلفاؤه الراشدون وبهذه الأحكام والتشريعات انضبطت الأمور وسارت على أحسن ما يرام وعرف أهل الذمة والكفار حقوقهم فلم يتجاوزوها وعرف أهل الإسلام أحكام غيرهم فصانوها ، لأن القصد من كل هذا أن يبقى المجتمع الإسلامي مجتمعاً متميزاً مستعلياً بدينه وإسلامه ، لأن المشاركة في الهدى الظاهر – الذي أتى الإسلام يحذر منه أشد التحذير – تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين وهذا يقود بدوره إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال ، وهذا أمر محسوس ملموس ، ولأن المخالفة في الهدى الظاهر تؤدي إلى مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف على أهل الهدى والرضوان (١) .

ومع وضوح هذه الأحكام وأصالتها إلا أننا نجد أن العصرانيين ومن سار على منهجهم في التشكيك في أحكام الإسلام

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، (١ / ٧٩) ، تحقيق : ناصر العقل مكتبة الرشد ط :

ينادون بعكس هذه الأحكام وينكرونها ويتمادون في مخالفتها وهي معلومة من الدين بالضرورة ، وهذا من ضعف يقينهم وانهمزامهم أمام أعدائهم ومحاولتهم استجداءهم والركض الأعمى خلفهم فقد يقول الدكتور/ عدنان محمد " تطور الأمر ببعضهم إلى حد اتهام الفقهاء الذين قسموا العالم إلى دار حرب ودار اسلام بالعنصرية ، ودعوا إلى إبطال أحكام أهل الذمة وعلى رأسها الجزية ، وافساح المجال لكل أصحاب المبادئ والعقائد الفاسدة لنشر فكرها بما تشاء وكيف تشاء ، وتمكينها من الوصول إلى استلام الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانية وتداولها السلطة مع المسلمين" (١) .

وهذا محمد سليم العوا يقول : " لغير المسلمين من المواطنين من الحقوق العامة والخاصة ، ومن حقهم تولي الوظائف مثل ما للمسلمين بلا زيادة ولا نقصان " (٢) .

أما فهمي هويدي فلا يرى التعبير الشرعي " أهل الذمة " ويعبر عنه بقوله : أما تعبير أهل الذمة ، فلا نرى وجهاً للالتزام به ، ازاء متغيرات حدثت واذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية ، فإن استخدامه كان من قبيل الوصف ، وليس التعريف ولا يشترط الاصرار عليه دائماً " (٣) .

ولم يقتصر الأمر على نفي الجزية في جانبها العملي بل تعدى الأمر بالبعض إلى المطالبة بإلغائها كمصطلح شرعي واستبدالها بأي مصطلح آخر مع أنها وردت في كتاب الله سبحانه

(١) التجديد في الفكر الإسلامي ، د . عدنان محمد أمامة ، (٥١٦ - ٥١٧) .

(٢) الفقه الإسلامي في طريق التجديد ، محمد سليم العوا (٧٦) مكتبة مدبولي ٢٠٠١ م .

(٣) مواطنون لا ذميون (١٠٨) ط دار الشروق ١٤٠٥ هـ .

وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول البوطي " هل نحن متعبدون بكلمة الجزية هذه ؟ والجواب : ليس ثمة ما يمنع من تسمية مدلول الجزية بأي اسم آخر كرسوم أو حتى صدقة " (١) .

ونصوصهم واطروحاتهم في هذا المجال كثيرة ومتعددة وقد أشرنا هنا الى ما يؤكد موضوعنا وهو ان اتباع النظر العقلي وما يحتويه من المنهج الشكي قد جعل هؤلاء الكتاب والمفكرين لا يعتبرون النص الشرعي في دلالاته ومسمياته الصريحة ويحيدون عنه الى المنهج العصري الذي يجعله رائداً ومتحدثاً باسمه حتى لو خالف القضايا الدينية الأصلية المنصوص عليها في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لأجل ابراز الجانب المتسامح للدين الاسلامي حتى لو أدى الى تعطيل بعض الأحكام الشرعية والذي يجعلونه ديناً مبنياً على العقل والتفتح الفكري البعيد عن الانغلاق والجمود على النصوص .

وهذا فيه مزلق خطير من حيث هو عبث بالمصطلحات الشرعية التي جاء هذا الدين يتعبدنا بها نصاً ومدلولاً فالجزية وأهل الذمة مصطلحات شرعية أصلية جاءت في الكتاب والسنة وعمل بها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومن بعده الخلفاء الراشدين وسلف الامة رضوان الله عليهم فلا يسوغ العدول عنه .

(١) الجهاد في الإسلام (١٣٥) دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٩٩٣ م .

الباب الرابع علاج الإسلام للشك والوقاية منه

وفيه تمهيد و ثلاثة فصول :

- تمهيد
- الفصل الأول / تأسيس اليقين.
- الفصل الثاني/ دحض حجج الشك.
- الفصل الثالث / حكم الشك في المسائل الاعتقادية.

الفصل الأول : تأسيس اليقين :

تمهيد :

لا شك أن الدين الإسلامي أتى لهداية الناس وإخراجهم من الضلالة إلى الهدى وأتى لينقلهم من ظلمات الجهل والغواية والحيرة إلى نور العلم والهداية واليقين .

وهذا الدين تكمن عظمته في كل شيء فيه وتتضح أكثر وأكثر في مجال المعرفة والاطمئنان القلبي الذي هو مبتغى كل إنسان وهو ضالته التي ينشدها ليصل إلى سعادته وبهجته والتي على ضوئها يقوم الدين وتعم الدنيا بالبناء والمعرفة ويتحقق الهدف الأسمى وهو عبادة الله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة ، ومن ثم عمارة الأرض وصنع الحضارة الإنسانية . عندها فقط يشعر الإنسان وبالأخص المسلم أنه ذو فاعلية وذو وجود إيجابي .

أما الحائرون والشاكون فليس لهم حظ من هذه السعادة ، وليس لهم قبس من نور الله سبحانه وتعالى ويقينه فهم تائهون في ظلمات البعد عن الله سبحانه وتعالى مقيدون بالحيرة والشكوك والمناهج الأرضية القاصرة والعاجزة عن توصيلهم إلى يقين الله والأنس به .

وفي هذا الفصل سأعرض للهداية العظيمة التي جاء بها الإسلام والقواعد اليقينية التي أتى بها وقررها في أصوله وأحكامه التي هي كفيلة بتأسيس اليقين في قلب من عقلها واهتدى بهديها

وسار على هذه الخطوات والمصادر وجعلها هي منهجه وطريقه وبها لا غيرها يصل الإنسان إلى تحصيل علم صحيح^(١) ومن أبرزها الوحي والعقل والفطرة الصحيحة والمدركات الحسية وسأعرض لهذه الأمور الأربعة التي هي أهم مصادر المعرفة واليقين عموماً ، التي جاء بها الإسلام وقررها رب العالمين من خلال كتابه ونصوص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ملتزماً جانب الإشارة والإجمال؛ لأن هذه الأمور بابها عظيم وواسع وعليها مدار الدين والدنيا وسنحاول الإشارة لما يهمننا الإشارة إليه دون تجاوز هذا المبتغى بحول الله وقوته .

المبحث الأول: إنزال الوحي وما تضمنه من الهداية والنور :

إن الله سبحانه وتعالى لم ولن يترك عباده يتخبطون في ظلمات التيه والحيرة دون أن يعصمهم بوحيه ونور هدايته التي تجعلهم في قمة المعرفة والبرهان ولذلك أنزل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه هذا الوحي الرباني الذي تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي اشتملت على البراهين واليقينيات وانطوت على القواعد الربانية التي تناسب كل زمان ومكان.

والإنسان في بحثه عن اليقين والمعرفة الصحيحة قبل الوحي أو بعيداً عنه لن يجد من الأدوات أو الوسائل غير الحس والعقل والتي هي و لا شك مصادر صحيحة وضرورية للعقل وهي

(١) انظر الاستقامة : ابن تيمية : (٢ / ٢٩). تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

عامة ومشاعة لكل الناس ، لكن هذه المصادر لن تفيد الإنسان في الوصول إلى اليقين الذي أتى به الوحي السماوي.

فهذه المصادر – الحس والعقل – مهمة جداً وسيأتي مزيد بيان لها وكيف أن الإسلام سخرها واستعملها الاستعمال المناسب ووظفها التوظيف الأمثل لخدمة الإنسان وجعلها عوناً له للوصول إلى اليقين والبرهان الساطع الواضح .

ومع أهمية هذه المصادر إلا أنها وقفت عاجزة وحائرة عن الإجابة على أسئلة ملحة عند الإنسان وذلك أنها توصلت لبعض الحلول والأجوبة الممكنة وذلك فيما يتعلق بالواقع المحسوس المشاهد أو باستنتاج بعض القوانين العقلية وصياغة بعض البراهين الرياضية المرتبطة بالحس والتجربة واستطاع الإنسان أن يوظفها فيما ينفعه ويقدمه في عمارة الأرض وبناء حضارتها .

لكن هذه المصادر وقفت حائرة عاجزة عن الإتيان بجواب مفيد وواضح فيما يتعلق بعالم الغيب وعن أصل الإنسان وخلقته وعن مصيره والحكمة من إيجاده كما أنها لم تستطع أن تبني حياته الدنيوية بناءً مقنناً مشرعاً منضبطاً يسيرها ويحدد معالمها بكل وضوح .

ولذلك كله تكفل الدين الإسلامي بالإجابة عن هذه الأسئلة في أجمل عبارة وفي أكمل بيان وذلك كله عن طريق الوحي السماوي الذي أتى ينظم ويساهم في الإجابة المسددة والبراهين المتعددة على عالم الشهادة وفق الآليات المتاحة للإنسان وما كان يمارسه من الاعتماد على الحس والعقل ، ولكنه تفرد بالإجابة

الكاملة والواضحة عن كل ما يتعلق بعالم الغيب غير الملموس وغير المشاهد من قبل الإنسان وأتى بالبراهين الساطعة على صحته في ذاته ثم على ما يدعو إليه وما يشفي غليل الباحث عن الهدى والمعرفة بالله ورسله وحاضره الذي يعيش فيه والعالم الآخر وما يتضمنه من أهوال ونعيم أو جحيم .

وفي هذا المبحث سنشر إلى أهمية هذا الوحي السماوي من الله سبحانه وتعالى من خلال عدة نقاط متسلسلة ومتراصة حول أهميته والمجالات التي طرقها وكيف أنه كان أهم وسيلة وأهم نعمة أنعم الله بها على البشرية لتأسيس اليقين لديها ولنقلها من الظلام إلى النور معرجين على الخطوات والمجالات التي تطرق لها الوحي وتكفل ببيانها وإيضاحها للناس .

أ – تكفله بالتدليل على يقينيته في نفسه :

ومن عظمة هذا الوحي أنه جاء ليدلل على نفسه بنفسه ومع أن كل شيء في الوجود يدل على صحته في نفسه ويحمل التأكيدات المتنوعة على صحة ويقين هذا الوحي من الله سبحانه وتعالى ، إلا أن هذا الوحي أتى بأدلة تضمنها في ذاته للدلالة على صدقه وأنه أتى ليؤسس اليقين في قلوب أتباعه .

وفي هذا يقول ابن خلدون : " اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ، ولا يفتقر إلى

دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة
لاتحاد الدليل والمدلول فيه .. (١) .

وعلى هذا التعبير فالقرآن هو الدليل وهو المدلول في نفس
الوقت وهذا يعطيه القوة ويعزز دلالاته على اليقين سواء في ذاته أو
في ثقة المتلقين لما يأتي به من أوامر أو نواهي أو أخبار أو إجابة
عن أي تساؤل يأمل المتلقي أن يحصل عليه .

وهذا الأمر في ذاته - وهو كونه دليلاً ومدلولاً - يؤسس
اليقين في قلوب المتبعين لهذا الدين لمن تأمله ونظر إليه بإنصاف
ليس فقط في زمان النبوة وفي محيطها المكاني بل يستمر هذا
الشعور ببث اليقين على مدى العصور والأزمان المختلفة حتى لو
بعد قرون من انتهاء زمن نبوة نبي هذا الدين - عليه الصلاة
والسلام- .

وفي هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى في رده على من
عاند واستكبر وكذب بالوحي: ﴿...﴾
③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿
{...} (٢) .

وقال سبحانه في موطن آخر: ﴿...﴾
③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

(١) مقدمة ابن خلدون (٦٩).

(٢) طه الآية ١٣٣ .

، وقصة لوط ونوح وغيرهم من الأنبياء إلا أكبر دليل على صدقه ويقين ما جاء به ، وأيضاً ما كان يبثه ذلك في أصحابه من اليقين بانتصار الحق وصحة ما يعتقدونه ويثبتهم على ما هم عليه .

• اخباره بكل جزم وتحذ عن أحداث وأمر ستجرى في المستقبل

وحصلت كما أخبر عنها هذا الوحي الصادق ولعل من أوضح الشواهد على ذلك ما أخبره سبحانه وتعالى عن هزيمة الروم من الفرس وأنهم سينتصرون في بضع سنين وما حصل من تحدي أبي بكر الصديق ومراهنته لكفار قريش على هذا الأمر وتحققه في بضع سنين (١) كما أخبر سبحانه بقوله : {

﴿ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

وقد ورد في الأثر أن المسلمين كانوا يخبون أن تظهر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يخبون أن تظهر الفرس على الروم لكونهم مثلهم أهل شرك وأوثان وأنها حين ظهرت الروم على الفرس كما ورد في الآيات أسلم عند ذاك كثير من الناس (٣)

(١) أخرج هذه الحادثة الترمذي في كتاب التفسير (٣١٩١/٣١٩٢) وأحمد (٣٠٤/١) وصححها الأرنؤوط في تحريجه لجامع الأصول (٣٠١/٢) .

(٢) الروم آية (١-٢-٣) .

(٣) روى هذا الأثر الترمذي برقم (٢٩٣٥) وقال حسن غريب ، انظر : الإسلام يتحدى ، مدخل علمي الى الإيمان : وحيد الدين خان (١٣٣) ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ومراجعة عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، ط الثالثة (١٣٩٩هـ - ١٩٧١م) .

• إخباره صلى الله عليه وسلم لأصحابه المستضعفين أنهم سيظهرون على المشركين

وسيفتحون الأمصار حتى يحفز عزيمتهم ويمنحهم اليقين بالله ومعرفته اليقينية وهم في أشد حالات الضعف وتسلط الأعداء عليهم ، ولعل في قصة سراقه بن مالك أثناء حادثة الهجرة وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كيف بك يا سراقه إذا تسورت سوارى كسرى ... " وكيف أنه تسورها ولبسها بعد معركة القادسية (١) .

ومثل هذا ما روى البخاري وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه - وقول الرسول - ﷺ - له : " يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ فقلت لم أرها ، وقد أنبئت عنها قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ... ولأن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز .. قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز .. " (٢) .

وفي هذا من زرع اليقين في نفوس الأجيال المتتابة الأثر الكبير الواضح الملموس وهذا ما نراه اليوم من كثرة أتباع هذا الدين

(١) روى هذا الأثر البخاري برقم (٣٩٠٦) باب المناقب ، وانظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي (١٢٤/٢)

(٢) كتاب المناقب (٣٦١٢) .

المجال الذي وقع فيه التحدي ، وهو الأسلوب أو النظم الكلامي ، وفي فترة بلغت فيه الذروة في إتقان هذا الفن ، حيث كانت في تلك الفترة الأسواق العربية محتدمة بالتنافس بين الخطباء والشعراء والنقاد ، يلتقون فيها للمباريات والمعارضات ، وكان كثير من أبطال هذا الميدان محاربين لهذا الدين وكتابه ورسوله و يلتمسون أوهى الأسباب لتحطيمه والخط من قدره واهانتته بين الناس .

ومع هذا كله لم يستطع أحد منهم أن يفعل شيئاً ، بل كانوا — كما أثبت التاريخ — يشهدون بمقامه العلي ، الذي لا يمكن أن تسموا إليه قدرة البشر (١) .

وأساس تحدي الخلق أن يأتوا بمثل القرآن هو أن القرآن كلام الله تعالى والفرق بين كلام الله وكلام خلقه هو مقتضى الفرق بين الله وخلقته ، وإذا لم يمكن لأحد أن يتصف بما يختص به الله تعالى من الصفات فإنه لا يمكن لمخلوق أن يتكلم بكلام من مثل كلام الله تعالى ، وعلى هذا يكون الفرق بين كلام الله تعالى وكلام خلقه متعلقاً بحقيقة الكلام وجنسه ، فلا يمكن لبشر أن يبلغ كلام الله بإطلاق (٢) .

والمجالات التي تحدى بها القرآن مخالفيه كثيرة ولكننا هنا نكتفي بالإشارة إلى الأثر العجيب على أتباع هذا الدين عندما يرون عجز مخالفيهم عن مجارة هذا الوحي السماوي فيعظم يقينهم بالله وبما جاءت به هذه الشريعة العظيمة فينعكس هذا على اعتقادهم

(١) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزبيدي (١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير : (١ / ٦١) .

الراسخ بها وبمنزلها وبرسولها — عليه الصلاة والسلام — ناهيك
عن الأثر العظيم على حياتهم العملية .

ومع أن الوحي جاء بالتشريع والهداية الاعتقادية الا أنه
طرق أبواب العلم المحسوس من باب إثبات صدقة ويقينيته وهذه
وسيلة مهمة تعزز اعتقاد المسلم في يقينه الوحي وكونه من عند الله
سبحانه وتعالى ولأجل أهميتها أفردناها كمبحث مستقل سيأتي ذكره
لاحقاً ونبين فيه عناية القرآن للجانب العلمي التجريبي وإثباته لدلائل
الحس واهتمامه به كباب عظيم لتعزيز اليقين عند الإنسان وحثه
على التأمل في الآفاق وتلمسه للحقائق العلمية التي تثبت وحدانيته
سبحانه وشمول شريعته .

ب — تفردته بالإجابة عن الأمور الغيبية المحضة :

بما أن الله رحيم بعباده ويريد هدايتهم واطمئنان نفوسهم
بصحة الإيمان به سبحانه وبحقيقة هذا الوجود والمعاد فقد أوكل
سبحانه كل ما في هذا الوجود ليؤكد هذه الحقيقة ويوضحها أشد
توضيح للإنسان وأعطاه الآلات والوسائل التي بها يتوصل إلى هذه
الحقيقة .

وحيث قد منح سبحانه لعباده عالم الشهادة بما يحتويه من
محسوسات وزادهم نعمة العقل التي ميزهم بها عن بقية المخلوقات
ولكن الإنسان لو ركن إلى هاتين الوسيلتين فلن يصل إلى مبتغاه ولن
يجد في هاتين الوسيلتين الأجوبة التي يبحث عنها حيث إنها قاصرة
عن تصور عالم الغيب الذي تفرد الله سبحانه وتعالى به ولم يكله
إلى أحد غيره .

وفي ^(١) { }
 هذا إشارة إلى أن عالم الغيب ليس في مقدور الإنسان علمه أو
 الوصول إليه إلا عن طريق الله سبحانه فهو الذي سيعلمه وسيتكفل
 بنقله إلى الإنسان الجاهل به .

وقد تعددت الإشارات في هذه القضية من خلال آيات الله
 المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى { }
 وقال تعالى ^(٢) { }
 . ^(٣) { } .

وهذه الأمور الغيبية المحضة التي هي من صميم علم الله
 سبحانه ولا يعلمها إلا هو قد تجرأ على تفسيرها ومحاولة كشف
 كنهها الإنسان في بعض عصوره وبعض مناهجه فلم يصل فيها إلا
 إلى الحيرة والتيه لأنه أغفل الجانب المهم وهو أنها غيب عنه لا
 يمكن معرفتها أو الوصول إليها إلا عن طريق موجدتها وموجد كل
 هذا الوجود وهو الله سبحانه .

(١) العلق آية (١-٥) .

(٢) النمل آية (٦٥) .

(٣) الأنعام آية (٥٩) .

والله سبحانه حريص على عباده فأتى بهذا الوحي المعصوم
 ليجيب عن هذه المسائل الكونية الكبرى اما اجمالاً في كتابه أو
 تفصيلاً على لسان رسوله ولم يتركها عرضة للفلاسفة أو أهل
 التأويل وبهذا ضمن لمن اتبع هذا الوحي وآمن به واكتفى بتقريراته
 وقواعده أن يصل إلى اليقين الذي ينشده الباحث عن الحق .

ولو استعرضنا ذلك نجد أن القرآن وحده قد تكفل بالإجابة
 على كثير من الأسئلة التي هي من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو
 وأخبرها الإنسان وشرح له تفصيلاتها ومكوناتها حتى يكون على
 بينة من ربه ويعبد ربه على بصيرة حتى أن النبي صلى الله عليه
 وسلم عندما كان يُسأل عن أمر غيبي يتوقف حتى ينزل عليه الوحي
 بالجواب الشافي لأنه لا يعلم الغيب .

فمن ناحية خلق الإنسان وتكوينه نجد القرآن يقول

﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَلَيْنَا الْفِطْرَةَ الْبَاطِنَةَ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا وَاسْمُهَا الْكُفْرُ لَمَّا نَحْنُ حُرٌّ وَبَشَرِ خَلْقٍ وَالْحَقُّ أَنَّا عِبَادٌ لِّهِ إِنَّمَا نَخَافُ أَنْ تُبَدِّلَ دِينَنَا وَإِنَّا لَخَائِفُونَ لِقَاءَ رَبِّنَا﴾ (١)
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢)
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَارِ عِجْنٍ لَمَّا خَلَّصْنَا مِنْهَا وَمَنْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ وَلَهُمْ أَجْرٌ لَّا يَمُوتُ﴾ (٣)

(١) الأنعام الآية (٢) .

(٢) السجدة الآية (٧) .

(٣) الحجر (٢٦) .

{ وقال سبحانه عنهم أيضا }^(١) { ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ }^(٢) .

وهذه الآيات إنما ذكرناها على سبيل التمثيل وإلا فإن المنهج القرآني يعطي تفصيلا وافيا عن هذه الأمور ويعزز ذلك بالسنة العملية والقولية متمثلة في النبي صلى الله عليه وسلم ليشرح المجمل من كلام القرآن ويفسره وهذا بلا شك يعزز ويؤسس اليقين عند المسلم.

كما أن القرآن لكي يعزز اليقين في نفوس عباده كان يحث أتباعه على العمل والتطبيق والتدين بعد ذكر مثل هذه القضايا لأن ذلك يقوي اليقين في قلوبهم وينفي الشك والإنكار ويطمئن الإنسان ويجعله يسلم بكل ما يأتي من الله .

وهذا ما ميز الأسلوب القرآني عن المناهج الفلسفية الأخرى يقول الدكتور/ عبدالرحمن الزنيدي " لأن الفلسفة حصرت غايتها من بحوثها الميتافيزيقية في المعرفة فقط ، دون النظر إلى الجانب العملي ، لذا لم تستطع الفلسفة أن تعطي الإنسان سوى فكرة جافة ترتسم في صورة جامدة وهذا ما جعل مصير الفلسفة الميتافيزيقية الانعزال عن حياة الناس والمراوحة بين عقول أصحابها وكتبهم دون تأثير فاعل في حياة البشرية"^(٣) .

(١) الانفطار الآيات (١٠-١٢) .

(٢) الأنعام (٦١) .

(٣) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزنيدي (٢٠٧) .

وبهذا نعلم مدى الدور الكبير والأثر المهم الذي أحدثته وحي الله المنزل في تبيين وتوضيح حقائق الغيب للإنسان عموماً وبها يثبت اليقين في قلوب أتباعه والمؤمنين به .

المبحث الثاني :الحث على أعمال العقل والوصول عن طريقه إلى اليقين:

الدين حين أنزله الله سبحانه وتعالى أتى ليخاطب أهل العقول وأهل النهى ولذلك فإنه لا يمكن لمن فقد عقله أن يؤمن بالله سبحانه ويستيقن به وهذا العقل الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لبني آدم هو الذي فضلهم به على بقية المخلوقات فأنعم به عليهم وجعله سبباً في تحملهم للتكليف الإلهي .

وقد أتى هذا الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم مؤكداً ومعززاً لدور العقل وأهميته وضرورته لأجل إيصال الإنسان إلى اليقين الكامل بالله سبحانه وتعالى فتعددت الآيات وتنوعت العبارات التي تحث على أعمال العقل واستخدامه كمنهج يسير في ضوء الوحي ويهتدي بهديه ونوره والناظر والمتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى يجد أنه لم يرد فيه كلمة (العقل) بالصيغة الاسمية ولكن كل الآيات التي وردت كانت على هيئة مترادفات ومشتقات من هذه الكلمة فجاءت صيغة فجاءت " نعقل " وأيضاً "يعقلها" و " يعقلون " و"تعقلون" (١) وأكثر هذه المادة يدور بصيغة الفعل المضارع على سبيل الاستفهام ، وكل آية

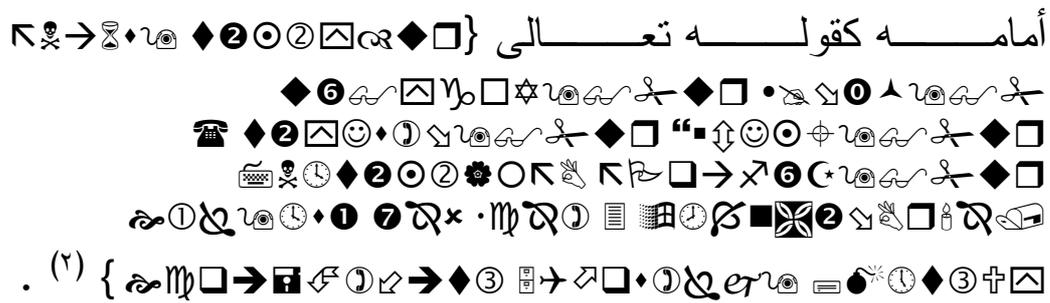
(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٤٦٨) أحمد فؤاد عبد الباقي ط : إحياء التراث العربي ،

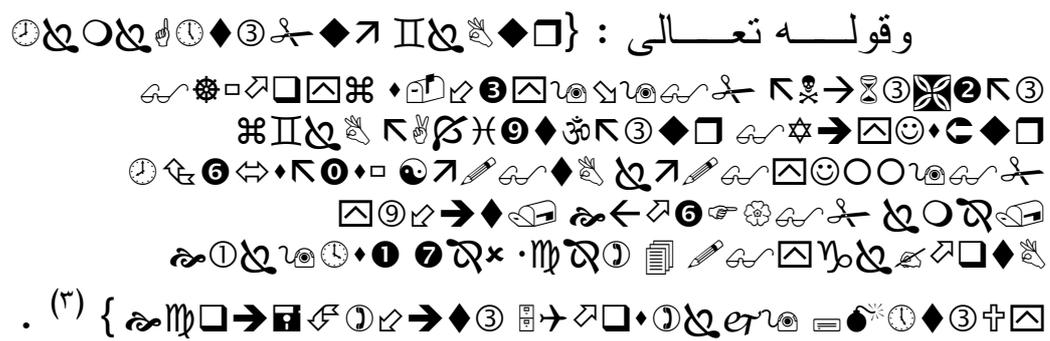
انظر أيضاً: القرآن و النظر العقلي : فاطمة اسماعيل (٦٤)

من هذه الآيات التي تنتهي بهذه الصيغة الفعلية تطرح قضية فكرية معينة^(١) فكأن الله يحث عباده على إعمال هذا العقل وعلى استخدامه وتفعيله كمنهج مسدد يخدم المعرفة الموصلة إلى اليقين التام بالله سبحانه وتعالى والتعبير عن العقل بمشتقاته .

وقد تنوعت الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى التي تدعو إلى إعمال العقل والذهن وتدعو إلى جعل العقل من الأدوات والمناهج المهمة المعينة على فهم النصوص وتعميم الإيمان واليقين عند المسلم

وهذه الآيات أنت متنوعة في أسلوبها وطريقتها فأحيانا نجد أنها تحث على إعمال العقل في الظواهر والمشاهد المحسوسة

أمامه كقوله تعالى {  } .^(٢)

وقوله تعالى : {  } .^(٣)

(١) أسس اليقين في الفكر الدين والفلسفي يوسف محمد (١٧٩) دار الحكمة ط الأولى عام ١٢١٤-

(٢) النحل : (١٢) .

(٣) الروم (٢٤) .

{ } : قوله تعالى : { }
{ } .

وبعد هذا نجد أن هذه الآيات القرآنية فيها دعوة جادة
وصريحة لإعمال العقل في هذا الكون وفي آياته الكونية والقرآنية
لأجل الإيمان واليقين الكامل بالله سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم عندما أتى يخبر عن عالم الغيب وأسراره
ويجيب عن الأسئلة الكونية الكبرى جعل للعقل مجالاً كبيراً ومنهجاً
منضبطاً للتحقق منها والوصول عن طريقه إلى الاعتقاد واليقين
الكامل فيها فأتى القرآن الكريم مستخدماً بعض الأدلة العقلية البحتة
لأجل الاستدلال بها على القضايا الكبرى المتعلقة بأصول الدين
وبالذات على القضية الكبرى وهي وجوده سبحانه وتعالى وتفرد
بالأمر والملك ، وسأعرض في هذا المبحث لبعض الأدلة العقلية
القرآنية ومن أهمها :-

أولاً : دليل الخلق والاختراع

وهذا الدليل يعتبر من أقوى الأدلة على وجوده سبحانه
ووجدانيته وقد تعددت الآيات التي تشير إلى هذا الدليل العجيب ومن
أهمها قوله تعالى : { }
{ } .

(١) الحج (٤٦) .

(٢) الفجر (٥) .



فهؤلاء المنكرون لوجوده سبحانه وتعالى تحاصرهم مثل هذه الآية ونجد أنها تعطيهم عدة خيارات ليس لها إجابة إلا الاعتراف به سبحانه وتعالى ، فهذه الآية تقول لهم : أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ وهذا ولاشك ممتع في بداهة العقول أم هم خلقوا أنفسهم ؟ وهذا أشد امتناعاً ولا تبقى إلا الحقيقة وهي أن لهم خالقا لا يشاركه أحد في الخلق وهو الله سبحانه وتعالى وهذه الآية تناقشهم بصيغة استفهام الإنكار ليبين الله لهم أن هذه القضية التي استدل بها " فطرية بديهية " مستقرة في النفوس لا يمكن لأحد إنكارها ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه ولا يمكن أن يقول هو أحدث نفسه (٢) .

وفي آية أخرى {  }

وجميعها تؤكد على هذا الأمر الجوهرى الخطير ألا وهو تفرد الله بالخلق وحصر هذا الجانب فيه وحده سبحانه لأنهم لم يُخلقوا من العدم ولم يخلقوا أنفسهم فلم يتبق إلا خالقهم الله سبحانه وتعالى .

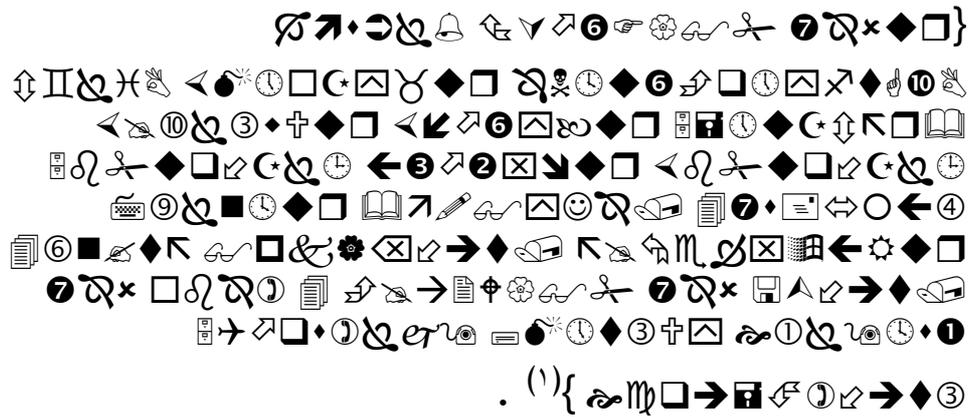
(١) الطور (٣٥ - ٣٦) .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين : ابن تيمية (٢٥٢) .

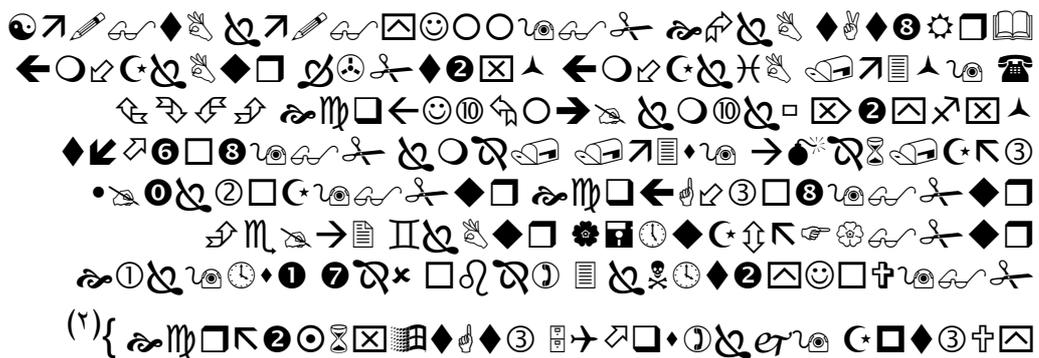
(٣) الواقعة (٥٧ - ٥٩) .

ثانيا: دليل العناية

وهذا الدليل يعتمد على فكرة عقلية خالصة وهي أن الله سبحانه خلق هذا الكون ورتبه ترتيبا دقيقا وجعله يسير بنظام متكامل وخلق عجيب منضبط ليس للصدفة فيه مكان فهو يسير وفق نظام كامل منضبط وكل هذا يدل على أن له فاعلاً وخالقاً حقيقياً وهو الله سبحانه وتعالى : وهذا النظام الكوني هو ما يعرف بالسنن الكونية ، فقد بنى الله الكون على سنن إلهية لا تختلف إلا إذا أراد الله وقد تعددت الآيات الدالة عليه مثل قوله تعالى :



وأيضا قوله تعالى :



(١) الرعد (٤) .
 (٢) النحل الآيات (١٠-١١) .

المبحث الثالث: دلالة الفطرة على اليقين بالله والمعارف الضرورية

وحديثنا عن الفطرة يأتي مؤكداً ومكماً للوحي السماوي والدلالات العقلية التي جاءت لهداية الإنسان وجعله على بصيرة من دينه وعلى بصيرة من حقيقة وجوده وما يتعلق به من القضايا الأساسية التي يجب أن يعلمها ويعرف الحق والهداية فيها.

فجنس الإنسان عموماً هو عبد الله ومخلوق لله سبحانه وتعالى والله سبحانه رحيم رؤوف بعباده وخلوقاته ومن كمال رحمته وعدله أن خلق الإنسان على الفطرة الإلهية وجعله مفطوراً في أساسه ومنشئاً على أن يكون مؤمناً موحداً مهتدياً إلى الله سبحانه وإذا تحقق له الإيمان والتوحيد المطلوب كان مهتدياً في بقية الأمور الأخرى المتعلقة بحياته وتفكيره ومعرفته ويترتب على كل هذا نجاته واستحقاقه لرحمة الله ونعيمه في الآخرة بعد مشيئته سبحانه وتعالى.

وسنبين في هذا المبحث دلالات النصوص الشرعية على أن الإنسان مفطور على التوحيد والمعرفة الربانية الصحيحة وأن هذه الفطرة ضرورية وبديهية لدى الإنسان .

ولو أعملنا النظر في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لوجدناها مؤكدة لهذه القضية ومعززة لها ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يلي :

(١) قوله تعالى : ﴿

﴿

(٢) قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَحَدِيثٌ قَدِيمٌ ۚ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ بَدَأَهُنَّ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَحَدِيثٌ قَدِيمٌ ۚ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ بَدَأَهُنَّ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

وهذا استفهام انكاري موجه من أنبياء الله سبحانه وتعالى لمن شك في الله وفي تفسيرها يقول ابن كثير " أي : أفى وجوده شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده ، ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر الموصل إلى وجوده ، ولهذا قالت لهم الرسل ، ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه { فاطر السموات والأرض } الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق ، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما ، فلا بد لها من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه " (٢) .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول : " فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها ، وكل ما استدل به على الصانع ، فالعلم بوجوده أظهر من دلالاته، ولهذا قالت الرسل لأممهم " أفى الله شك " فخاطبهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك في وجود الله سبحانه ، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته ، وصفات كماله ، الأدلة على اختلاف أنواعها ، ولا يطيق حصرها إلا الله ، ثم ركز ذلك في الفطرة ، ووضعها في العقل جملة ، ثم بعث الرسل مذكرين بها" (٣) .

(١) إبراهيم (١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢١٥) .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والارادة : ابن القيم (٢-٣٤٨) دار نجد للنشر والتوزيع ، الرياض ،

أن الله وحده هو ربهم ، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك ، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم ، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية " (١)

(٥) قوله " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " (٢) .

قال ابن حجر (٣) " على الفطرة أي : "على الدين القويم" (٤) .

وقال الإمام النووي (٥) " قوله: على الفطرة : أي على الإسلام (٦)

وقال الإمام ابن عبد البر (٧) " وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل" (٨) .

(١) درء تعارض العقل والنقل : (٨/٤٨٨-٤٩٠) .

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز (١٣٨٥) ومسلم كتاب القدر (٢٦٠٨) .

(٣) احمد بن علي بن محمد العسقلاني ولد عام ٧٧٣هـ في القاهرة فقيه محدث من أهم مصنفاته (شرح صحيح البخاري) وغيرها توفي عام ٨٥٢هـ انظر الأعلام : الزركلي (٧/١٢٤) .

(٤) فتح الباري (١١/١١١) .

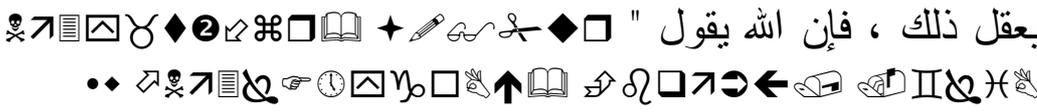
(٥) يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي ولد بقرية نوى من قرى حوران فقيه محدث من أهم مؤلفاته (شرح صحيح مسلم ، رياض الصالحين) وغيرها توفي عام ٦٧٦هـ انظر الأعلام : الزركلي (٨/١٤٩) .

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٤-٨٤) دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ .

(٧) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري ، ولد بقرطبة ٣٦٨ هـ ، حافظ المغرب برز في علوم كثيرة في الحديث والفقه والتاريخ والأدب ، ومن مؤلفاته : (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، جامع بيان العلم وفضله) وغيرها انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٥٣) .

(٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/٧٢) ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب

والفطرة في الحديث المقصود منها الفطرة بمعناها الشرعي وهو الإسلام كما بينا من كلام أهل العلم وليس المقصود مجرد المعنى اللغوي الذي يدل على الخلقة التي يولد عليها كل مولود ، لأن القول بأن كل مولود يولد على الفطرة التي هي الخلقة لا يفيد لذاته معنى محدداً ما لم توصف تلك الخلقة بما يقطع النزاع في معناها ، ولا يمكن ذلك إلا إذا فسرت الفطرة على معناها الشرعي ومن الدلائل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بالفطرة ما يقتضي التوحيد أنه ذكر التهويد والتنصير والتمجيس في مقابلة الفطرة^(١)

وبهذه الأدلة نعلم أن الله سبحانه تكفل بهداية الإنسان وإرشاده في أصل فطرته على الدين وما يحصل من تحول للإنسان إنما هو راجع إلى المؤثرات الخارجية التي تطرأ عليه أثناء حياته . والله عندما جعل الإنسان مفطوراً على التوحيد نعلم يقيناً أنه لن يولد وهو مدرك للإسلام وكل متعلقاته وإنما نعنى مولوده على الفطرة : أنه يولد على خلقه وجبلة مقتضية للتوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى إذا ميز وعقل وسلم من الصوارف وفي هذا يقول شيخ الإسلام "ومعلوم أن قوله كل مولود يولد على الفطرة ، ليس المراد به أنه حين ولدته أمه يكون عارفاً بالله موحداً له بحيث يعقل ذلك ، فإن الله يقول "  "  ونحن نعلم

(١) انظر : المعرفة في الإسلام : للدكتور عبدالله القرني (٢٢٨ - ٢٣٠) .

(٢) النحل: الآية (٧٨).

بالإضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضي ذلك... (١)

ويعلق الإمام الخطابي بعد إيراد هذا الحديث بقوله : " حاصل المعنى من هذا الحديث إنما هو الثناء على هذا الدين ، والإخبار عن محله من العقول موقعه من النفوس ، وليس من إيجاب حكم الإيمان للمولود بسبيل " (٢) .

وقبل أن نختم مبحث الفطرة نحتاج أن نؤكد نقطتين مهمتين

الأولى : أن الفطرة ضرورية عند الإنسان

وهذه المسألة من الأمور التي لا يسوغ إنكارها أو التشكيك فيها ويؤكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : " إن النفس لا تخلو من الشعور والإرادة ، بل هذا الخلو ممتنع فيها ، فإن الشعور والإرادة من لوازم حقيقتها ، ولا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرة مريدة ، ولا يجوز أن يقال : إنها قد تخلو في حق الخالق تعالى من الشعور بوجوده وعدمه ، وعن محبته وعدم محبته ، وحينئذ فلا يكون الإقرار به ومحبته من لوازم وجودها ، ولو لم يكن لها معارض ، بل هذا باطل ، وذلك أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها ، وكونها مريدة من لوازم ذاتها ، ولا يتصور أن تكون نفس الإنسان غير مريدة ، وإذا كان كذلك فلا بد لكل مرید من مراد ، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره ، والمراد لغيره

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٤٦٠/٨) .

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١-٧١٦) تحقيق د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، طبع معهد البحوث وحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط : الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م .

لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه ، فيمتنع أن تكون جميع المرادات مرادات لغيرها ، فإن هذا تسلسل في العلل الغائية ، وهو ممتنع كامتناع التسلسل في العلل الفاعلية بل أولى .

وإذا كان لابد للإنسان من مراد لنفسه ، فهذا هو الإله الذي يألهه القلب فإذاً لابد لكل عبد من إله ، فعلم أن العبد مفطور على أن يحب الهه.

...فإن قلت : ما ذكرته سابقاً يستلزم أنه لابد لكل حي من اله ، أو لكل إنسان من اله ، لكن لم لا يجوز أن يكون مطلوب النفس مطلق المألوه لا مألوها معينا ، وجنس المراد لا مراداً معينا ؟

قيل : هذا ممتنع ، فإن المراد إما أن يراد لنوعه أو لعينه ، والمراد لذاته لا يكون نوعاً ، لأن أحد المعينين ليس هو الآخر ، فلو كان هذا مراداً لذاته للزم ألا يكون الآخر مراداً لذاته ، وإذا كان المراد لذاته هو القدر المشترك بينها لزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مراداً لذاته .

والكلي لا وجود له في الأعيان إلا معينا ، فإذا لم يكن في المعينات ما هو مراد لذاته ، لم يكن في الموجودات الخارجية ما هو مراد لذاته ، فلا يكون فيها ما يجب أن يألهه أحد فضلاً عما يجب أن يألهه كل أحد .

فتبين أنه لابد من إله معين ، وهو المحبوب لذاته من كل وجه ، ومن الممتنع أن يكون هذا غير الله ، فلزم أن يكون هو الله
" (١)

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٨/٤٦٤) .

ويؤكد رحمه الله في موطن آخر نفس المعنى فيقول عن
الفطرة " فإنها من العلوم الضرورية اللازمة للخلق التي لم يخل منها
بشر قط " (١)

**الثانية : أن الفطرة لا تقتضي وجود الله فقط بل كمال توحيده
سبحانه**

وهذه المسألة من أهم المسائل التي يجب تقريرها وتوكيدها
فقد قال البعض^(٢) إن الفطرة لا تقتضي تحقيق التوحيد بل هي مجرد
القابلية للتوحيد والفرق بين هذا القول والقول بأن الفطرة مقتضية
للتوحيد ، أن الفطرة إذا كانت مجرد القابلية للتوحيد كان تحقق
التوحيد للإنسان من الممكنات التي قد تحصل وقد لا تحصل،
بخلاف ما إذا كانت الفطرة مقتضية للتوحيد، فإن تحققه لا يكون
ممكناً بل واجباً مع وجود شروطه وانتفاء موانعه . (٣)

ولا شك أن هذا القول مجانب للصواب ومخالف لمفهوم
النصوص القرآنية وكلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه
سابقاً وفي هذا يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : هذا القائل إن :
أراد بهذا القول أنهم خلقوا خالين من المعرفة والإمكان ، من غير
أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذي
يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر ، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر
- وهذا الذي يشعر به ظاهر الكلام - فهذا قول فاسد ، لأنه حينئذ لا

(١) المرجع السابق (٤٨٩/٨) .

(٢) وأشهر من قال بهذا الإمام ابن عبد البر ونقله عن جماعة من أهل العلم والنظر ، ولم يسم أحدا انظر :
التمهيد (٦٨/١٨ - ٧٠)

(٣) المعرفة في الإسلام : الدكتور عبد الله القرني (٢٤٢) .

فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار ، والتهويد والتتصير والإسلام ، وإنما ذلك بحسب الأسباب " (١) .

ويؤكد تلميذه ابن القيم نفس المعنى بقوله " لا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة ، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه والله سبحانه له الكمال المطلق التام في كل وجه ، الذي لا يعتريه توهم نقص أصلا ، ومن هذا شأنه فإن القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه ما دامت فطرها وعقولها سليمة ، وهذا الباعث أكمل بواعث العبودية وأقواها " (٢) .

وبعد هذا التقرير للفطرة نجد أن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان نعمة جليلة كفيلة بهدايته ونجاته إذا سلمت من الصوارف التي تصرفها عن أصلها وهدفها الذي وجدت من أجله وهو الوصول إلى اليقين التام وتوحيد الله سبحانه وتعالى وخلو القلب مما يعكر صفو يقينه واعتقاده بالله سبحانه وتعالى .

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٤٤٤/٨) .

(٢) مفتاح دار السعادة : ابن القيم (٤٩/٢) .

البحث الرابع : دلالة الحواس على اليقين بالله سبحانه وتعالى

واستكمالاً لما بدأناه في هذا الفصل فإننا نختم بهذا المبحث الذي نبين فيه مدى أهمية الحواس كمصدر رئيسي للمعرفة واليقين وكيف أن الدين الإسلامي أتى منبهاً على أهمية المعطيات والمعلومات التي تقدمها لنا الحواس البشرية وذلك أن الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم ومتعته بأفضل النعم وأجلها ومن ضمن هذه النعم أن جعل له الحواس التي بها يستقيم له العيش والاعتقاد الصحيح وهذه المدركات الحسية التي يحصل عليها الإنسان هي من أهم الدعائم الأساسية لحصوله على المعرفة الصحيحة واليقين المطمئن وذلك أن دورها لا يقتصر على تسيير أمور الحياة الاعتيادية بل هي أداة مهمة وتعطي نتائج يجب أن يوليها المفكر اهتمامه وأن يراقبها ويراقب ما تعطيه من مدركات ويربطها مع الوسائل الأخرى التي أنعم الله بها عليه وهي الوحي والعقل والفطرة فإنه إن ضمها جميعاً ووظف كل واحد منها التوظيف الأمثل ولم يتجاوز في استخدام وسيله على حساب الوسائل الأخرى فإنه سيحصل على المعرفة الصحيحة واليقين المنشود لأنها جميعاً مكملة لبعض وتخدم كل واحدة منها الأخرى .

وسنعرض في هذا المبحث للمعرفة الحسية وعناية الله سبحانه بها وتوجيهه المؤمنين إلى مراعاتها وتفعيلها وتوظيفها التوظيف الأمثل بالإضافة إلى ربطها مع العقل وما تشكله من قوة عظيمة إذا عملت معه ويمكن أن نشير إلى أهمية الحواس والمعرفة الناتجة منها من خلال النقاط التالية :

(١) اهتمام الإسلام بالمرافة الحسية

لقد أولى الإسلام الحواس وما ينتج عنها من معارف عناية خاصة وأبرز ذلك من خلال الإشارة إلى عمل كل حاسة وتنوع الإشارة وتكرير التنبيه إلى أهميتها ويمكن أن نبرز اهتمام القرآن بالحواس من خلال الإشارة إلى مسألتين مهمتين : —

(أ) الاهتمام الخاص بحاستي السمع والبصر

والقرآن عندما يبرز أهمية هاتين الحاستين لا يعني أنه لا يوجد غيرها من الحواس ولكن ذلك يرجع الى أنه أهم حاستين للمعرفة . فقد ذكر السمع بلفظ السمع ومشتقاته في القرآن في مائة وتسعة وثلاثين موضعاً وذكر حاسة البصر وآلتها وما يتعلق بها في مائتين وأربعة وستين موضعاً^(١) .

ولا شك أن اعطاء مزيد من الاهتمام لهاتين الحاستين دون بقية الحواس له دلالاته المهمة والمعتبرة وذلك كونها أهم أداتين من أدوات الإدراك ويترتب على النظر في معطياتهما معرفة الله سبحانه وتعالى ولا شك أن الإنسان تصعب عليه المعرفة بدون السمع والبصر ويمكن أن يستغنى عن بقية الحواس في الجملة وذلك من الناحية المعرفية وليس من الناحية الجسدية النفسية وذلك أن تعطل حاسة السمع والبصر يؤدي إلى تعطل الإدراك وإمكانية التفاهم وتلقي العلوم واللغة ولذلك كان التنبيه القرآني في محله إلى أهمية

(١) انظر : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح الكردي (٥٤٩) .

ولذلك فقد سبق القرآن الى تأكيد هذه القضية وتعرض لها بإشارات واضحة لمن تكاملت لديه الرؤية ولم يقتصر على طرف واحد ونظرة متجزأة لهذه المسألة ويقرر شيخ الاسلام هذه النظرة الدينية الشمولية بقوله : " والصحيح أنه لولا العلم بما يدرك بالحواس لما صح أن يعلم الإنسان سائر الأمور ، لكنه لا يعنى أنها مستغنية عن علوم العقل ، بل هو أصل لها ويجب على هذا أن يكون العقل قاضياً على صحة العلم بالمدرجات لأن به تعلم صحتها ، ولولاه لما علم " (١) .

" والإسلام جعل الإدراكات الحسية أساساً تقوم عليه المعارف ، ولكن الحواس لا تحقق وحدها المعرفة المطلوبة ، لأن هذه مهمة العقل من خلال مبادئه الفطرية ، فالعلم في المنهج الإسلامي يتم بتفاعل ثنائي بين الحواس ، والعقل ، فهي بمحصلها من الادراكات والعقل بما فيه من مبادئ أولية يوظفها في تلك المادة الحسية " (٢)

ولذلك فإن الحواس والعقل إذا اتحدا قدما معرفة صحيحة في المجال الذي يخصصهما "فالحواس تؤدي دورها في تقديم مادة للعقل ، الذي يقف وراءها ويجعل من هذه الإحساسات إدراكات ومعارف حقيقية " (٣)

وحتى نؤكد اهتمام القرآن بهذه المسألة نجد أنه اتبع عدة أساليب في الإشارة إلى ذلك منها :

(١) الرد على المنطقيين : ابن تيمية (٩٢) .

(٢) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزبيدي (٤٩٩) .

(٣) طريق الإيمان : سميح الزين (١٣) دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

صحيحة لأنها راعت كل المصادر ووظفتها التوظيف الذي يناسبها
بعكس من اقتصر على جانب دون الجوانب الأخرى

ونختم بإشارات من كلام شيخ الإسلام رحمة الله بـ برهن
فيه على صحة أسلوب القرآن والدين عموماً وكونها أفضل وأحكم
في تأسيس اليقين فيقول : " وأدلة القرآن لا تشتمل الا على حق يقين
، لا تشتمل على ما تمتاز به الخطابة والجدل من أن البرهان يكون
مقدمة مشهورة ، أو مسلمة غير يقينية ، بل إذا ضرب الله مثلاً
مشتتلاً على مقدمة مشهورة أو مسلمة فلا بد وأن تكون يقينية
وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال ، من الكفار المتفلسفة
وبعض المتكلمة من أن القرآن جاء بالطريقة الخطابية ، وعري عن
البرهانية ، أو اشتمل على قليل منها ، بل جميع ما اشتمل عليه
القرآن هو الطريقة البرهانية ، وتكون تارة خطابية ، وتارة جدلية
مع كونها برهانية ، ولهذا اشتمل القرآن على خلاصة الطرق
الصحيحة ، التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة
والمفلسفة وغيرهم ، ونزهه الله عما يوجد في كلامهم من الطرق
الفاصلة ، ويوجد فيها من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام
البشر بحال".^(١)

وفي موطن آخر يذكر أن طريقة الفلاسفة والمتكلمين فيها فساد
كثير من جهة الوسائل والمقاصد :

(١) مجموع الفتاوى (٢/٤٦-٤٧)

" أما المقاصد فإن حاصلها خير قليل فهي لحم جمل غث ، على رأس جبل لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ، ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط .

وأما الوسائل : فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات ، ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول ، ومقدماتها في الغالب : إما مشتبهه يقع النزاع فيها ، وإما خفية ، لا يدركها إلا الأذكىاء . ولهذا لا يتفق منهم اثنان على جميع مقدمات دليل إلا نادراً " (١)

(١) المرجع السابق (٢٢/٢) وانظر : إغاثة اللهفان : ابن القيم (٤٤/١ - ٤٥)

الفصل الثاني دحض حجج الشكّ

وفيه تمهيد و ثلاثة مباحث

- تمهيد .
- المبحث الأول / الشك الهادم.
- المبحث الثاني / تقييم الشك المنهجي .
- المبحث الثالث / مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموما .

تمهيد :

سبق وأن عرضنا حجج الشكاك والطريقة والمنهجية التي ساروا عليها في سبيل الشك أو الدعوة إليه وجعله منهجاً يطالبون بتطبيقه وتعميمه في المعرفة الإنسانية وكان ذكرنا لهذه الحجج اما مجتمعة أو متناثرة أثناء تناولنا كل قضية على حدة من القضايا التي تعرضوا لها.

وسأتناول في هذا الفصل الجانب النقدي لهذه الحجج محاولاً إجراء تقييم عقلي وشرعي لهذه المنهجية في التفكير ومدى صحتها ومطابقتها مع الضرورات العقلية المعتمدة والمنهج الشرعي الإلهي ونحاول ان نقدم النقد الصحيح والمتزن لهذا الحجج والدعاوى ،وسيكون تناولنا لها في هذه المباحث التالية :-

المبحث الأول : الشك المطلق (الهادم)

وهذه الظاهرة هي من أعجب الظواهر الفكرية الإنسانية فهي تقوم على نفي الحقائق في الأصل أو التشكيك فيها وفي وجودها أو جعلها نسبية خاصة بكل فرد على حدة . وقد سبق تفصيل هذا عند ذكرنا لأنواع الشك .

وهذا النوع من الشك بهذه الصورة السلبية الساذجة يكاد يكون معدوماً ومنقرضاً ، بل نستطيع أن نقول إنه منبوذاً ومهمشاً منذ بدايته اللهم إلا ما حصل من مقاومة شديدة لهذا المذهب حين

ظهوره الأول على يد السوفطائية ومحاولتهم التدليس ونفي الحقائق وقابها على الناس فاستلزم من فلاسفة ذلك العصر الوقوف الجازم تجاه هذا التيار .

أما ما يتعلق بالفكر الإسلامي وموقفه من هذا التيار الشكي فإننا نجد إهمالاً شديداً لمناقشته أو عرض آرائه بل نجد أن البعض من مفكري الإسلام يحث على عدم مناقشة الشكاك وعدم والتعرض لهم والإعراض عن ذكرهم لأنه لا فائدة من مناقشة هؤلاء الشكاك الذين ينكرون حقيقة الأشياء ويشككون فيها يقول الإيجي " والمناظرة معهم قد منعها المحققون لأنها لإفادة المجهول بالمعلوم ولا يتصور في الضروريات كونها مجهولة ، والخصم لا يعترف بمعلوم حتى يثبت به مجهول ، فالاشتغال به التزام لمذاهبهم ، بل الطريقة معهم أن تعد عليهم أموراً لا بد لهم من الاعتراف بثبوتها ، حتى يظهر عنادهم ، مثل : أنك هل تميز بين الألم واللذة أو بين دخول النار والماء ، أو بين مذهبك وما يناقضه ، فإن أبوا إلا الإصرار ، أوجعوا ضرباً وأصلوا ناراً ، أو يعترفوا بالألم وهو من الحسيات وبالفرق بينه وبين اللذة وهو من البديهيات " (١).

وهذا الإعراض من قبل علماء ومفكري الإسلام عن التوسع والتشعب في مناقشتهم ليس عن عجز وهروب وضعف في الحجة وقصور عن نصره الحق والدفاع عنه بل يرجع بالدرجة الأولى إلى أن هذا من إضاعة الجهد والوقت في مسائل معلوم بطلانها بالضرورة وأصحابها قد لفظهم الزمان ولم يعد يذكرهم

(١) المواقف : الإيجي (٤٣) .

وهم يواجهون بهذه الأقوال المسلمات العقلية والحسية والأديان السماوية فكان هذا ادعى إلى نبذ الناس لهم ولمعتقدتهم الباطل وطي سيرتهم من أن تناقش وتفرد بالذكر . ولو أفردت أو ذكرت تحت أي تبرير أو حاجة لذلك كانت في مقام النبذ والتحقير لا في مقام الذكر الحسن والمعرفة الصحيحة .

وفي هذا المبحث سنحاول أن نرد على بعض الحجج التي ذكروها وشغّبوا بها على الناس معتبرين أنا في مقام البحث العلمي وقد سبق أن عرضنا طرفاً من هذه الحجج فبقي أن نشير إلى الردود عليها وبيان حقيقة تهافتها وسقوطها أمام نور الحقيقة وحقيقة المعرفة التي قامت مع بداية ظهور الإنسان واستخلافه في الأرض وعمارته.

أولاً : يزعم الشكاك بداية ((أنه لا حقيقة للأشياء)) .

وهذا القول في حد ذاته نفي للشك المطلق نفسه لأن استحالة المعرفة والحقيقة في ذاتها استحالة للشك المطلق بالدرجة الأولى ولا يتم على ذلك تحقق للشك إذ كيف يتم هذا الشك ويتصور وأصلاً ليس لدينا معرفة لنشك فيها.

وهذا الشك المطلق لو كان موجوداً وصحيحاً فمعناه إلغاء المعرفة الإنسانية جملة وتفصيلاً وعلى ضوءها تلغى الحياة البشرية كلها وينكر الوجود كله بما فيه وجود الشاك نفسه.

وفي هذا يقول ابن حزم رحمه الله في رده المقتضب على منكرة الحقائق (يقال لهم " قولكم إنه لا حقيقة للأشياء" أحق هو أم باطل؟).

فإن قالوا " هو حق " أثبتوا حقيقة ما ، وإن قالوا " ليس هو حقاً " أقرّوا ببطلان قولهم، وكفوا خصومهم أمرهم) (١).

وهذا الإلزام الذي أورده ابن حزم رحمه الله وسائر من تعرض لمناقشتهم من أقوى الأدلة في الردّ عليهم فإنه لو أجاب بالإثبات وأراد أن ينظم حجة وبرهاناً له فإنه ولا بد سيقدّم بمقدمات معينة وهذا يناقض قوله ولو أجاب بالنفي كان فيها ابطال لقولهم وفيها أيضاً أنهم وصلوا إلى جواب قطعي أنه لا حقيقة لقولهم وهذا فيه إثبات حقيقة ولهذا فطن " بيرون " اللا أدري للأمر فكان يسكت دائماً.

ويجب أن نشير أيضاً إلى أن الشك لا يمكن أن يكون واقعياً أبداً فحتى هؤلاء الشكاك الذين يجاهرون بالشك ويدعون إليه نجد أنهم مضطرون في واقع الحياة إلى ممارسة دورهم الاجتماعي والمعيشي والتكيف مع الحاجات الضرورية للبقاء وعلى هذا فهم يدعون الشك جانباً ويمارسون الحياة على حسب معرفتهم بها ، ولا ريب أنهم يعترفون بأن هذه المعرفة معرفة صادقة . خاصة وأن الإنسان منذ مولده يتلقى انطباعات كثيرة ويكون ارتباطات كلية ، وعلى هذه المعرفة يباشر شؤون حياته وينظم علاقاته بالمجتمع على أسس معرفية وحقائق لا يمكنه أن يتجاهلها أو يشكك فيها (٢).

ثانياً: اعتماد الشكاك في شكوكهم على مبدأ خداع الحواس وأنها غير دقيقة وتنشئ الأوهام لعدم دقتها وخداعها المستمر .

(١) الفصل : ابن حزم (١ / ١٩) .

(٢) انظر : مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحمن ، (١٨٣ / ١٨٤) .

وهذا ولا شك أقبح الأدلة ويمكن الرد عليه من خلال النقاط التالية :

أ- أن الأصل في الحواس الإصابة وصحة ما تنقل إلينا من مدركات ومعارف واتهامهم لها بالخداع معناه أنها تخطئ وهذا دليل على أنها تصيب وهو الأصل الذي يجب أن نقره أولاً.

ب- أن هذا الاختلاف الذي يشير إليه الشكاك من ناحية المدركات التي تصلنا من خلال الحواس أو الصور التي نراها على غير الواقع واختلاف الحكم والتصور عليها من شخص لآخر كل هذا إنما هو نابع عن آفة في الحاسة المستخدمة وليس في المحسوس وهذا الشاك ينتقل مباشرة إلى الحكم على المحسوس ويترك الحاسة (١).

وقد يكون ذلك الاختلاف الذي تقدمه الحواس من باب التمايز والتنوع وليس من باب التناقض والاختلاف الذي يشكك في معطيات الحواس .

ج- الإنسان في إصداره لحكم لا يعتمد على الانطباع الأولي الذي يأتي من الحواس بل هو ملزم بعرضه على عقله ومدركاته الأولية وخبراته في حياته مع المعارف التي اكتسبها في حياته وعلى هذا فهو لا يصدر أي حكم متعجل بل هو يعتمد على الحواس مبدئياً ثم يقوم هذه المعرفة القادمة منها ويصدر حكماً صحيحاً منضبطاً^(٢). وهذا هو الترتيب المنطقي الصحيح أن المعرفة والحكمة الصادرة عن التصورات الحسية المبدئية لا بد وأن تعرض

(١) انظر : الفصل : ابن حزم ، (١ / ١٨) .

(٢) انظر : الله في الفلسفة الحديثة : جيمس كولنز ، (٧٩) .

على العقل بما يحتويه من تراكمات الحياة والخبرة والمعارف الأولية وهؤلاء الشكاك عندما يقتصرون في الحكم على ما تصدره الحواس فقط هو مغالطة ينطلقون منها وهي تتبع الهفوات والقصور في بعض الحواس وتعميمها على المبدأ الحسي عموماً وهذا لا يصح من الناحية المنطقية السليمة .

ثالثاً : ويعتمد الشكاك في حججهم على نفي الحقائق عموماً وخاصة المعرفة العقلية وأنا حين نثبت المعرفة العقلية نعتمد على العقل ذاته وبراهينه العقلية وهذا العقل الذي نحتج به يحتاج إلى دليل وبرهان على صحة قيامه بعمله وهذا يوقعنا في الدور العقلي الممتنع.

ويمكن تلخيص الرد عليهم من خلال هاتين النقطتين :

أ- ليس صحيحاً أن كل المعارف بحاجة إلى برهان ودليل حتى نعرف صدقها من كذبها بل هناك قضايا كلية وبديهيات مسلم بها لا تحتاج إلى اعمال ذهن ولا إلى دليل لمعرفة صحتها بل هي مطلقة معروفة بالضرورة مثل معرفة أن الكل أكبر من الجزء ومثل علمنا بعدم اجتماع النقيضين وغيرها من الأمور البديهية . وفي هذا يقول ابن حزم " وهذه هي البديهيات التي لا يجوز أن يطلب عليها برهان إذ لو طُلب على كل برهان برهان لأقتضى ذلك وجود موجودات لا نهاية لها ، ووجود أشياء لا نهاية لها وهذا محال لا سبيل إليه"^(١).

(١) الفصل : ابن حزم ، (١ / ٢٠) .

ب- أما قولهم أن هذا يستلزم (الدور) فهذه القاعدة في حد ذاتها هي قاعدة عقلية لا يصح لهم الاحتجاج بها لأنهم ينفون المعرفة العقلية ثم يستخدمونها وهذا في قمة التناقض . (١) .

ثم نقول لهم أن هذه المبادئ التي نعتمد عليها هي بينة بذاتها وواضحة في نفسها وهي لا تستند إلى مبادئ أو أساسيات أخرى ولو قلنا غير هذا وأحوجناها إلى دليل لصدقوا في دعوى الدور وزادوا عليها التسلسل الذي لا آخر له ولكننا ننفي هذا ونثبت مبادئ أولية لا نحتاج إلى براهين أو أدلة .

وقد غفل أفلاطون وأرسطو عن هذا الأمر عند مناقشتهم للشكاك فلم يستندوا إلى هذه المبادئ الفطرية الضرورية وكان يكفيهم اللجوء إلى هذه الحجة وإلزام الشكاك بنفي الضروريات كافية في الرد عليهم وليس هذا مجال الاستطراد فيها ولكن الذي يعيننا هنا أن هؤلاء لو أثبتوا الأوليات الضرورية العقلية لسلموا من التشتيت واللوازم الباطلة .

رابعاً : يعتمد الشكاك أيضاً على الاختلاف في الآراء والأحكام والأنظمة والعقائد الذي يكون بين الأمم والشعوب وأن كل جماعة أو ديانة تعتقد أنها على حق وصواب وأن غيرهم على خطأ وهذا عندهم دليل على أن الحق معدوم وغير معلوم وإلا فمن الذي على حق ومن الذي على صواب .

(١) الفصل : ابن حزم ، (١ / ١٨) .

والرد عليهم من جهتين :

أ- أن الحق واحد لا يتعدد مهما تعددت الأقوال والاختلافات
فالحقيقة

واحدة والآراء تختلف بحسب البعد والقرب من هذه الحقيقة
وبحسب الزاوية والمنطلق الذي ينطلق منه صاحب الرأي
وقاصد الحق وكثرة الآراء وتنوعها لا يلغي وجود حق واحد
غير متعدد وهو الصواب .

ب- أن الناس عندما اختلفوا لم يختلفوا في المبادئ الفطرية والقواعد
الضرورية بل هم في الأصل متفقين على الحقائق العقلية
الضرورية ومتفقون في الأصل على المعبود الواحد الذي لا
شريك له وهم في الأصل متفقون على حب الخير والدعوة إليه
وكره الشر والتحذير منه وغيرها من الأمور العامة الضرورية
عند الأصحاء من بني آدم ولا عبرة لمن غير وبدل فطرته
ومعرفته لأهداف وأغراض تزول معها هذه الفكرة والاعتقاد
بزوال الهدف الذي قبلت لأجله.

خامساً : ويحتج الشكاك بأن المعرفة عن شيء بعينه
ليست مستقلة بذاتها بل حتى نصل للحق يجب أن نحيط بكل ما
تتعلق به من أشياء أخرى وبما أن هذا الأمر غير ممكن لأن
العلاقات بين الأشياء لا نهاية لها فعلى هذا فلن نستطيع معرفة هذا
الشيء المطلوب.

وهذه الحجة من أوهن الحجج ويكفي في الرد عليها أن نعلم أن حياة الإنسان كلها لا تكفي لمعرفة كل ما يتعلق بشيء واحد فقط ناهيك عن معركة كل ما يتعلق بكل شيء في الحياة.

وقول الشكاك هذا يخالف واقع الحياة فيكفي أن نعلم هذا الشيء لوحده حتى أقول أنني عرفتة أما ما يتصل به فهذه معرفة زائدة قد أعرفها كلها أو بعضها أو أجهلها وجهلي بما يتصل به هذا الشيء لا يعني جهلي به .

وبعد استعراضنا لهذه الحجج نجد أن فيها الكثير من المغالطات الواضحة فهؤلاء الشكاك يجتهدون ويصيحون بعدم إمكانية الحصول على المعرفة وهم في نفس الوقت يضمنون كلامهم اعترافاً بأن ثمة معرفة ولكن لا يمكن الحصول عليها وهذا ينطوي على معرفة بحد ذاته وهو يتمادى في إنكارها .

يقول عبدالمجيد الرحيم " كما أن استعمال هذه الألفاظ " معرفة - استحالة " دليل عليهم فهم القائل لها وهذا الفهم نوع من المعرفة ، فالإنسان يستعمل ألفاظاً يعرف أنها تدل على معان معينة ، وهي معان اكتسبها الإنسان بالمعرفة " (١).

وهذا ما أدى بهذه الظاهرة الشكية إلى الاضمحلال والانقراض فلم تعد موجودة إلا كتاريخ وكحركة هادمة للمعرفة نرصدها لمعرفة أسبابها وآثارها دون التعويل على إنتاجها الذي كان سلبياً يهدم ولا يبني ويحطم الأسس العلمية للمعرفة الصادقة الجادة.

(١) مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٩١) .

المبحث الثاني : تقييم الشك المنهجي :

وهذا النوع من الشك كما أنه يحتوي على إيجابيات لا يمكن تغافلها فإنه ينطوي على بعض القصور في المنهج التكاملي المعرفي كما سنشير لذلك في مبحثنا هذا مسلطين الضوء على الجانب السلبي والجانب الإيجابي لهذا النوع من المنهجية الشكوية للوصول إلى اليقين.

أولاً: وجوب اقتصاره على الأمور التجريبية دون القطعيات الشرعية والعقلية هذا النوع من الشك إذا كان في العلوم الكسبية النظرية التي تكون عن طريق التجربة والاستنتاج وتعدد الاختيارات فهو مستحب ومشروع ومطالب به الباحث الذي يريد معرفة يقينية علمية صحيحة لأن في التجريب وتعدد قياس الخيارات والنتائج والمعارف القبلية طريق آمن وصحيح للوصول إلى غاية البحث وهو اليقين والاطمئنان فعلى هذا يكون الشك مقبولاً من الباحث لأن الأسس والمعطيات التي مارس الشك فيها ليست من المسلمات والأصول التي لا تقبل النظر والشك وتعدد الاحتمالات، وهذا يقودنا لبيان النوع الآخر من العلوم والمبادئ التي لا يقبل فيها ممارسة هذا النوع من الشك أبداً ألا وهي المبادئ الفطرية والأسس العقلية إضافة إلى الأصول الشرعية الثابتة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسوله . فكل هذه الأصول هي من الجوانب اليقينية الكبرى والتي أعطيت للإنسان بدهاء وجبلة أو وحياً غير قابلة للجانب الاحتمالي الظني الذي يسمح بفرضية التعدد أو الخيارات المتعددة التي تقبل الاستبعاد ومجرد أن يتطرق الشك إليها عند الإنسان يهتز

عنده الجانب المعارفي من أصوله ويسيطر عليه الشك الهادم والحيرة القائلة ، ولعل في تجربة الإمام الغزالي خير برهان بصدق هذا الكلام فقد رأينا أنه عندما بدأ الشك في المبادئ الفطرية بداية بالحواس وخداعها ومن ثم انتقل إلى العقل وضرورياته ومثل عليها بالأحلام وبعد هذا انتهى إلى أنه صار يعاد في فرائشه لمدة شهرين وصار على حال أهل السفسطة تماماً ورأينا كيف أن علته برأت وصلاح حاله بعد أن عاد إلى هذه المبادئ الفطرية الضرورية " حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثقاً بها على أمر يقين^(١)"

وديكرت رأى في تجربته الشكية الافتراضية "أنه لا يشك في أنه يشك ، ولأنه يشك فهو يفكر ، وما دام يفكر فهو اذن موجود " ^(٢).

فهو رجع إلى التفكير وجعله هو الوجود الذي ينطلق منه ويعرف به أنه موجود.

وهذا الجانب من الشك المنهجي مهم جداً وخطير في نفس الوقت فقد يمارس البعض الشك والتشكيك في الجوانب النظرية المتاحة الشك فيها والتي تكون دون القطعيات والضروريات لكنه يغلو ويشد حتى ينتقل تدريجياً إلى هذه المبادئ الفطرية التي لا يقبل المساس بها وهنا ينشأ النوع الهادم المتطرف من الشك الذي يجتث المعرفة من أصولها وقواعدها.

(١) المنقذ من الضلال ، (٨٥) .

(٢) التأمّلات: ديكرت (١١٤) .

ثانياً: عدم اشتراط الإسلام لهذا النوع من الشك هذا النوع من الشك لم يشترطه ولم يطلبه الإسلام بل لم يحفل به كثيراً فالله سبحانه وتعالى عندما أوجد الإنسان في هذه الدنيا أوجد له كل المقومات التي تعينه على المعرفة الصادقة فزود الإنسان بهذه الأداة العظيمة وهي العقل ثم جعله على الفطرة السوية وهي المبادئ والأسس البديهية ثم أعطاه الحواس وما تنقل إليه من أنواع المعارف والمدركات ثم أتبعها بالشريعة والوحي السماوي وجعل دخول الإنسان في هذا الدين يمر بمرحلة سلسلة سهلة في غاية البساطة والوضوح ولا تستلزم إعادة النظر والشك في المعارف السابقة حتى يدخل الإنسان في اليقين بل كان عليه الصلاة والسلام يقبل كل من أراد الدخول في هذا الدين ولا يلزمه بهذه الطريقة الطويلة التي تهدم ما بناه الإنسان وتجعل الوصول إلى الحقائق بعيداً وطويلاً وشاقاً وهداماً لهذه المبادئ الفطرية المغروسة في الإنسان.

ولو افترضنا أنه لا يتطرق لها فإنه ولا شك فيه تضييع لوقت الإنسان حيث يسلك فيه طرقاً عقلية معقدة وطويلة ليرجع آخر الأمر إلى الإيمان الفطري المطلوب بداهة وتلقائياً ولا يحتاج إلى كل هذا التعقيد والتطويل اللفظي والمنهجي .

ثالثاً: لا يسمح به مطلقاً في المسائل العقائدية والشرعية هذا النوع من الشك غير متوافق مع الفطرة البشرية إذا استخدم في المجال التشريعي العقائدي فهو يجعل ممارسة يمر بمراحل من التعقيدات والمعتراكات الفلسفية لا يجيدها كل الناس ولا يستطيع خوضها أي أحد من الناس.

فإن الممارس لهذا النوع من الشك في المجال الاعتقادي يبذل جهداً كبيراً لأجل أن يوضح أمراً هو واضح بدهشة وابتداءً فيضيع الوقت والجهد فيما لا طائفة من ورائه ومن ثم يصعب الأمر على كافة الناس ويجعل الإيمان البسيط إيماناً ناقصاً والإيمان الفلسفي هو الإيمان الكامل ثم لما تتضح الأمور وينكشف الغطاء يرجع صاحب هذا الطريق الفلسفي الطويل إلى الإيمان الفطري البسيط كما أشرنا إلى ذلك في الباب الثاني من بحثنا .

ويمكننا القول بعد هذه النقاط القصيرة أن الشك المنهجي وبكل اختصار مرفوض تماماً في البديهيات والمسلمات التي فرضها العقل والأديان السماوية وهو مطلوب مرغوب في العلوم التجريبية حتى تستبعد الفرضيات الخاطئة لأجل الوصول للإجابة والمعرفة الصحيحة .

المبحث الثالث : مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموماً

سبق وأن ذكرنا في ثنايا هذا البحث بعض القضايا والمسائل المتفرقة التي حصل فيها نوع من الشك والإنكار وسنحاول في هذا المبحث أن نفرّد أهم المسائل التي اثّرت من قبل الشكاك ونحاول بيان الحق فيها من خلال مناقشة الشكاك فيها ومن أهمها ما يلي :-

أولاً : الرد على المتكلمين في نفيهم فطرية المعرفة ووجود الله سبحانه وتعالى

سبق أن قررنا في المباحث السابقة الأدلة من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي تجعل توحيد الله واعتقاد الكمال المطلق له من الضروريات التي تدل عليها الفطرة الربانية وما كان أمراً ضرورياً كهذا فإنه لا يمكن الاستدلال عليه .

ولكنهم عند نفيهم لبداية وفطرية المعرفة والتوحيد التزموا بإيجاب النظر على المكلف حتى يكون موحداً والبعض منهم التزم الشك وجعله هو أول الواجبات على المكلف وقد سبق بيان كل هذا وسنحاول هنا أن نبرهن على خطأ هذا المنهج ألا وهو إيجاب النظر على المكلف ونبين أن دلالة النصوص الشرعية والمقتضيات العقلية على خلاف ذلك أما أن نستدل على أن التوحيد و الفطرة ضرورية فقد بينا استحالة التدليل على ذلك.

فنحن عندما ننظر في النصوص الشرعية وفي منهج النبي في دعوته الناس إلى الإسلام عندما يقبل الداخل في الإسلام نجد أنه

لم يشترط للداخل في هذا الدين " النظر " ولم يشترط عليه " الشك " فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما بعث معاذاً إلى اليمن قال " إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جننتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " وفي رواية أخرى " فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله" (١) .

وكذلك قوله " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله " (٢) .

وفي هذه النصوص لم يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أكثر من الشهادتين حتى يدخلوا في الإسلام وتعصم بها دماؤهم وأعراضهم وفي هذا يؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية أن النظر غير مطلوب فيقول " فهذا لا يجب على الصبي أن يفعله - أي النظر - عقب البلوغ ، ولا سيما إذا كان النظر المطلوب مستلزماً للشك المنافي لما حصل له من المعرفة والإيمان ، فيكون التقدير : اكفر ، ثم آمن ، واجهل ثم اعرف ، وهذا كما أنه محرم في الشرع ، فهو ممتنع في العقل ، فإن تكليف العالم الجهل مما لا يقدر عليه " (٣) .

وقد ادعى بعض المتكلمين أن النظر في معرفة الله واجب إجماعاً^(٤) وهذا من أقبح الأقوال فقد ذكر الحافظ ابن حجر " اطباق

(١) رواه البخاري (١٠٩/٢) ومسلم كتاب الإيمان (١٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٦/٨) .

(٤) المواقيف : الإيجي (٢٨) .

أهل العصر الأول على قبول الإسلام ممن دخل فيه من غير تنقيب " (١) .

بل إن بعض أهل الكلام خالفهم في ذلك ومنهم الشهرستاني الذي قرر أن وجود الله سبحانه تعالى ضروري وفطري وقال عن هذه المسألة " ما عادت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان ، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم قادر عليم " (٢) .

يقول الدكتور/ الزنيدي " والقرآن في دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة ، أوقف في الناس تلك المبادئ الضرورية ليزنوا بها ما هم عليه من عقائد وما دعاهم إليه ليصلوا إلى المعرفة الصحيحة ، بدون حالة توقف يطالب فيها من الشخص أن يشك في كل شيء ويفرغ عقله ليبدأ من جديد منشئاً معارفه دون هاد أو معين " (٣) .

وبهذا يتبين لنا أن معرفتنا وتوحيدها بالله سبحانه وتعالى ضروري بديهي وأنه لا يصح أبداً أن نشترط على المسلم أن ينظر أو أن يشك حتى يصح إيمانه ويقبل، وأن هذه التزامات عقلية لم يأمر بها الشرع ولم يحث عليها وبهذا تنتفي هذه الحجة ويثبت الحق بأمر الله .

(١) فتح الباري : ابن حجر (٧/١) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٣٩٦/٧) .

(٣) مصادر المعرفة : الزنيدي (٨١) .

ثانياً : الرد على الشكاك في نفيهم الاستقراء واطراد نتائجه

علمنا حينما استعرضنا أنواع الشك أن هناك من الشكاك من يرفض الاستقراء جملة أو يقبله كمنهج ولا يعتبر الاطراد فيه يقيناً بل يعتبر النتائج الموصلة مجرد احتمال لا يرقى لليقين أبداً .

ونحن هنا يمكن أن نجمل الرد عليهم في النقاط التالية :

١- أن الاستقراء منهج رباني مطرد النتائج في الكون كله بمشيئة الله سبحانه وتعالى وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله " قد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع، والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار " والاعتبار " أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه " (١).

ويقول رحمه الله في موطن آخر " لا ريب أن الحس يدرك المعينات أولاً ثم ينتقل منها إلى القضايا العامة ، فإن الإنسان يرى هذا الإنسان وهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ، ويرى أنه حساس متحرك بالإرادة ناطق، وهذا كذا، وهذا كذا، فيقضي قضاءً عاماً، أن كل انسان حساس متحرك بالإرادة ناطق " (٢).

٢- إننا حين نحكم باطراد الاستقراء و يقينه نرى أن هذه ضرورة قادتنا إليها الضرورة العقلية لاستفاضة نتائج الاستقراء وشهرتها وعلى هذا فنحكم بيقينيتها في العموم ليقينية جزئياتها

(١) الرد على المنطقيين (٢ / ١٠٦) ، تحقيق رفيق العجم بيروت دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣ م .

(٢) مجموعة التوحيد (١ / ٤٨) ، نشر إدارة البحوث الإسلامية ، الرياض . بلا تاريخ .

ويؤكد هذا شيخ الإسلام بقوله عن القضايا الاستقرائية المشهورة " من حيث هي مشهورة تفيد التصديق والإقناع والاعتقاد ... " (١).

وعلى هذا فمن ينكرها يلزمه إما أن يعتقد ضرورتها كما اعتقدناها أو يحكم بأنها صدفه ولا يمكنه ذلك جزماً فإن الصدفه لا يمكن أن تطرد في كل شيء وعلى هذا فليس لهم مفر سوى الإذعان لنتائج واطرادات الاستقراء واعتبار يقينها .

٣- ولا تصح أبداً الدعوى التي أتى بها البعض حينما أثبت الاستقراء وجعل مستنده الحس والتجربة لأن ذلك يفضي وبلا شك إلى الدور الباطل حيث يكون أساس الاستقراء محتاجاً إلى استقراء آخر وهذا باطل.

والصحيح أن الاستقراء مبني على مبدأ العلة من حيث هو مبدأ فطري ضروري وهو أن لكل حادثة إذا وجدت فلا بد أن يكون لها سبب وفي هذا يقول ابن تيمية " والعلم بأن المثليين سواء وأن الأكثر والأكبر والأعظم يعلم ببديهة العقل " (٢).

٤- والشكك في نفيهم الاستقراء ونتائجه يقعون في تناقض شديد فهم يجتهدون في نفي الاطراد الناتج عن الاستقراء وعلى هذا فلا يمكنهم القول بأي قوانين علمية يقينية فيلجأون للاعتراف به دون قناعة منهم به يقول هيوم "انني مثلك على أتم اقتناع بأن خبرة المستقبل يمكن قياسها على خبرة الماضي ، لكنني مقتنع بذلك باعتباري إنساناً مثلك يسلك ليعيش ، وأما باعتباري

(١) الرد على المنطقيين (٢ / ١٠٨) .

(٢) نقض المنطق (٢٠٦) ، تصحيح محمد حامد الفقي بيروت المكتبة العلمية ، بلا تاريخ.

فيلسوفاً له نصيب من التطلع - ولا أقوى من التشكك - فإنني أبحث عن هذا الأساس ما هو "(١).

٥- ولا يصح استدلالهم بأنه من الممكن عقلياً أن تأتي نفس الحادثة التي عملنا عليها الاستقراء في المستقبل بنتيجة مغايرة لأننا لا بد أن نعلم أن حقيقة الشيء هي بخصائصه المميزة له عن غيره فإذا اختلفت هذه الخصائص فإنه يكون شيئاً آخر غير الأول الذي اعتمدنا عليه أثناء الاستقراء لكنه ما دام ذاته بخصائصه الثابتة فإننا نجزم يقيناً بصحة نتائج الاستقراء التي توصلنا إليها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " إذا اثبت أن الوصف المشترك مستلزم للحكم كان هذا دليلاً في جميع العلوم "(٢) ، ويقول أيضاً " إن القياس حيث قام الدليل على أن الجامع مناط الحكم، أو على إلقاء الفارق بين الأصل والفرع، فهو قياس صحيح، ودليل صحيح في شيء كان "(٣).

(١) دايفد هيوم، لزكي نجيب محمود ، (٧٧).

(٢) الرد على المنطقيين ، (١ / ١٢٩) .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .

ثالثاً: الرد على الشكك في إنكار مبدأ السببية أو العلية :

كما أشرنا في الباب الأول من هذا البحث أن الشكك ينكرون السببية ويمكن مناقشتهم كالاتي :

١- سنقرر الموقف الإسلامي من السببية فقد جاء القرآن الكريم يوضح أن الله سبحانه وتعالى خلق ما في الكون كله وهو المبدع له سبحانه وتعالى بنظام دقيق وحكمة بالغة ونحن نشاهد تتابع الزمان ودقة صنع الله سبحانه وتعالى وهذا الارتباط المتناسق في الكون لم يأت عبثاً وإنما هو ارتباط سببي يعطينا دلالة واضحة على أن لكل شيء مسببات جعلها الله سبحانه وتعالى بعلمه وبمشيئته وقدرته ليسير هذا الكون بكل انسجام وانظر لقوله سبحانه وتعالى :

{ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ، فقد رتب وجود المطر على السحاب كعلاقة سبب ومسبب بل إن الآيات الأخرى تأتي فيها باء السببية لتؤكد هذا المعنى كما في قوله سبحانه

وتعالى : { ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥﴾
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦﴾

، وقد علق شيخ الإسلام - رحمه الله - على هذه الآية بقوله " ومن

(١) النور ، آية (٤٣) .

(٢) الأعراف ، آية (٥٧) .

قال إنه يفعل عندها لا بها ، فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع "(١).

٢- لا يمكن أبداً أن نورد أي مناقشة تفصيلية لأدلتهم لمن ينكرها لأنه أنكر مبدأً فطرياً ضرورياً لا يمكن الاستدلال عليه وإنما يستدل به وتأكيداً لهذا فقد بين شيخ الإسلام - رحمه الله - أنه لا يمكن الاستدلال على مبدأ السببية وبين أن ذلك يناقض طبيعة العقل الفطرية وبين أن من ادعى ذلك فقد خالف الضروريات فلا يمكن حينئذ الرد عليه، لأن قبوله للحجة أو ردها لا بد أن يستند إلى المبادئ الفطرية فإذا كان قد نفاها لم يكن له أن يناقش ، وإنما يبين وجه تناقضه ومخالفته لتلك المبادئ الفطرية(٢).

٣- كما نشير إلى أن كثيراً من الفلاسفة التجريبيين قد تولوا بأنفسهم الرد على من أنكر العلية من التجريبيين أنفسهم ومن أمثلة من ردّ عليهم أنشتاين(٣) الذي يقول " إن نتائج ميكانيكا الكم هي تعميم عقلي للعلية في أشد صورها كمالاً "(٤).

٤- بل إن المنكرين للسببية مقرون بها ضمناً، ومعتمدون عليها في بحوثهم وإن غيروا الأسماء أو حتى أنكروها(٥) وأصدق

(١) العقديّة التدمرية : ابن تيمية (١٣١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٣ / ٣١٠) ، الرد على المنطقيين : ابن تيمية (١ / ١٢٧) .

(٣) عالم أمريكي أسمه ألبرت انشتاين درس العلوم الطبيعية واشتهر بنظرية النسبية ونال جائزة نوبل عام ١٩٢١م ، انظر : دائرة المعارف الحديثة (١ / ٢٣٥) .

(٤) انظر : مصادر المعرفة للزبيدي (٥٤٩) وانظر أيضاً مبدأ العلة لمارتن هذغر (٥) وما بعدها ، ترجمة نظير جاهل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٢ هـ - ٢٠٠١ م .

(٥) انظر : مدخل جديد للفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، (١١٠) ، وكالة المطبوعات الكويتية الطبعة الثانية ، الكويت .

مثال على ذلك أن هيوم عندما يجعل السببية راجعة إلى العادة وهذا يستلزم فكرة السببية وفي هذا يقول جان قال (١٨٨٨-١٩٧٤) (١) عن هيوم: " لقد اعترف هيوم بطريقة ضمنية بصحة مبدأ العلية، لأن العادة والتوقع هما علتنا فكرتنا عن العلية " (٢).

٥- أما الذين أثبتوا السببية من التجريبيين وأرجعوها للاستقراء والتجربة فقد وقع في التناقض ، إذ جعل مبدأ السببية متوقفاً على الاستقراء، لكنه جعل الاستقراء مع ذلك متوقفاً على السببية، وهذا دور ممتنع معلوم البطلان بالضرورة، وذلك أنه إذا جعل تحقق مبدأ السببية متوقفاً على الاستقراء فلا يمكن أن يدل مبدأ السببية على الضرورة، وإنما يدل حينئذ على مجرد الإمكان والاحتمال ، فلا يمكن أن يكون أساساً للاستقراء " (٣).

٦- وأخيراً فإن من يتهم من يثبت السببية بأنه مشرك أو مبتدع فلا شك أن هذا ناتج من سوء الفهم وذلك " أن إرادة العبد وقدرته إذا اعتقد كونها سبباً في وجود فعله لم يكن في ذلك تعارض مع كون الفعل مخلوقاً لله تعالى ، لأن الله هو خالق الأسباب والمسببات وتقدير الله ألا يوجد الفعل إلا بقدره وإرادة جازمة من العبد لا ينافي ذلك، بل هو مقتضى التكليف، بحيث يكون للعبد مشيئة الفعل أو الترك " (٤).

(١) فيلسوف فرنسي معاصر من أبرز كتبه ((بحث في الميتافيزيقيا)) انظر : أعلام الفلسفة : روني الفا (١٣١/١).

(٢) طريق الفيلسوف (١٨٧) ، ترجمة أحمد حمدي محمود مطابع سجل العرب القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد الله القرني (٤٣٧) .

(٤) المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد الله القرني (٤٨٤) .

ويؤكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله " إن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثه، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة ، كما خلق النبات بالماء، وكما خلق الغيث بالسحاب ، وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق ، وهذا شأن جميع الأسباب والمسببات، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً وإلا فيكون إثبات جميع الأسباب شركاً" (١).

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٨٩ - ٣٩٠).

رابعاً : الرد على الشكك في نفيهم للواقع الخارجي للأشياء :

وذلك أنهم أنكروا أمر ضرورياً ويقينياً وتناقضوا مع الفطر السليمة وأهم القواعد الحسية المعتمدة فهم يزعمون أن وجود الشيء لا يعني إلا كونه مدركاً فقط ولا يمكننا أن نقول عن الشيء إلا أنه مدرك فقط دون التجاوز إلى الحكم بوجوده وهذا الشيء غير ممكن وغير معقول البتة لأنه لا يمكن أبداً الفصل بين الشيء وبين معطياته الحسية إذ هما حقيقة واحدة لا حقيقتان مختلفتان وإلا فكيف يمكن تصور معطيات حسية موجودة لذاتها لا ترتبط بحقيقة لها وجود مستقل (١).

وهم عندما يفرقون بين وجود الأشياء وإدراكها ينكرون أمراً ضرورياً لا سبيل إلى إنكاره أو الاستدلال عليه فلا يمكننا أن نقيم لهم دليلاً على خطأهم ونسرد أدلة على أن الشيء موجود بناء على الإدراكات المعطاه لنا لأننا هنا نستدل على أمر ضروري والقضايا الضرورية والبدئية لا يمكن الاستدلال عليها كما بينا ذلك مراراً ولأن في ذلك نوع عبث واتعاباً للذهن فيما لا طائل من ورائه.

ولا شك أن جعلهم عجزنا عن الاستدلال لهذا الوجود الخارجي هو قمة الجهل والمغالطة ولذلك يقول توماس رين (٢)
(١٧١٠-١٧٩٦م) :

(١) انظر : المعرفة في الإسلام ، د/ عبد الله القرني (٣٥٣) .

(٢) فيلسوف اسكتلندي من أهم كتبه " محاولات في القوى الفاعلية " انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف

كروم (١٨١) ، دار المعارف بدون تاريخ .

" محال أن نفسر السبب الذي من أجله نوقن بمدركات حواسنا، إن هذا اليقين قاهر، إنه صوت الطبيعة ، وعبثاً نحاول معارضته، وإذا أردنا أن ننفذ إلى أبعد منه ونطلب إلى قوة من قوانا السبب الذي يبرر ثقتنا بها، وأن نعلق هذه الثقة إلى أن تبديه، فيخشى أن تسوقنا هذه الحكمة المسرفة إلى الجنون "(١).

وقبل هذا فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- أن المسائل الضرورية لا يستدل لها ولا يمكن الشك فيها "(٢).

ومما يثير العجب أن هيوم وهو من أهم من أنكر الواقع الخارجي الأشياء هو ممن ينادي بأن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة كما نقلنا عنه كثيراً من هذه النقولات أثناء هذا البحث ولا يستقيم أبداً جعله الحواس مصدراً وحيداً للمعرفة وإنكاره للواقع الخارجي وجعله الوجود هو الإدراك مع أن وسيلة الإدراك الأساسية هي الحواس .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم (١٨١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٣١٠) .

الفصل الثالث : حكم الشك في المسائل الاعتقادية

وفيه تمهيد و مبحثان

- تمهيد .
- المبحث الأول / ضوابط يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم على المسلم .
- المبحث الثاني / المسائل التي دخلها الشك والحكم فيها.

تمهيد :

وفي هذا الفصل سنبين حكم الإسلام فيمن شك أو أنكر شيئاً من الأمور اللاعقادية وسنحاول قبل أن نعرض للأحكام الشرعية التي ترتبت على الشك أو الإنكار لبعض مسائل الدين أن نوضح بعض الأمور التي يجب مراعاتها وأخذها بالاعتبار قبل إصدار الأحكام على الناس وقد رأيت أن أضع هذه الأمور والضوابط في مبحث مستقل يكون كالتمهيد والتوطئة والإيضاح للأحكام التفصيلية التي ستأتي بعده ومن ثم سأشرع في تبين بعض المسائل التي حصل فيها شك أو إنكار فيما له علاقة ببحثنا وموضوعنا وسأبين حكم الإسلام فيها وكلام أهل العلم من أهل السنة والجماعة وقد اعتمدت كثيراً على آراء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما له من القدم الراسخة في هذا الباب ولما حصل في عهده من نزاع وافتراق ومناظرات متعددة بالإضافة لاستقرار الفرق على مذاهبها وآرائها في القرون المتقدمة عنه فكانت الرؤية لديه واضحة فيما يتعلق بآرائهم ومعتقداتهم وقد جعلت هذه المسائل في مبحث مستقل وبينت الحكم فيها وهو المقصود بيانه والعناية به في هذا الفصل .

المبحث الأول : ضوابط يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم على المسلم

في هذا المبحث رأيت أنه لا بد من الإشارة السريعة لبعض المسائل التي يجب أن نراعيها ونضبطها حتى يكون حكمنا منصفاً وصواباً على المخالف وذلك وفق الضوابط والأصول الشرعية التي جاءت بها الشريعة وقررها علماء أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع المخالفين ويجب أن نؤكد أنهم قد وضعوا ضوابط مؤصلة ومتعددة في الحكم على المخالف ولن نستقصيها في هذا المبحث لأن ذلك ليس موضوع بحثنا ولكننا سنخرج على ما يتعلق بموضوعنا بإشارة والماحة سريعة ستكون كافية إن شاء الله سبحانه وتعالى في بيان المقصود وتقرير المسائل المتعلقة بموضوعنا الذي نحن بصدد تقريره . ومن أهم المسائل التي يجب أن نراعيها ما يلي:

أولاً : التفريق بين الحكم العام وبين الحكم على المعين .

والحكم العام : هو الحكم على القول أو الفعل بالكفر أو عدمه على وجه العموم والإطلاق بدون تسمية شخص معين أما الحكم على المعين فيعني : الحكم على المعين نفسه بالكفر أو عدمه بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع في حقه .

وهذه المسألة : هي من صميم العدل والإنصاف الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى بمراعاته مع المسلمين ومع غيرهم فقد قال

ســــــــبحانه وتعالى { }
.....

ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه : بتوبة ، أو حسنات
ماحية ، أو مصائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة " (١) .

ثانياً : ثبوت قيام الحجة على المعين .

وهذه المسألة من أهم المسائل التي يجب مراعاتها فقد
أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لإقامة الحجة على الناس كما قال
سبحانه : { ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ كُنُوفٌ سَوِيَّةٌ وَنَزَّلْنَا الْمُطْرَقَ فِي الْيَوْمِ الْحَدِيدِ لِيُخْرِجُوا بِهِ الْقَوَارِيرَ وَالْأَنْعَامَ وَالْجِبَالَ حُدُودًا لِيُحْذَرُوا لِقَاءَ يَوْمٍ يَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَدْءًا ظَهْرًا وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِي سَكَبٍ مَّزِينٍ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِي أَكْثَرِ نُجُومٍ } (٢) وكما قال
سبحانه أيضاً { ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى الْأَسْمَاءَ أَكْثَرًا وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَالْحِزْبَ لِيُحْزَبُوا فِي الْآيَاتِ الْكُبْرَى وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِي سَكَبٍ مَّزِينٍ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِي أَكْثَرِ نُجُومٍ } (٣) قال الحسن البصري " تذكره
للمؤمن أو حجة على الكافر " (٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ويراعى في المسلم اختلاف
أحوال الناس ، من حيث قرب عهدهم بالإسلام أو قدمهم فيه ، ومن
حيث انتشار العلم في بلدانهم ، أو قصوره عنها ، كما يراعى حال
السنة التي جدها الجاحد من حيث ظهورها وخفاؤها ، فإن كانت
السنة خافية ، أو البلد ينتشر فيه الجهل ، أو كان الشخص قريب
عهد بإسلام ، أو لم يبلغه العلم بالسنة ،

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٣ / ٢٣٠ - ٢٣١) .

(٢) الأعلى آية (٩) .

(٣) الإسراء آية (١٥) .

(٤) تفسير القرطبي (٢٠ / ٢٠) .

اشترط فيه قيام الحجة ، وإلا ينظر هل تعلقت بجده شبهه أو لا
" (١) .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " وليس
لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط ، حتى تقام عليه
الحجة وتبين له المحجة ، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه
بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة ، وإزالة الشبهة " (٢) .

وقال أيضاً بعد أن ذكر أقوال الجهمية في نفي الصفات "
وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف والأئمة تكفيراً مطلقاً ، وإن
كان الواحد المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها " (٣)

ثالثاً : عدم الحكم على لازم القول ومقتضاه .

وهذه المسألة من أدق المسائل وأهمها حيث أن بعض
المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة والمصادمين لكثير من
القواعد الشرعية يلزم على قولهم عدة لوازم كفرية لكنهم لا
يلتزمون بها ونحن لا نكفرهم على هذه اللوازم ولا نلزمهم بها حتى
يلتزموها فإن التزموها فيمكن الحكم على القول بالكفر دون صاحبه
، وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله " فالصواب أن مذهب
الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه ، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه ،
كانت إضافته إليه كذباً عليه ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم

(١) منهج ابن تيمية في مسألة التفكير : عبدالمجيد المشعي (٢١٣/١) مكتبة أضواء السلف ط : الأولى
١٤١٨ - ١٩٩٧ م .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤٦٦/١٢) .

(٣) المرجع السابق (٣٥٢/٢) .

تكفير كل من قال عن الاستواء أو غيره من الصفات إنه مجاز ليس بحقيقه ، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة ، وكل من لم يثبت بين الاسمين قدراً مشتركاً لزم أن لا يكون شيء من الإيمان بالله ومعرفته والإقرار به في الآخر ، ولازم قول هؤلاء يستلزم قول غلاة الملاحدة المعطلين ، الذين هم أكفر من اليهود والنصارى لكن نعلم أن كثيراً ممن ينفي ذلك لا يعلم لوازم قوله " (١) .

رابعاً : اعتبار العذر الشرعي للمخالف .

ومن يخالف مذهب أهل السنة الذي نعتقد جزءاً أنه مذهب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإننا لا نحكم عليه أبداً بكفر أو فسق أو بأي حكم حتى ننظر للعذر الذي لديه وقال بهذا القول لأجله .

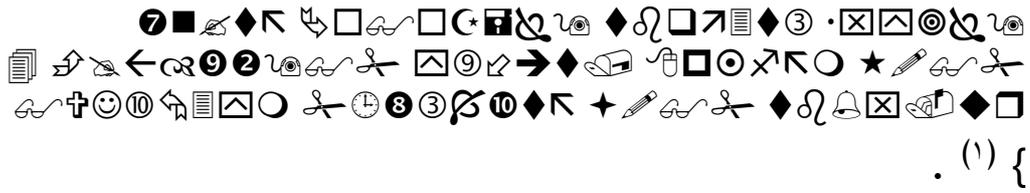
وهذا ولا شك مذهب رباني أقامه النبي صلى الله عليه وسلم عملياً في تعامله مع أصحابه ومع مخالفيه والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى وسنذكر طرفاً منها عند ذكرنا لأهم الأعذار المعتبرة شرعاً ومنها :

(أ) - الجهل :

والجهل بالحكم الشرعي أو بأصل المسألة وأدلتها من أهم الأمور التي يجب مراعاتها واعتبارها وقد قال سبحانه وتعالى :

{ ﴿ ١٠٠ ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴿ ١٠٣ ﴾ ﴿ ١٠٤ ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾ ﴿ ١٠٨ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ ﴿ ١١٠ ﴾ } .

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٢٠ / ٢١٧ - ٢١٨) .



{ (١) .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت النبي " مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ " (٢) ويعلق على هذا الحديث شيخ الإسلام بقوله " فهذه عائشة رضي الله عنها سألت النبي هل يعلم الله كل ما يكتم الناس؟ فقال لها النبي : نعم ، وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك ، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة... " (٣).

ويقول في حكايته لبعض من ناظره من مخالفيه " ولهذا كنت أقول للجهمية ، من الحلولية ، والنفاة ، الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش ، لما وقعت محنتهم : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأنني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال . وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم ، وشيوخهم وأمرائهم ، وأصل جهلهم شبّهات عقلية حصلت لرؤوسهم في القصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له " (٤) .

(ب) - التّأول:

(١) النساء (١٦٥) .

(٢) رواه مسلم (٦٤/٣) كتاب الجنائز .

(٣) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤١٢/١١) .

(٤) الرد على البكري وهو تلخيص لكتاب الاستقامة : ابن تيمية (٢٥٩) الدار العلمية للطباعة والنشر ط :

وهو من أهم الأعدار التي يعتذر بها لمن خالف أهل السنة والجماعة فهؤلاء المخالفين يتأولون الكثير من الأمور الاعتقادية والشرعية عموماً.

والعذر بالتأول له أصل شرعي كما قال سبحانه وتعالى "  ابن تيمية " وعلى هذا فالتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية ، وإن كان في قوله بدعه يخالف بها نصاً ، أو إجماعاً قديماً ، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه ، كما يخطئ المفتي ، والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده ، يكون أيضاً مثاباً من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى ، غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه وإن كان معفواً عنه " (٢) .

(ج) - الخطأ:

وهو من الأعدار المعتبرة التي راعتها الشريعة الإسلامية كما قال سبحانه "  صلي الله عليه وسلم " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " (٤) ،

وهذا الخطأ يشترط فيه ثلاثة شروط :-

(١) آية الاحزاب (٥) .
 (٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٧٢ / ١٩) .
 (٣) آية الاحزاب (٥) .
 (٤) رواه الترمذي (٢١٦٧) كتاب الفتن وقال حديث غريب .

• الأول: أن يكون قصده متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

• الثاني: أن يكون استفرغ وسعه في طلب الحق.

• الثالث: أن يكون متبعاً دليلاً شرعياً.

ويقرر العذر بالخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله " وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفقد الحق فالخطأ لا يكفره بل يغفر له خطؤه ، ومن تبين له ما جاء به الرسول ، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ، ومن اتبع هواه ، وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ، ثم قد يكون فاسقاً ، ثم قد تكون له حسنات ترجح على سيئاته"^(١). ونحن هنا لم ننتبع كل الأعذار والضوابط في الحكم على المخالف بل أردت أن أشير إلى أمور وقواعد عامه حتى يتضح بها الكلام حين نحكم على بعض المسائل التي أنكرت أو شك فيها

(١) مجموع الفتاوى (١٤٥/٨) .

المبحث الثاني

المسائل التي دخلها الشك وحكم من شك فيها

تمهيد :-

وقبل أن نبين هذه المسائل وحكم الإسلام فيها أنبه إلى أن المسائل التي حصل فيها الشك أو الإنكار في الدين كثيرة ومتنوعة ولكني سأقتصر في هذا البحث على المسائل المتعلقة بموضوعنا والتي أشرت إليها أثناء البحث ، مراعيًا المسائل الكلية وعمومها دون الدخول في تفصيلها وما يلزم من الإنكار أو الشك فيها لأن هذا باب واسع كبير ويكفينا الإشارة فقط إلى حكم الإسلام فيها وما قرره علماؤنا وسلفنا بما ورثوه من علم ونور القرآن والسنة ، وسيكون مدار بحثنا هنا في المسائل التي خولف فيها الشرع والدين دون الإشارة إلى حكم الإسلام فيمن أنكر وجود المعرفة والحقيقة في ذاتها لأن هذا قول لا يلتفت له ولم يعره القرآن ولا السنة ولا علماء الأمة أدنى اهتمام لمخالفته للمعلوم في العقل والدين بالضرورة ، ونحن عندما نحكم في هذه المسائل يجب أن نراعي الضوابط والأصول التي قررناها في المبحث السابق لترابطها ولأن الجمع يكمل المعنى ويؤدي للمقصود بعون الله سبحانه وتعالى.

أولاً: حكم من شك فيما ثبت بالكتاب والسنة:-

وهذا الرد لما ثبت في القرآن والسنة ليس على درجة واحدة بل هو على درجات ومراتب متفاوتة بين أهل العلم ، وبينوا هذا مرارا وأكدوا عليه فالرد يمكن جعله على المراتب التالية:-

المرتبة الأولى:-

من رد شيئاً منها ولكنه غير متصور للرسالة والدين ولم تبلغه الدعوة وهذا بلا شك يدخل في عموم من لم تبلغه الحجة والدين ، وفيه يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " والكفر المعذب عليه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة (١) ".

المرتبة الثانية: -

أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة معرضاً وهو متصور لهما ولكنه انصرف عنه فهذا كفر ولا شك في ذلك وفي ذلك يقول الله

تعالى "  "

 "  "

 ، ويقول سبحانه أيضاً "  "

 "  "

 " (٣) ."

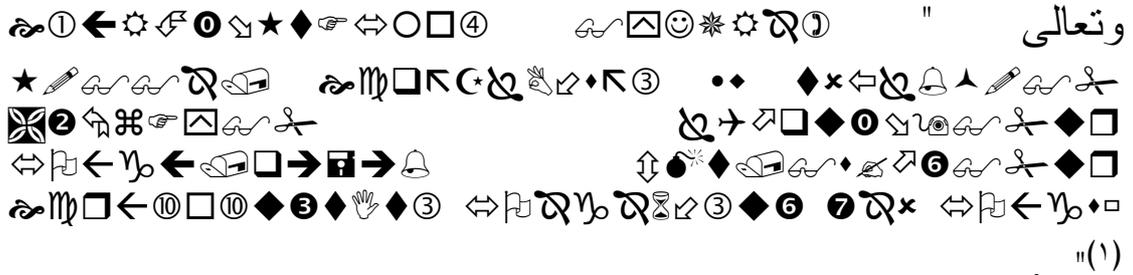
(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٧٨/٢) .

(٢) النساء (٦١) .

(٣) الأحقاف (٣) .

المرتبة الثالثة :-

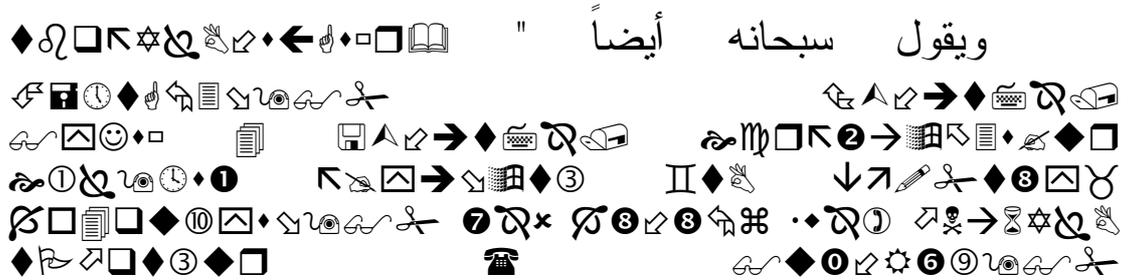
أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة متصوراً لها ولكنه ليس معرضاً عنها بل هو في ريب وشك فهذا كفر أيضاً كما قال سبحانه

وتعالى "  (1)

المرتبة الرابعة :-

أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة مؤمناً ببعضها كافراً ببعض الآخر وهذا كفر أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان

متلازماً وكفر الله هذا النوع بقوله سبحانه وتعالى "  (2)

ويقول سبحانه أيضاً " 

(1) التوبة آية (٤٥).

(2) النساء آية (١٥٠-١٥١).



« (١) »

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك " كما أن من آمن بشيء من الكتب المنزلة ، وكذب ببعضها كان كافراً خارجاً عن دين الإسلام ، فإن دين الإسلام يتضمن الإيمان بجميع الكتب ، وجميع الرسل ، وجميع ما أخبرت به الرسل (٢) " .

كما ذكر رحمه الله أن الرهبان مع زهدهم وعبادتهم وإيمانهم بكثير مما جاء به الرسل ، بل جمهورهم يعظمون الرسل ويعظمون أتباعهم ، لكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به ، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض فصاروا بذلك كافرين (٣) .

ثانياً :- حكم من شك في المتواتر والإجماع :-

والإجماع الذي نعنيه هنا هو الإجماع القطعي الموافق للنص المعلوم بالتواتر عن سلف الأمة من الصحابة أو القرون المفضلة (٤) ، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه ، كما يكفر مخالف النص بتركه ، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به ، وأما العلم بثبوت الإجماع في مسألة لا

(١) البقرة آية (٨٥) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٩٣/٣) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٧١/١١) .

(٤) المرجع السابق (٢٦٧/١٩) ، (١٠/٢٠) .

وانظر أيضاً مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات لابن حزم (٧) دار الكتب - بيروت - بدون تاريخ .

نص فيها فهذا لا يقع ، وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره ، وحينئذ فالإجماع مع النص دليلاً كالكتاب والسنة " (١) .

وقد قال سبحانه وتعالى "  .

وعن هذه الآية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " وهذه الآية تدل على إن إجماع المؤمنين حجة وأن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول ، وإن كل ما أجمعوا على فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول ، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانهما مما بين الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص البين " (٢) .

ولما بلغ الإمام أحمد أن رجلاً يقول : إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة ، غضب غضباً شديداً ، ثم قال : من قال : إن الله عز وجل لا يرى فهو كافر وماذا يصنع في قول الله جل ذكره : "  " وقال عز وجل "  .

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٧٠/١٩) .
 (٢) النساء (١١٥) .
 (٣) مجموع الفتاوى (٣٩/٧) .
 (٤) القيامة (٢٢-٢٣) .

الامور مما هي كفر مخرج من الملة وأنها من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يسوغ لأحد انكارها أو التشكيك فيها .

رابعاً :- حكم من شك في الأسماء والصفات :-

والإيمان بأسماء الله وصفاته مما هو معلوم من الدين بالضرورة ومذهب السلف في الأسماء والصفات هو اثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبتته له الرسول صلى الله عليه وسلم ونفي ما نفوه عنه سبحانه وتعالى كما قال الله في كتابه " ﴿لَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ سَمَاءً﴾ " ﴿١﴾ .

وهم يحكمون أن من نفاها عن الله سبحانه وتعالى فهو كافر^(٢) . وتكفير من ينفي الصفات مأثور من السلف والصحابة فإن الصحابة لما سمعوا عن ينفي القدر وينفي علم الله سبحانه تبرؤوا من هذه المقالة وردوا عليها .

كما أن الأئمة مالكا والشافعي وأحمد وغيرهم قد نصوا على كفر هؤلاء^(٣) .

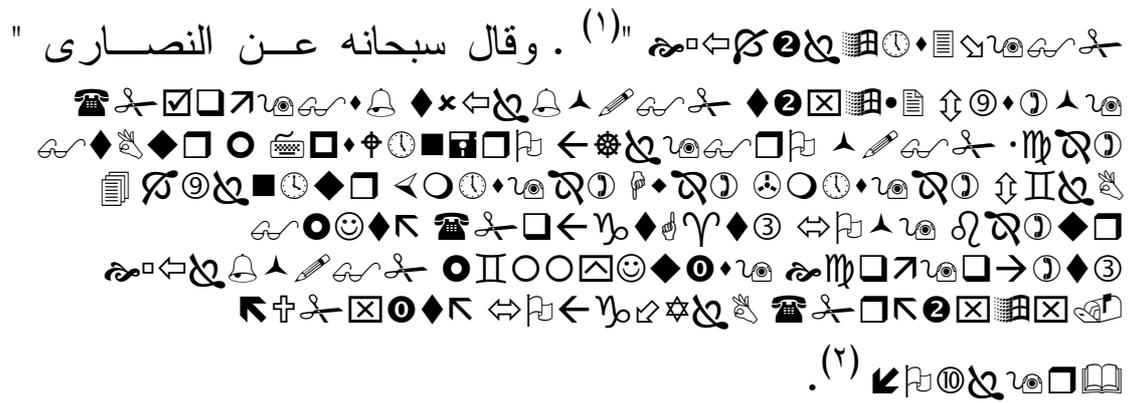
وفي هذا يقول الامام أحمد : " من زعم أن علم الله تعالى واسماءه مخلوقة فقد كفر بقول الله " ﴿لَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ سَمَاءً﴾ " ﴿١﴾ .

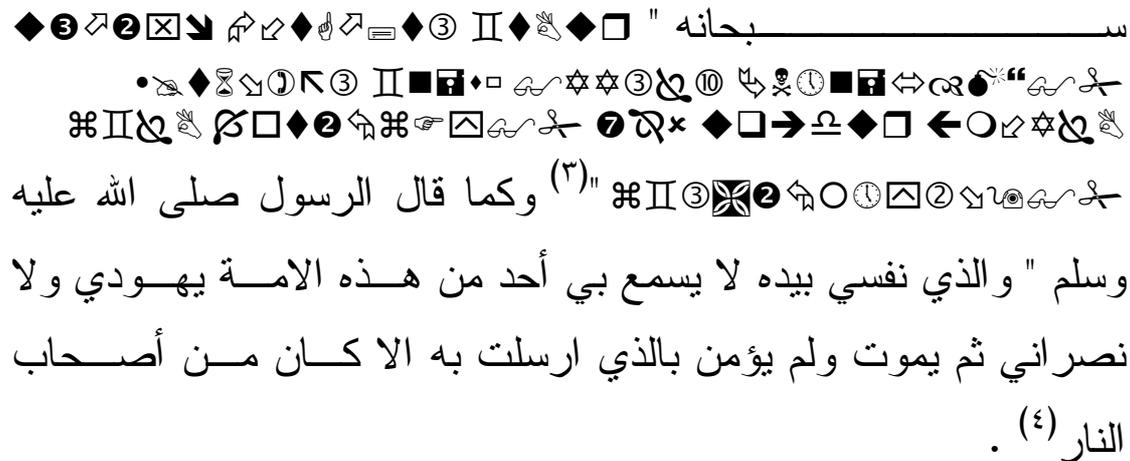
(١) الشورى آية (١١) .

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة الأهل السنة : اسماعيل بن محمد التميمي (٤٠٤/٢) تحقيق

الجزء الأول د: محمد ربيع المدخلي الجزء الثاني : د/ محمد بن محمود ابو رحيم دار الراية ط : الأولى .

(٣) انظر : السنة : عبدالله بن أحمد (٢٨٨/٨-٤٣٠) تحقيق محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ، ط : الأولى

" (١) . وقال سبحانه عن النصارى " 

ولا شك أنه لا يقبل من أحد ديناً غير دين الاسلام كما قال
 سبحانه " 

ويقرر شيخ الاسلام هذه المسألة بقوله " كما أن الفلاسفة ومن
 سلك سبيلهم من القرامطة والإتحادية ونحوهم يجوز عندهم أن يتدين
 الرجل بدين المسلمين واليهود والنصارى ، ومعلوم أن هذا كله كفر
 باتفاق المسلمين فمن لم يقر باطناً وظاهراً بأن الله لا يقبل ديناً سوى
 الاسلام فليس بمسلم ومن لم يقر بأنه بعد مبعث محمد صلى الله عليه
 وسلم لن يكون مسلماً الا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً فليس بمسلم .
 ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بدين اليهود

(١) البقرة آية (٨٩) .
 (٢) المائدة آية (٧٣) .
 (٣) ال عمران (٨٥) .
 (٤) رواه مسلم كتاب الإيمان (١٣٩) .

والنصارى ، بل من لم يكفرهم وبعضهم ، فليس بمسلم باتفاق المسلمين
»(١) .

سادساً :- حكم من جعل الشك هو أول الواجبات على المكلف :-

وهذا من أقبح المسائل التي أتى بها أهل الكلام وقد سبق أن بينا
أن هذا لم يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في كلام رسوله صلى الله
عليه وسلم ولم يرد عن الصحابة ولا عن أحد من سلف الأمة واشترط
هذا الأمر ولا شك كفر واضح وقد نقل الحافظ ابن حجر " عن القرطبي
قوله " لو لم يكن في علم الكلام الا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقاً
بالذم :-

أحدهما : قول بعض منهم إن أول واجب هو الشك اذ هو اللازم لوجوب
النظر أو القصد الى النظر.

الثانية : قول جماعة منهم : من لم يعرف الله بالطرق التي رتبها أهل
الكلام لم يصح إيمانه .

والقائل بهاتين المسألتين كافر ، لجعله الشك في الله تعالى واجباً
ومعظم المسلمين كفاراً وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة(٢).

خاتمة البحث :

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٢٧/٤٦٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٤٥/٥) .

انتهيت من دراستي للشك وآثاره واسبابه وعلاج الإسلام له وقد توصلت في نهاية البحث الى النتائج التالية :-

- ١- عظم أهمية تناول هذا الموضوع وخطورته على المعرفة عموماً وعلى الجوانب الإعتقادية خصوصاً حيث انه يرتبط بأساس المعرفة والتدين ووجود كل ذلك من عدمه .
- ٢- الجناية العظيمة التي جنتها الفلسفة وعلم الكلام على موضوع المعرفة والجوانب الإعتقادية حيث أنها أقحمت نفسها في مجالات دينية وشرعية ليست من إختصاصها .
- ٣- تبين لي الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة اليونانية على وجه الخصوص في الفكر الإسلامي حيث فتن بها مجموعة كبيرة من أهل الكلام والمذاهب الإسلامية الأخرى وجعلوها بديلة أو مساوية للأصول الإسلامية الصحيحة .
- ٤- فضل منهج أهل السنة والجماعة وموافقته لأصول المعرفة العقلية والحسية وتأصيله لجانب الفطرة وثماره المتعددة على الفرد والمجتمع .
- ٥- ان الفرق الكلامية الاسلامية عند نفيها لكثير من الأصول الشرعية تنطلق من منطلقات فلسفية وعقلية وتفرض على منهجها وطريقتها قواطع وأقيسه عقلية تعارض بها النصوص الشرعية والمسلمات العقديّة .
- ٦- أن الشك بأقسامه قد أدى الى آثار واطار عظيمة على المستوى المعرفي عموماً وعلى المعتقدات الدينية خصوصاً ويظهر ذلك جلياً عند الفرق الكلامية والفلسفية حيث بنت

منهجها على هذه الأصول والقت بآثارها على معتقدهم
وردودهم على أهل السنة والجماعة .

٧- أن الفلسفة والأصول الكلامية هي السبب في ورود الشك في
الثقافة الإسلامية حيث أن الأصول القرآنية والأحاديث النبوية
ترفض هذه الطريقة من التفكير وتأصل اليقين بالأسلوب
القرآني الذي يجعل حياة الإنسان الخاصة والعامة في طمأنينة
ووضوح سواءً على المستوى المعرفي أو النفسي .

٨- التناقض عند أهل الفلسفة وعلم الكلام فما يثبتونه في موضع
ينفونه في موضع آخر ولذلك كثرت ردودهم فيما بينهم وأدى
بهم ذلك إلى الحيرة والإضطراب ورجوع كثير منهم إلى مذهب
أهل السنة والجماعة .

٩- لم يقتصر تأثير الشك على الجانب المعرفي والإعتقادي فقط بل
تعداه إلى الجوانب التشريعية والأحكام الدينية فألقى بآثاره عليها
وأدى إلى المنادا بتعطيل تحكيم الشريعة وإذابة الفوارق الأصلية
بين المسلمين وغيرهم .

١٠- أن الأصول والحجج التي قام عليها الشك عموماً هي حجج
ضعيفة لا ترتقي إلى هز وزعزعة الأصول اليقينية التي وهبها
الله للإنسان سواءً الشرعية منها أو العقلية أو الحسية .

فهرس الآيات

رقم
الصفحة

رقم الآية

السورة

الآية

٢٤٨

١٠

إبراهيم



• ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

٢٦١ ٢٣ الروم

٢١٥ ١٨ السجدة

٢٣٣ ٧ السجدة

٢٣٨ ٢٧ السجدة

٣٠٩ ١١ الشورى

٢٣٨ ٢٩ ص

٢٢٤ ١٣٣ طه

٢٣٩ ٥٤ طه

٣٠٤ ١٢٤ طه

٢٣٩ ٣٢ الطور

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ
 ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

238 60 القصص
[Complex symbols]

307 23-22 القيامة
[Complex symbols]

233 110 المؤمنون
[Complex symbols]

243 91 المؤمنون
[Complex symbols]

247 89-84 المؤمنون
[Complex symbols]

297 8 المائة
[Complex symbols]

307 10 المطففين
[Complex symbols]

234 2 الملك
[Complex symbols]

■□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

٢٦٤ ١٠ الملك

٨٧ ٢٩-٢٧ النجم

٢٣٧ ١٢ النحل

٢٤٢ ١١-١٠ النحل

٢٥٢ ٧٨ النحل

٢٦٤ ٧٨ النحل

٢٦٥ ١٢ النحل

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

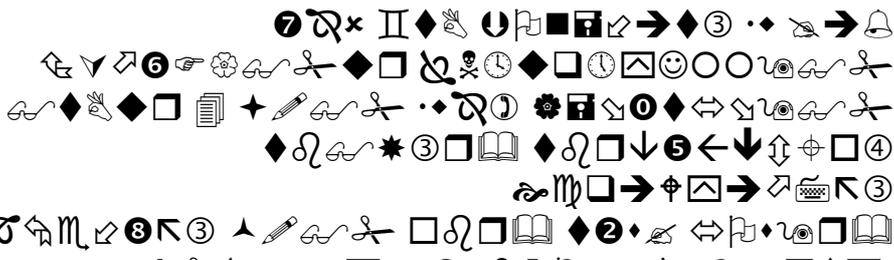
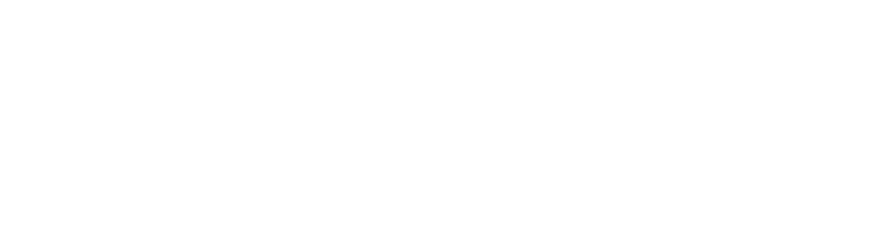
◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

◆□□◆①□◆□◆
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
↓⑥□→⑩◆⇌
◆□→⑤◆□
◆□→⑤◆□

٢٣٢	٦٥	النمل	<p>  </p>
٢٨٩	٤٣	النور	<p>  </p>
١٤	٩٥	الواقعة	<p>  </p>
٢٤١	٥٩-٥٧	الواقعة	<p>  </p>
١٥٠	١٠١	يونس	<p>  </p>
٤	٩٤	يونس	<p>  </p>

فهرس الأحاديث

الصفحة

طرف الحديث

- ١٢ نحن أحق بالشك من ابراهيم
- ١٠٠ ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة
- ٢٠٠ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
- ٢١٢ من بدل دينه فاقتلوه
- ٢١٢ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث
- ٢١٢ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
- ٢٢٧ يا عدي هل رأيت الحيرة
- ٢٢٧ كيف بك يا سراقه إذا تسورت سوارى كسرى
- ٢٧٧ يا عدي هل رأيت الحيرة ؟
- ٢٩٧ مهما يكتم الناس يعلمه الله
- ٢٧٦ " إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب
- ٢٧٦ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله
- ٣٠٥ والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة

الاسم	الصفحة
ابن فارس	١
ابن العربي	١٣٨
ابن خلدون	٢٢٤
ابن عربي	١١٢
أبو جعفر السمناني	١٦٧
أبو علي الجبائي	٩٤
أبو هذيل العلاف	١٠١
أبو هشام الجبائي	٩٤
أرسطو	٢٧
أفلاطون	٢٧
أكسيلاس	٣٠
أكسينوفان	١٦
أناسيداموس	٣٢
أنشتاين	٢٨٧
أوغسطين	٤٠
الإيجي	١٥٨
آير	٧٦
باركلي	٤٨
بارميندس	١٧
برتراندراسل	٥١
بروتاجوراس	٢٠
توماس رين	٢٩٠
توماس رين	
توماس هوبز	٤٧
الجاحظ	٣٩

٢٨٨	جان
٥	الجرجاني
٢٢	جوجياس
٤٦	جون لوك
٦	الجويني
١١٨	الحلاج
٨٢	دحلان
٤٨	ديفيد هيوم
١٠	الرازي
٤٨	سبينوزا
٢٦	سقراط
١٦١	السنوسي
٤١	شارون
١٤٤	الشاطبي
١٠٧	الشهرستاني
١٠٠	عمرو بن عبيد
٣٩	الغزالي
١٥٠	الفارابي
٦١	فرانسيس بيكون
٧٤	فولتير
٩٤	القاضي عبدالجبار
٧٦	كارنب
٣١	كارينارس
٥١	كانت
	مالبرانش
١٢٤	محمد رشيد رضا
١٢١	محمد عبده
٤٠	مونتاني

٤٥	ميرسين
١٨	ميسوس
٣٩	النظام
٢٨٧	نلربور
٥٢	نيتشه
٥٥	هملتون
٦٥	هوسرل
١٦	هيراقليطس
٧٥	وليم جيمس

رقم الصفحة	المصطلح
٧٥	الوضعية المنطقية الحديثة
١١٧	إخوان الصفا
١٢٠	العصرانية

فهرس المراجع

- ابن تيمية والتصوف : مصطفى حلمي دار الدعوة ط : الثانية
- أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده - مهرجان الغزالي في دمشق مارس ١٩٦١ - بحث بعنوان رجوع الغزالي إلى اليقين .
- اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال دار عالم الكتب ط : الأولى ١٤١٤-١٩٩٤م
- أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوروبا في العصر الحديث " . رسالة مقدمة من دعاء وجدي محمد فهيم للحصول على درجة الماجستير في الآداب عين شمس (مصر) تخصص فلسفة إشراف : سعد عبد العزيز حباتر ، ١٩٩٥م .
- الاجتهاد والحكم الإسلامي ، محمد احمد خلف الله ، مجلة العربي ، عدد ٣٠٧ ، رمضان ١٤٠٤هـ .
- احياء علوم الدين : الغزالي دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ
- أخبار الحلاج : لويس ماسينيون باريس ١٩٣٦م .
- الأخلاق عند كانت : عبدالرحمن بدوي وكالة المطبوعات ، الكويت
- آراء أهل المدينة الفاضلة : مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الإرشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد : ابو المعالي الجويني تحقيق محمد يوسف موسى ، علي عبدالحميد ، مكتبة الخانجي ، مصر ، بدون تاريخ .
- أساس التقديس : تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، مكتبة

- الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .
- الاستقامة : ابن تيمية : تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط : الاولى ١٤٠٤هـ .
- الاستقامة : ابن تيمية :. تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط : الاولى ١٤٠٤هـ .
- الاستقراء والمنهج العلمي : محمود فهمي زيدان دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط : الأولى ، ٢٠٠٢م.
- أسس الفلسفة: السيد عبد الرحمن ، دار الحكمة ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٢م
- الأسس المنطقية للاستقراء :محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة.
- أسس اليقين في الفكر الدين والفلسفى يوسف محمد دار الحكمة ط الأولى عام ١٢١٤-١٩٩٣م
- الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت دار الشروق ١٩٩١م .
- الإسلام والعقل : لصالح الدين المنجد دار الكتاب الجديدة بيروت، ط الثانية ، ١٩٧٦م
- الإسلام يتحدى ، مدخل علمي إلى الإيمان : وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ومراجعة عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، ط الثالثة (١٣٩٩هـ — ١٩٧١م) .
- إسلامي في طريق التجديد محمد سليم العوا، المكتب الإسلامي ، بيروت ط الثانية.
- الإشارات والتنبيهات : ابن سينا بشرح الطوسي تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ، ط : الثالثة

- أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ، مطبعة التأليف بمصر ، ط : الأولى ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م .
- إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ محمد عبده د / محمد صالح السيد دار قباء ١٩٩٨ م .
- الاعتصام للشاطبي المكتبة التجارية الكبرى ، مصر
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :فخر الدين الرازي،تعليق:محمد المعتصم بالله البغدادي الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الاولى ١٤٠٩-١٩٨٨م .
- الاعلام : خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت ، ط السادسة ١٩٨٤م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري تحقيق د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، طبع معهد البحوث و احياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط : الأولى ١٤٠٩ - ١٩٨٨م
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان : ابن القيم تحقيق: مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، المكتبة الحديثة.
- الاقتصاد في الاعتقاد :الغزالي دار الكتب العلمية بيروت ، ط : الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
- اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، تحقيق : ناصر العقل مكتبة الرشد ط: الثالثة ١٤١٢هـ _ ٢٠٠٠م .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل :أبو بكر الباقلاني ، تحقيق / عماد الدين حيدر ط : الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ،

١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م .

- أين الخطأ : عبدالله العلايلي دار الجديد بيروت ، ١٩٩٢م .
- باركلي : يحيى هويدي، دار المعارف - مصر .
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد تحقيق موسى بن سليمان الدرويش مكتبة العلوم والحكم ط: الأولى ١٤٠٨هـ .
- تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا : مطبعة المنار، مصر بدون تاريخ .
- تاريخ العلم : جورج سارتون ترجمة توفيق الطويل وآخرين : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد علي أبو ريان دار المعارف الجامعية الاسكندرية ط الرابعة ١٩٨٥م .
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .
- تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم دار المعارف ، ط الخامسة .
- تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم ، دار المعارف بدون تاريخ
- تاريخ الفلسفة الغربية : برتراندرسل ، ترجمة : زكي نجيب محمود ومراجعة أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط الثالثة ، ١٩٧٨م .

- تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري دار العلم للملايين ط : الأولى ١٩٩١م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ، طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية : محمد عبد الرحمن مرحبا. مؤسسة عز الدين ، ط الأولى ، ١٩٩٣م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي : مصطفى النشار دار قباء ، ١٩٩٨م .
- تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق أمانيول كانت ، ترجمة :عبد الغفار مكاوي منشورات دار الجمل
- التأمّلات في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت ترجمة عثمان ، أمين مكتبة القاهرة الحديثة ، ط :الثانية ، ١٩٥٦م .
- تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترايبي ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .
- التجديد في الفكر الإسلامي : عدنان محمد أمامة دار ابن الجوزي ، ط : الأولى ١٤٢٤هـ
- تحرير القواعد المنطقية : قطب الدين الرازي دار إحياء الكتب العربية طباعة عيسى البابي الحلبي ، مصر
- التدمرية :ابن تيمية تحقيق : محمد السعوي ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ
- التراث والتجديد : حسن حنفي القاهرة ١٩٨٠م .
- التصوف المنشأ والمصدر : احسان الهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور ط :الأولى بدون تاريخ .
- التصوف والمنشأ : احسان الهي ظهير إدارة ترجمان السنة،

لاهور بدون تاريخ .

- التعريفات : الجرجاني تحقيق إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي
- تفسيرالقران العظيم الشهير بـ"تفسير المنار" محمد رشيد رضا
مكتبة القاهرة ، مصر ، ط: الأولى
- تفسيرالقران العظيم المشهوربـ (المنار) دار الفكر بيروت ط :
الثانية ١٩٧٣م .
- التفكير الفلسفي في الإسلام : الدكتور سليمان دنيا مكتبة الخانجي ،
مصر ط: الثالثة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م
- التفكير الفلسفي في الإسلام : سليمان دنيا ، مكتبة الخانجي ، ط :
الأولى ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م .
- تمهيد للفلسفة : محمود زقزوق ، دار المعارف ، ط الخامسة ،
١٩٩٤م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ط وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالمغرب
- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة: عفاف مختار مكتبة الرشد
١٤٢١ - ٢٠٠٠م
- تهافت الفلاسفة للغزالي تقديم وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار
الكتب العلمية ، بيروت لبنان بدون تاريخ
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥ -
١٩٨٤م
- الجامع في تاريخ الأدب العربي : حنا فاخوري دار النهضة
العربية ١٩٩٠م
- الجبائيان أبو علي وأبو هشام : علي فهمي ط : الأولى طرابلس -

- ليبيا - بدون تاريخ .
- الجهاد في الإسلام : البوطي دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٩٩٣م .
- جهم بن صفوان لخالد العسلي بغداد ، مطبعة الإرشاد ١٩٦٥م .
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة الأهل السنة : اسماعيل بن محمد التميمي تحقيق الجزء الأول د: محمد ربيع المدخلي الجزء الثاني : د/ محمد بن محمود ابو رحيم دار الراية ط : الأولى .
- الحريات العامة في الإسلام ، راشد الغنوشي مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط : الأولى ، عام ١٩٩٣م .
- الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي د / سامي نصر لطف. مكتبة الحرية الحديثة بلا تاريخ
- الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي : سامي نصر لطف مكتبة الحرية الحديثة بدون تاريخ .
- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ، تأليف عبد الرحيم السلمي ، دار المعلمة للنشر والتوزيع ط : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م
- الحقيقة في نظر الغزالي : سليمان دنيا ، دار المعارف ، ط : الخامسة ، بدون تاريخ .
- الحيوان : الجاحظ ، تحقيق : أبو العلاء عفيفي ، بإشراف : طه حسين ومراجعة إبراهيم مدكور ، ط : دار الكتب ، ١٩٦٧م .
- خريف الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م
- خصائص التصور الإسلامي : سيد قطب دار إحياء الكتب العلمية،

ط : الثانية القاهرة ١٩٦٥

- الخصائص العامة للتشريع الإسلامي: يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٥م
- الخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون : محمد غلاب الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢م.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ

- دراسات في الفرق ، صابر طعيمة ، مكتبة المعارف ، بدون تاريخ
- دراسات في الفلسفة المعاصرة : د . زكريا إبراهيم مكتبة مصر بدون تاريخ .

- دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية : عبد القادر صوفي ، دار أضواء السلف ، ط الأولى ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

- الدرر السنية في الرد على الوهابية أحمد دحلان ، ط : الخامسة ، ١٤٠٥هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

- ديفيد هيوم : زكي نجيب محمود مكتبة المعرفة ١٩٨٦ .
- ديكارت : عثمان أمين : دار المعرفة الجامعية – القاهرة – ١٩٩٤م
- ديكارت والفلسفة العقلية: راوية عبد المنعم . دار المعرفة الجامعية بدون تاريخ.

- الدين ، محمد عبدالله دراوز دار القلم الكويت ط الثانية، ١٣٩٠هـ.

- الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين : أبكار السقاف دار الانتشار العربي لبنان ، ط : الأولى ٢٠٠٤م.

- رائد الفكر المصري الأمام محمد عبده . د / عثمان أمين مكتبة الانجلو المصرية ط الثانية ١٩٦٥م.
- الرد على البكري وهو تلخيص لكتاب الاستقامة الدار العلمية للطباعة والنشر ط : ١٤٠٥هـ .
- الرد على المنطقيين ، تحقيق رفيق العجم بيروت دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م.
- الرد على المنطقيين : ابن تيمية إدارة ترجمان السنة، لاهور ط: الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٢٦م.
- رسالة التوحيد : الشيخ محمد عبده ، دار النصر للطباعة القاهرة ، ١٩٦٩م .
- رسالة في إثبات الاستواء والفقوية " لأبي محمد الجويني ضمن مجموعة " الرسائل المنبرية.
- السنة : عبدالله بن أحمد تحقيق محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم، ط : الأولى ١٤٠٦هـ.
- السنة بين الوحي والعقل للمستشار سالم البهنساوي ، دار الوفاء ، ط : الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
- سيكولوجية الشك : يوسف ميخائيل دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي المكتب التجاري ، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي الحنبلي دار المسيرة بيروت ، ط : الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : هبة بن الحسن اللالكائي

تحقيق : د/ أحمد سعد حمدان الغامدي دار طيبة للنشر والتوزيع
ط: الأولى : ١٤٠٩هـ .

• شرح السنوسية الكبرى للسنوسي : تحقيق عبد الفتاح عبدالله بركه
، دار القلم ، بيروت ط : الأولى ١٤٠٢هـ .

• شرح الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي تحقيق : عبدالله التركي
وشعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ط:السادسة ١٤١٤هـ_١٩٩٤م

• شرح المواقف : للقاضي عضد الدين لايجي : للسيد الشريف
الجرجاني: تحقيق محمود الدمياطي ، دار الكتاب العلمية لبنان ، ط
: الأولى ، ١٤١٩هـ .

• شرح صحيح مسلم : النووي دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ.
• الشريعة : محمد بن حسين الأجرى تحقيق : محمد حامد الفقي
١٣٦٩هـ.

• شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ابن القيم
. دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ.

• الصفدية : ابن تيمة : تحقيق : محمد رشاد سالم مكتبة ابن تيمية ط
: الثانية ١٣٩٦هـ .

• الصلة بين التصوف والتشيع : كامل الشيبى دار المعارف مصر
ط الثانية.

• الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة لابن القيم تحقيق :
علي محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ط:الثالثة ١٤١٨-١٩٩٨

• ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة : د/ عبدالله القرني دار
عالم الفوائد ط: عالم الفوائد ط: الثانية ١٤٢٠هـ

- طائفة الدروز : حمد كامل حسين دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٦٨ م .
- طبقات الأولياء ، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري الملقن، تعقيب : نور الدين شربيه ، دار المعرفة ، بيروت ط: الثانية، ١٩٦٨ م .
- طبقات الشافعية : تاج الدين السبكي تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٣٨هـ - ١٩٦٤ م .
- طريق الإيمان : سميح الزين دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ
- طريق الفيلسوف : ترجمة أحمد حمدي محمود مطابع سجل العرب القاهرة ، بدون تاريخ.
- ظهر الإسلام : أحمد أمين دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨
- العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، الدكتور ، عبدالرحمن الزنيدى، دار المسلم ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م
- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب ، محمد حامد الناصر مكتبة الكوثر ، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ،
- عقيدة الإيمان بالبعث : إسماعيل جودة ، دار الطيف للمطبوعات ط : الأولى ، عام ١٩٨٨/١٤٠٨هـ ،
- العقيدة والشريعة في الإسلام ، كولدزيهر الترجمة العربية ط الثانية ١٩٥٩ م.
- علم الكلام عرض ونقد : عامر النجار ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م .

- العواصم من القواصم : لابن العربي ، المكتبة العلمية بيروت ، لبنان.
- غرائب القرآن : النيسابوري، تحقيق / إبراهيم عطوة عوض طبعة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢ م .
- غرائب القرآن : تحقيق الأستاذ / إبراهيم عطوة ،عوض طبعة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢ م .
- غمز عيون الصبائر شرح كتاب الأشباه والنظائر : احمد بن محمد الحنفي . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥
- الفتوحات المكية بيروت دار صادر بلا تاريخ .
- الفروق اللغوية : ابن العربي ضبط وتحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية:بيروت ١٤٠٩ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل :للإمام علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري : ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- فضائح الباطنية :الغزالي اعتنى به : محمد علي القطب المكتبة العصرية ، بيروت.
- فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- الفقه الإسلامي في طريق التجديد ، محمد سليم العوا مكتبة مدبولي ٢٠٠١ .
- فقه السيرة دار القلم ، دمشق ، ط : الثانية ١٩٩٦م
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي : محمد البهي دار الفكر بيروت : ط السادسة .

- الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية لأنور الجندي دار
الفضيلة بدون تاريخ.
- الفلسفة الإغريقية : محمد غلاب مطبعة البيت الأخضر ، ط ١ ،
سنة ١٩٣٨م.
- الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار الكتاب المصري ،
١٩٤٦م.
- الفلسفة الحديثة عرض ونقد :أحمد السيد رمضان مكتبة الإيمان ،
المنصورة ، بدون تاريخ .
- الفلسفة الحديثة عرض ونقد أحمد السيد رمضان ، مكتبة الإيمان
المنصورة.
- الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : توفيق الطويل ، دار النهضة
العربية ،، ط الثانية القاهرة ، ١٩٦٧م .
- فلسفة الشك ، أطروحات العقل الفينومينولوجي وشواهداها في الفكر
العربي المعاصر : محمد بن سعود البشر ، دار عالم الكتب ، ط
الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية : حربي
عباس عطيتو ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م.
- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها : أميرة حلمي، دار قباء ،
١٩٩٨م.
- الفلسفة اليونانية عرض ونقد : أحمد السيد رمضان ، الدار
الإسلامية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م.
- الفلسفة اليونانية وبعض مشكلاتها: عزت قرني دار قباء للطباعة
والنشر ١٩٨١م .

- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها تأليف / هنترين، ترجمة: فؤاد زكريا
مكتبة مصر ١٩٦٩م .
- فلسفة ديكرت ومنهجه : مهدي فضل الله ، دار الطليعة ، بيروت
، ط الثالثة ، ١٩٩٦م .
- فلسفة كانط : أميل بوترم، ترجمة د / عثمان أمين .
- الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف ، مطابع الخليج ،
١٩٧٤م
- الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف دار النهضة العربية ،
بيروت ، بدون تاريخ .
- الفلسفة ومشكلة الشك : حمدي زقزوق دار المعارف ط : الخامسة
١٩٩٤م .
- في الفكر المصري الحديث : عزت قرني الهيئة المصرية العامة
للكتاب - ١٩٩٥م .
- القرآن والنظر العقلي ، فاطمة إسماعيل المعهد العالي للفكر
الإسلامي ط : الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن : نديم الجسر ، دار الأمد
البحيري إخوان طرابلس ١٩٦١م .
- قصة الفلسفة : ول ديورانت مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٥ -
١٩٨٥ .
- قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ط
الثامنة، مكتبة النهضة المصرية .
- القضاء والقدر في الإسلام : فاروق الدسوقي ط : المكتب
الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٩٦م

- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة : عبدالرحمن المحمود
دار النشر الدولي الرياض ط الأولى ١٤١٤هـ.
- قضايا الأدب والثقافة والفن لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ .
- كتاب العصر في ضوء الإسلام لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري تصحيح: مصطفى حسين أحمد ، دار الريان، القاهرة ، ط : الثالثة ١٤٠٧ .
- كشان اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي ، تصحيح :محمد وجيه وزملائه ، ط ١٩٧٢ الهيئة المصرية للكتاب.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لإبن رشد تصحيح مصطفى عبدالجواد ط : المحمودية القاهرة ١٩٦٨م.
- لن تلحد لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الكتاب العربي السعودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣م .
- الله في الفلسفة الحديثة ترجمة فؤاد كامل ط الأولى بدون تاريخ.
- الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولنز ، ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غرب ، القاهرة، ١٩٧٣م .
- ما هي الفلسفة للدكتور : حسين علي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م القاهرة .
- مبدأ العلة: مارتن هاجر ترجمة نظير جاهل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٢هـ - ٢٠٠١م.
- مجلة الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، شوال ١٣٩٦هـ ،

- أكتوبر ، ١٩٧٦م ، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة الشك : محمود زقزوق.
- مجموعة التوحيد ، نشر إدارة البحوث الإسلامية ، الرياض . بلا تاريخ .
- محاضرات في الفلسفة القديمة : فيصل بدير عون ، الناشر مكتبة سعيد رافت ١٩٨٣م .
- محاور إسلامية راشد الغنوشي ، دار اقرأ للطباعة صنعاء ، ١٩٩٢م
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين : الرازي راجعه : طه عبدالرؤوف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.
- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ابن القيم تحقيق : محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المدخل إلى الفلسفة : فتح الله خليف دار الجامعات المصرية ١٩٨٢
- مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية : عبد المجيد عبد الرحيم ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى ، ١٩٧٦م .
- مدخل إلى الفلسفة: أحمد السيد رمضان الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى الميتافيزيقيا : عزمي إسلام مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ، ط : الأولى ، ١٩٧٧م .
- مدخل جديد للفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، ، وكالة المطبوعات

الكويتية الطبعة الثانية ، الكويت.

- مدخل على علم الكلام : أحمد صالح السيد ، دار قباء للطباعة والنشر ٢٠٠١ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات لابن حزم دار الكتب - بيروت - بدون تاريخ .
- المسائل الرئيسية في الفلسفة أير ، ترجمة : محمود زيدان ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية مصر (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية : أولف جيحن ، ترجمة عزت قرشي ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦ م .
- مشكلة الفلسفة : زكريا إبراهيم مكتبة مصر ، بدون تاريخ
- المصباح المنير : أحمد المغربي : دار الكتب العلمية : بدون تاريخ
- المطالب العالية للرازي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٧م
- المطالب العالية من العلم الالهي : الرازي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٧م .
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس : الغزالي ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة : مطبعة الترقى دمشق ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أحمد فؤاد عبد الباقي ط : إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم مصطفى وزملائه ، ط: مجمع

اللغة العربية بدون تاريخ.

- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية.
- المعرفة في الإسلام: د . عبدالله القرني دار عالم الفوائد ط : الأولى ١٤١٩هـ.
- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري : زكي نجيب محمود ، دار الشروق.
- المغني : موفق الدين ابن قدامة مطبوعات ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- مفاتيح الغيب : الرازي المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٧هـ
- مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والارادة : ابن القيم دار نجد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٢-١٩٨٢م.
- مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري تحقيق :هلموت ريتز اسطانبول ١٩٢٩م .
- مقدمة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني بيروت بلا تاريخ .
- مقدمة الإبانة عن أصول الدين : أبو الحسن الأشعري للشيخ / حماد الأنصاري.
- الممل والنحل : الشهرستاني ، تحقيق : أمير علي مهنا- علي حسن فاعور دار المعرفة بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- المنقذ من الضلال : الغزالي مع أبحاث في التصوف ، ودراسات عن الإمام الغزالي بقلم عبد الحليم محمود ،. دار الكتب الحديثة ، ط الثامنة ، ١٣٩٤ - ١٩٧٤م .

- منهاج السنة : ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ط: جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.
- منهج ابن تيمية في مسألة التفكير : عبدالمجيد المشعبي مكتبة أضواء السلف ط : الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٧ م .
- منهج الأمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، عبدا لله محمود شحاته المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدون تاريخ .
- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت : محمود زقزوق دار المعارف ط : الرابعة ١٩٩٧م.
- مواطنون لاذميون ط دار الشروق ١٤٠٥هـ.
- المواقف في علم الكلام : عضد الدين الإيجي عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ.
- المواقف في علم الكلام :عضد الدين الإيجي عالم الكتب ، بيروت.
- موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا مراجعة جورج نحل دار الكتب العلمية لبنان ، ط : الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م.
- الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف :محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى ، ١٩٨٤ م .
- الموسوعة الفلسفية : عبد الرحمن بدوي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط : الأولى ١٩٨٤م.
- الموسوعة الفلسفية : معن زيادة دار الطليعة - بيروت - بدون تاريخ .

- الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين الروسين ترجمة سمير كرم دار الطليعة بيروت ط : الأولى ١٩٧٤م.
- موسوعة لالاند الفلسفية : منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ط الأولى ١٩٩٦م.
- موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها للدكتور صالح الغامدي مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٤-٢٠٠٣م
- موقف من الميتافيزيقيا للدكتور: زكي نجيب محمود ، دار الشروق . ١٩٨٠ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ،دار احياء الكتب العربية تحقيق علي البجاوي ط: الأولى ١٣٨٢-١٩٦٣
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبدالله محمد الذهبي ، دار المعرفة ، بيروت.
- النبوات :ابن تيمية : تحقيق : عبدالعزيز الطويان ، مكتبة أضواء السلف ط : الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار ، دار المعارف .١٩٧٨.
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د/ عرفان عبد الحميد دار الجيل ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٣ م
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد دار الجيل ، بيروت ط: الأولى ١٤١٣هـ-١٣٩٣م
- نظرية العلم الأرسطية : مصطفى النشار دار المعارف ط: الثانية ١٩٩٥.

- نظرية العلم عند الغزالي : محمد الكبيسي ، بيت الحكمة بغداد .٢٠٠٢.
- النظرية المادية في المعرفة روحية جارووي ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر، بدون تاريخ .
- نظرية المعرفة : بين القرآن والفلسفة : راجع الكردي مكتبة المؤيد ط: الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م.
- نظرية المعرفة بين القرآن والسنة : راجح الكردي ، مكتبة المؤيد، ط : الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين : محمود زيدان دار النهضة العربية ، بيروت .
- نقد العقل بين الغزالي وكانت : عبدالله الفلاحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط: الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- نقض المنطق تصحيح محمد حامد الفقي بيروت المكتبة العلمية ، بلا تاريخ.
- نقض المنطق لابن تيمية : تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع ، ط: الأولى ١٣٧٠ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ،
- نهاية الإقدام في علم الكلام : الشهرستاني حرره وصححه : الفرد جيوم ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.
- النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير تحقيق : محمود الطناحي وظاهر الزواري : دار إحياء الكتب العربية مصر ط : الأولى ١٩٩٣-١٩٦٣م.
- الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، د : عيسى السعدي ، دار عالم

الفوائد ، ط : الأولى ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢م.

• وفيات الأعيان وإنباء أنباء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد

بن خلكان تحقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٣	المبحث الأول : تعريف الشك لغة واصطلاحاً :
٣	أولاً : الشك في اللغة :
٩	ثانياً : الشك في الاصطلاح :
١٣	المبحث الثاني : تعريف اليقين
١٣	أولاً : تعريفه في اللغة
١٣	ثانياً : تعريفه في الاصطلاح
١٢	درجات اليقين
١٤	معاني اليقين في القرآن الكريم
٢٥	الفصل الثالث أنواع الشك
٢٥	المبحث الأول : الشك المنهجي
٢٨	أولاً : الشك في التقليد عند الغزالي
٢٩	ثانياً : الشك في الحسيات عند الغزالي
٣٠	ثالثاً : الشك في العقليات عند الغزالي
٣٣	أولاً : الشك في التقليد عند ديكرت
٣٣	ثانياً : الشك في الحواس عند ديكرت
٣٤	ثالثاً : الشك في العقليات عند ديكرت
٣٧	المبحث الثاني : الشك المطلق

٣٧	القسم الأول : الشك الكلي
٣٧	الصورة الأولى : الشك الكلي في المعرفة
٣٩	الصورة الثانية : الشك الكلي في الحقيقة
٤١	القسم الثاني : الشك الجزئي
٤١	الصورة الأولى : الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس
٤٨	الصورة الثانية : الشك في الواقع الخارجي للأشياء
٥١	الصورة الثالثة : الشك التجريبي
٥١	١- إنكار السببية أو العلية
٥٤	٢- إنكار الإستقراء أو التشكيك فيه وفي نتائجه
٥٧	المبحث الثالث : الشك الإعتقادي
٥٧	الصورة الأولى : الشك الذاتي في المعتقد
٥٨	الصورة الثانية : تشكيك الناس في العقائد
٥٩	الصورة الثالثة : الإنكار للدين أو بعض العقائد
٦٠	الفصل الثاني : الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث
٦٢	المبحث الأول : الشك في العصر اليوناني
٦٢	أولاً : الشك قبل السوفسطائية
٦٥	ثانياً : الشك عند السوفسطائية
٦٦	من أبرز من يمثل هذه النزعة
٦٦	بروتاجوراس
٦٧	موقفه من الآلهة

٦٨	تعقيب
٧٤	ثالثاً : مدرسة بيرون
٧٦	رابعاً : الأكاديمية الأفلاطونية
٨٢	خامساً : الشك التجريبي
٨٤	المبحث الثاني : الشك في العصر الوسيط
٨٨	المبحث الثالث : الشك في العصر الحديث
١٠٨	أ- تعطيلهم باب الصفات عن الله سبحانه وتعالى
١٠٩	ج- موقفهم من القرآن الكريم وكلام الله سبحانه
١١٠	د- وصفهم الله ورسوله بما لا يليق .
١١٢	الجانب الثاني :- الحيرة الشكوك .
١١٩	الفصل الثاني / الشك عن الفرق الباطنية والصوفية
١٢١	أولاً : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية

- ١٢٣ ثانياً : - الشك في العقائد والمسلمات عند الباطنية والصوفية
- ١٢٤ (أ) اسقاط التكاليف الشرعية
- ١٢٥ (ب) التجاوز على مقام النبوة والأنبياء
- ١٢٧ (ج) القول بوحدة الأديان
- ١٣٠ الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين
- ١٣٢ أولاً : الشك المنهجي عند المفكرين المسلمين المحدثين
- ١٣٤ ثانياً : الشك الاعتقادي عند المفكرين المسلمين المحدثين
- ١٣٥ أ - انكار الغيبات
- ١٣٦ ب - سوء الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم
- ١٣٨ ج - وحدة الأديان
- ١٤٠ الباب الثالث أسباب الشك وآثاره
- ١٤١ الفصل الأول / أسباب ظهور الشك
- ١٤٢ المبحث الأول : أسباب ظهور الشك العقائدي
- ١٤٢ أولاً : الشك المنهجي واعتماده طريقاً للحقيقة
- ١٤٤ ثانياً : التأثر بالثقافة اليونانية
- ١٥٣ ثالثاً: تقديم العقل على النقل
- ١٥٥ مسألة الصراط
- ١٥٦ مسألة الميزان
- ١٥٦ مسألة عذاب القبر
- ١٥٦ مسألة سؤال الملكين للميت وإقاعده في قبره

١٥٦	مسألة تطاير الصحف
١٥٧	مسألة إنطاق الجوارح
١٥٨	المبحث الثاني: أسباب ظهور الشك المنهجي
١٥٨	أولاً : التأثر بالثقافة اليونانية
١٦٢	ثانياً : الثقة المطلقة بالعقل
١٦٦	ثالثاً : الرغبة في الحصول على اليقين الكامل
١٦٨	رابعاً : اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحقيقة
١٧٤	الفصل الثاني آثار الشك في أصول الدين والشريعة
١٧٦	المبحث الاول : آثار الشك على أصول الدين
١٧٨	المطلب الأول : آثار الشك في التوحيد
١٧٨	أ — الاختلاف المنهجي في تقرير مسائل التوحيد بين أهل السنة ومخالفهم
١٨٤	ب_ الاختلاف في أقسام التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين
١٨٤	اختلاف مفهوم توحيد الاسماء والصفات بين أهل السنة وأهل الكلام
١٨٥	١ — شبهة حلول الحوادث في ذات الله سبحانه
١٨٥	٢ — شبهة التشبيه والتمثيل
١٨٦	٣ — شبهة تعدد القدماء
١٨٦	٤ — شبهة التركيب
١٨٦	المطلب الثاني : آثار الشك في النبوات
١٨٧	أ — ضعف الاستدلال على النبوة

- ١٨٩ ب — التفسير الخاطيء لمقام النبوة
- ١٨٩ جعل النبوة فيضية واشراقية :
- ١٩٠ جعل النبوة مكتسبة
- ١٩٢ جعل مقام الفيلسوف والولي والإمام أفضل من مقام النبي
- ١٩٣ نفي العصمة عن النبي
- ١٩٤ المطلب الثالث : آثار الشك في اليوم الآخر
- ١٩٤ إنكار المعاد الجسماني
- ١٩٧ ضعف موقف المتكلمين في هذه المسألة
- ١٩٩ إنكار بعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر
- ٢٠٠ المطلب الرابع : آثار الشك في القدر
- ٢٠١ أولاً : نفي الحكمة والتعليل
- ٢٠٤ ثانياً: الغلو في التحسين أو التقيح العقلي للأفعال أو إقصاءه مطلقاً
- ٢٠٧ ثالثاً : وصفهم الله سبحانه بما لا يليق :
- ٢٠٨ أ — أن يكلف الله سبحانه عبادة ما لا يطيقونه
- ٢٠٨ ب — تجويزهم وقوع الظلم من الله سبحانه وتعالى
- ٢١٠ المبحث الثاني: آثار الشك في الشريعة
- ٢١١ — أهم آثار التي أحدثها الشك
- ٢١١ أ — القول بعدم تحكيم الشريعة
- ٢١٦ ب — قبول المناهج التشريعية الوافدة
- ٢١٨ ج — تبيح بعض المسائل والأحكام الشرعية

- ٢١٩ أولاً : محاولة إلغاء عقوبة المرتد
- ٢٢٢ ثانياً : التساهل مع الكفار وإبطال الجزية عليهم
- ٢٢٦ الباب الرابع علاج الإسلام للشك والوقاية منه
- ٢٢٧ الفصل الأول : تأسيس اليقين
- ٢٢٨ المبحث الأول: إنزال الوحي وما تضمنه من الهداية والنور
- ٢٣٠ أ — تكفله بالتدليل على يقينته في نفسه :
- ٢٣٢ إخباره عن الأمم السابقة
- ٢٣٣ إخباره بكل جرم وتحد عن أحداث وأمور ستجرى في المستقبل
- ٢٣٤ إخباره صلى الله عليه وسلم لأصحابه المستضعفين أنهم سيظهرون على المشركين
- ٢٣٧ ب — تفرده بالإجابة عن الأمور الغيبية المحضة :
- ٢٤٣ المبحث الثاني :الحث على اعمال العقل والوصول إلى اليقين
- ٢٤٧ أولاً : دليل الخلق والاختراع
- ٢٤٨ ثانيا: دليل العناية
- ٢٤٩ ثالثا : دليل التمانع
- ٢٥٠ رابعا : الاستدلال العقلي على البعث والنشور
- ٢٥٠ الاستدلال بالنشأة الأولى على الثانية
- ٢٥٠ الاستدلال بالأصعب على الأيسر
- ٢٥١ الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم
- ٢٥١ الاستدلال بخروج الشيء من ضده

- الإستدلال بإحياء الأرض الميتة
٢٥١
- المبحث الثالث: دلالة الفطرة على اليقين بالله والمعارف الضرورية
٢٥٢
- الأولى : أن الفطرة ضرورية عند الإنسان
٢٥٩
- الثانية : أن الفطرة لا تقتضي وجود الله فقط بل كمال توحيده
٢٦١
- سبحانه
- المبحث الرابع : دلالة الحواس على اليقين بالله سبحانه وتعالى
٢٦٣
- اهتمام الإسلام بالمعرفة الحسية
٢٦٤
- الاهتمام الخاص بحاستي السمع والبصر
٢٦٤
- توجيه الحواس نحو الكون والتفكر فيه
٢٦٦
- الربط بين المعرفة الحسية وبين العقل
٢٦٨
- الربط بين عماية القلب والعقل وبين تعطيل الحواس
٢٦٩
- ورود العقل والحواس متلازمين
٢٦٩
- تعقيب الله في آياته في الآفاق وفي النفس مما يدرك بالحواس بألفاظ
٢٧٠
- الفصل الثاني
٢٧٣
- دحض حجج الشكك
٢٧٣
- المبحث الأول : الشك المطلق (الهادم)
٢٧٤
- المبحث الثاني : تقييم الشك المنهجي :
٢٨٣
- المبحث الثالث : مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموما
٢٨٧
- أولا : الرد على المتكلمين في نفيهم فطرية المعرفة ووجود الله سبحانه
٢٨٧
- وتعالى
- ثانيا : الرد على الشكك في نفيهم الاستقراء واطراد نتائجه
٢٨٩

- ٢٩٣ ثالثاً: الرد على الشكاك في إنكار مبدأ السببية أو العلية :
- ٢٩٧ رابعاً : الرد على الشكاك في نفيهم للواقع الخارجي للأشياء :
- ٢٩٩ الفصل الثالث : حكم الشك في المسائل الاعتقادية
- ٣٠١ المبحث الأول : ضوابط يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم على المسلم
- ٣٠١ أولاً : التفريق بين الحكم العام وبين الحكم على المعين .
- ٣٠٣ ثانياً : ثبوت قيام الحجة على المعين .
- ٣٠٤ ثالثاً : عدم الحكم على لازم القول ومقتضاه .
- ٣٠٥ رابعاً : اعتبار العذر الشرعي للمخالف .
- ٣٠٥ (أ) – الجهل :
- ٣٠٧ (ب) – التأويل :
- ٣٠٧ (ج) – الخطأ :
- ٣٠٩ المبحث الثاني
- ٣٠٩ المسائل التي دخلها الشك أو الإنكار والحكم فيها
- ٣١٠ أولاً : حكم من شك في ما ثبت بالكتاب والسنة
- ٣١٣ ثانياً : – حكم من شك في المتواتر والإجماع
- ٣١٤ ثالثاً : حكم من شك أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة
- ٣١٦ رابعاً : – حكم من شك الأسماء والصفات
- ٣١٧ خامساً : – حكم من شك في كفر اليهود والنصارى .
- ٣١٨ سادساً : – حكم من جعل الشك هو أول الواجبات على المكلف
- ٣٢٠ خاتمة البحث :
- ٣٣٠ فهرس الايات
- ٣٣١ فهرس الاحاديث

٣٣٤

فهرس الاعلام

٣٣٥

فهرس الطوائف والفرق

٣٣٦

فهرس المراجع

٣٥٢

فهرس الموضوعات